مِن تُراثِ السَّادةِ الأحنافِ

الرَّدُّ على مُلّا عَلي القارِي

المُسمَّى

السُّرورُ والفرحُ في حقِّ أبوَي النبيِّ ﷺ

مُحمَّد بن أبي بكر المرعَشيّ (ساجقلي زاده - ١١٥٠هـ)

وخمسُ رسائلَ أُخرى

أنباءُ الاصطِفا في حقِّ آباءِ المُصطفى

محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسيّ (٩٤٠هـ)

تفصِيلُ ما قِيلَ في حقِّ أبوَي الرَّسُولِ ﷺ

ابن كمال باشا (٩٤٠هـ)

تحقِيقُ آمالِ الرَّاجِينَ بِأنَّ والِدَي المُصطفى مِنَ النَّاجِينَ

عَلي بن الجزّار المِصريّ الحنفيّ (٩٨٤هـ)

إثباتُ النّجاةِ والإيمانِ لِوالِدَي سيّدِ بني عدنان

علي بن صادق بن محمد الدّاغستانيّ (١١٩٩هـ)

مُقدِّمةُ مُرشِدِ الهُدى في حقِّ أبوَي الرَّسُولِ ﷺ

نُوح بن مُصطفى الرُّوميّ المِصريّ (١٠٧٠هـ)



دِراسة وتحقِيق

د. عَلي رمضان الأزهريّ

عُضو هيئة التّدريس بِجامِعة الأزهر

دار الإحسان للنشر والتوزيع



موبايل: ٠١١٢١٠٧٧١٧٤ ٠٠٢

Email: darelehsan@gmail.com

الكتاب: الرد على ملا علي القاري المسمى السرور والفرح في حق أبوي النبي ﷺ

تأليف: محمد بن أبي بكر المرعشي

دراسة وتحقيق: د. علي رمضان الأزهري

الناشر: دار الإحسان

سنة الطباعة: ٢٠٢٢

بلد الطباعة: القاهرة، مصر

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: ٣٧٧٦/ ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: 978-977-6816-31-2

مِن تُراثِ السَّادةِ الأحنافِ

الرَّدُّ على مُلَّا عَلِي القَارِي

المُسَمَّى

السُّرُورُ والفَرَحُ فِي حَقِّ أبوَي النَّبيِّ ﷺ

مُحَمَّد بن أبي بَكر المَرْعَشِيّ (ساجقلي زاده - ١١٥٠هـ)

وخمسُ رسائلَ أُخرى

أَنْبَاءُ الاصْطِفَا في حَقِّ آبَاءِ المُصْطَفَى

مُحَمَّد بن قاسم بن يعقوب الأماسِيّ (٩٤٠هـ)

تَفصِيلُ مَا قِيلَ فِي حَقِّ أبوَي الرَّسُولِ ﷺ

ابن كمال باشا (٩٤٠هـ)

تحقيقُ آمَالِ الرَّاجِينَ بِأَنَّ وَالِدَيِ المُصْطَفَى مِنَ النَّاجِينَ

عَلِي بن الجَزَّار المِصْرِيّ الحَنَفِيّ (٩٨٤هـ)

إِثْبَاتُ النَّجَاةِ وَالإِيمَانِ لِوَالِدَيْ سَيِّدِ بَنِي عَدْنَان

عَلِي بن صادق بن مُحَمَّد الدَّاغِسْتَانِيّ (١١٩٩هـ)

مُقَدِّمَةُ مُرْشِدِ الهُدَى فِي حَقِّ أَبَوَيِ الرَّسُولِ ﷺ

نُوح بن مُصْطَفَى الرُّومِيّ المِصْرِيّ (١٠٧٠هـ)

دِرَاسَة وَتَحْقِيق

د. عَلِي رَمَضَان الأَزْهَرِيّ

عُضْو هَيْئَةِ التَّدْرِيس بِجَامِعَةِ الأَزْهَر

دار الإحسان للنشر والتوزيع

قال الله تعالى

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾

[الشعراء: ٢١٧ - ٢١٩]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ

«بعثت من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا؛ حتى كنتُ من القرن الذي كنتُ منه»(١).

***

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه برقم (٣٥٥٧).

شكـــر وتقديـــر

قال النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا يَشْكُرُ الله مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**».

أتوجه بخالص الشكر والتقدير وجميل العرفان:

إلى من أخذ على عاتقه نشر النافع والمفيد من علوم الإسلام.

وأخص منهم أخي وشقيقي الدكتور عبد الرحمن رمضان الأزهري؛ والذي أتحفنا ببحثه الماتع الرصين بعنوان حديث: «إن أبي وأباك في النار» رواية ودراية، أسأل الله جل وعلا أن يبارك في علمه وأن يمتعه بالصحة والعافية.

والأستاذ الدكتور محمد نصار صاحب دار الإحسان للنشر والتوزيع بالقاهرة، والذي كان له الفضل بعد الله تعالى في أن ترى هذه الرسائل النور.

والشيخ محمود مرسي والذي بذل جهداً طيباً في مراجعة هذا العمل.

وإلى من مد لي يد المساعدة بنصح أو مشورة أو نحوهما في إنجاز هذا العمل.

فجزاهم الله عني وعن العلم وأهله خير الجزاء.

***

إهـــــــداء

إلى سيدنا رسول الله ﷺ.

إلى العلامة محمد بن أبي بكر المرعشي المعروف بساجقلي زاده، والعلامة محمد بن يعقوب الأماسي، والعلامة ابن كمال باشا، والعلامة علي بن محمد بن الجزار المصري، والعلامة علي بن صادق الداغستاني، والعلامة نوح بن مصطفى الرومي، أصحاب المؤلفات الماتعة النافعة.

إلى مشايخنا الفضلاء: الذين علمونا وللحق أرشدونا.

إلى والدي الكريمين اللذين غرسا فينا حب العلم وأهله، ومحبة الله ورسوله.

إلى زوجي الغالية ورفيقة دربي أم أحمد التي تحملت وما - زالت - معي أعباء الحياة والصبر على لأوائها.

إلى ولدي وفلذة كبدي أحمد؛ والذي أسأل الله أن ينبته نباتًا حسنًا؛ وأن يجعله من أهل القرآن؛ الذين هم أهل الله وخاصته.

إلى هؤلاء جميعًا أهدي هذا العمل.

وكتبه الفقير إلى رحمة ربه الغني

أبو أحمد/ على رمضان الأزهري

***

المقدمة

الحمد لله الذي أحلَّ نبيه المختار من شريف النسب في المجد الصراح، واصطفاه للإيثار بمنيف الحسب من سُرَّة البطاح، وأطلع شمس فخره في أفق العلا ساطعة الشعاع، ووصل حسبه ونسبه يوم القيامة بعدم الانقطاع، فهو أكرم البرية نفسًا وآلًا، وأفضل الخليقة حالًا ومآلًا، وأتم العالم كمالًا وجمالًا، وأكمله تفصيلًا وإجمالًا، فصلَّى الله عليه صلاةً تجاري سابق فخره، وتباري باسق قدره، وعلى آله المتفرعين من دوحة نبوته، المترفعين إلى ذروة الشرف بمنحة نبوته، وعلى أصحابه المشرفين بنور القبول من مهب الرعاية، وسلم تسليمًا كثيرًا[1]، وبعد:

فهذه رسائل:

«السرور والفرح في حق أبوي النبي ﷺ» للعلامة المحقق الأصولي المتفنن أبي بكر المرعشي المعروف بساجقلي زاده، و«أنباء الاصطفا في حق آباء المصطفى» للعلامة المفسر النحوي الأصولي البارع محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي، و«تفصيل ما قيل في أبوي النبي ﷺ» للعلامة الكبير سيوطي عصره ابن كمال باشا، و«تحقيق آمال الراجين بأن والدي المصطفي من الناجين» للعلامة علي بن محمد بن الجزار الحنفي المصري، و«إثبات النجاة والإيمان لوالدي سيد ولد عدنان» للعلامة علي بن صادق الداغستاني؛ و«مقدمة مرشد الهدي في حق أبوي النبي» للعلامة نوح بن مصطفى الرومي، يوضحون فيها ما لآباء المصطفى ﷺ من مآثر سجلتها آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي الأمين ﷺ، وأقاويل الثقات من علماء الأمة، ويردون على ما أثير من شبهات حولهم، مستشهدين بآيات القرآن الكريم، والأحاديث والآثار التي تبين مكانتهم؛ مردفين ذلك بأقوال علماء التفسير والحديث واللغة والقراءات والسير

---

(١) من مقدمة كتاب «العقد المنظَّم في أمهات النبي المكرَّم» للعلامة الزبيدي (ص٢٣).

والتاريخ، كل ذلك في أسلوب سهل سلس، ليس بالطويل الممل، ولا القصير المخل، وقد كان من عظيم فضل الله و كرمه عليَّ أن وجدت للرسالة الأولى خمس نسخ خطية: إحداها بجامعة هارفارد، والثانية نسخة مكتبة حافظ أحمد باشا بتركيا، والثالثة نسخة قيسري راشد أفندي، والرابعة نسخة جامعة الملك سعود بالرياض، والخامسة نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق. ووجدت للثانية ثلاث نسخ: إحداها بمكتبة جلبي عبد الله بتركيا وقد كتبت في حياة المؤلف، والثانية بمكتبة ولي الدين أفندي بتركيا، والثالثة بمكتبة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة. وللثالثة ثلاث نسخ، وللرابعة نسختين بدار الكتب المصرية، وللخامسة أربع نسخ: الأولي بجامعة الملك سعود، والثانية بمكتبة راغب باشا بتركيا، والثالثة بمكتبة شستربتي - دبلن أيرلندا، والرابعة نسخة المكتبة الظاهرية، كما وجدتُ للرسالة السادسة ثلاث نسخ: إحداها نسخة المكتبة الأزهرية، والثانية نسخة نور عثمانية بتركيا، والثالثة نسخة مكتبة أسعد أفندي بتركيا، واطلعتُ عليها فوجدتها عظيمة النفع، جمة الفوائد، وجمعت الكثير من أقوال أهل العلم في موضوعها، فاستخرتُ الله عز وجل وعزمتُ على دراستها، مبينًا صحة نسبتها للعلامة الكبير والعالم الحبر النحرير أبي بكر المرعشي المعروف بساجقلي زاده، والعلامة محمد بن يعقوب بن قاسم الأماسي، والعلامة ابن كمال باشا مفتي الثقلين، والعلامة علي بن محمد الجزار المصري الحنفي، والعلامة علي بن صادق الداغستاني؛ والعلامة نوح بن مصطفى الرومي، وموضحًا مصادرهم ومنهجهم فيها، وقد عزوتُ الآيات إلى سورها، والأحاديث إلى مخرجيها، والأقوال إلى قائليها.

وقد جمعت بين هذه الرسائل لوحدة موضوعها؛ لدراستها وتحقيقها وإخراجها في حلة قشيبة.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله زادًا لحسن القدوم عليه والوقوف بين يديه، إنه بكل جميلٍ كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وقد قسمتُ كلًّا منها بعد المقدمة والتمهيد إلى ستة فصول وخاتمة، أما المقدمة فقد تناولت تفاصيل الموضوع ومنهجي فيه، وأما التمهيد فقد ذكرت فيه أمرين:

الأول: الدراسات السابقة في الموضوع والتي تزيد على ستين رسالة.

والثاني: حديث: «إن أبي وأباك في النار» رواية ودراية، بقلم الباحث الدكتور عبد الرحمن رمضان الأزهري، مدرس الحديث وعلومه بجامعة الأزهر الشريف، والذي عرض فيه لدراسة الحديث دراسة طيبة ومنصفة، من ناحية الرواية والدراية، وقد أجاد الشيخ في عرض الموضوع، وخلص فيه إلى القول بلزوم الأدب مع أبوي المصطفى ﷺ، حيث يسع المنكر ما وسع أكابر العلماء في هذا الشأن.

وأما الفصل الأول: فقد خصصته لرسالة السرور والفرح في حق أبوي النبي ﷺ، للعلامة أبي بكر المرعشي (ت: ١١٥٠هـ)، وأما الفصل الثاني فقد عرضت فيه لرسالة أنباء الاصطفاء في حق أبوي المصطفى للعلامة محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي (ت: ٩٤٠هـ)، وأما الفصل الثالث فقد تناولت فيه رسالة تفصيل ما قيل في حق أبوي النبي للعلامة ابن كمال باشا (ت: ٩٤٠هـ)، وأما الفصل الرابع فقد خصص لرسالة تحقيق آمال الراجين بأن والدي المصطفى ﷺ من الناجين للعلامة علي بن محمد الجزار المصري الحنفي (ت: ٩٨٤هـ)، وأما الفصل الخامس ففيه رسالة إثبات النجاة والإيمان لوالدي سيد بني عدنان، للعلامة علي بن صادق الداغستاني (ت: ١١٩٩هـ)، وأما الفصل السادس فقد تناولت فيه مقدمة رسالة مرشد الهدى في حق أبوي الرسول ﷺ للعلامة نوح الرومي (ت: ١٠٧٠هـ)، وقد اشتمل كل فصل من الفصول الستة على ثلاثة مباحث كل منها يدور حول: مصنف كل منها من حيث ذكر

اسمه ونسبه ومولده وشيوخه وتلاميذه ومكانته العلمية ومصنفاته ووفاته، واسم رسالة كل منهم ووصفها ونسبتها له ووصف نسخها وصور منها، والنص المحقق.

وأما الخاتمة - نسأل الله حسنها- فقد ذكرت فيه أهم النتائج والتوصيات التي سيلمس القارئ الكثير منها أثناء معايشته لهاتيك الرسائل، ثم أعقبتها بفهرس للمراجع والموضوعات.

منهجي في التحقيق:

١- قمتُ بكتابة النص بالخط الإملائي المعروف، مع وضع علامات الترقيم.

٢- عزوتُ الآيات القرآنية إلى مواضعها من سورها، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية، ووضعتُها في المتن.

٣- عزوتُ ما ورد من القراءات القرآنية إلى مصادرها من كتب القراءات.

٤- خرجتُ الأحاديث والآثار من كتب السنة، مع ذكر أقوال العلماء في الحكم على الأحاديث بقدر الوسع والطاقة.

٥- وثقتُ النصوص التي أوردها المؤلف من مصادرها من كتب السيرة والتاريخ وغيرها.

٦- عزوتُ الأشعار إلى مظانها من دواوين أصحابها ومن كتب اللغة.

٧- ترجمتُ لمن رأيت أنه بحاجة إليها من الأعلام؛ والفرق الواردة في النص، عند أول موضع يرد ذكرهم فيه.

٨- عرفتُ بالمصطلحات العلمية والألفاظ الغريبة.

٩- علقتُ على بعض المسائل العلمية التي تحتاج إلى تعليق.

١٠- ذكرتُ في الحاشية اسم الكتاب، والجزء والصفحة، وبقية بيانات النشر ذكرتها في فهرس المراجع.

ثم ختم الكتاب بفهرس للمراجع والموضوعات.

وبعد فهذا جهد متواضع لخدمة بعض الآثار التي عُنيت بجانب من حق رسول الله ﷺ.

هذا وشكر الله لمن وجد فيه خللًا فنبهني إليه ودلني عليه.

ورحم الله العلامة الصبان حيث قال:

فإن تجد عيبا فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا

وكتبه

أبو أحمد/ علي رمضان الأزهري

عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر الشريف

الخميس: ٢ ربيع الأول ١٤٤٣هـ- ٧ أكتوبر٢٠٢١م

***

التمهيد

أولًا: الدراسات السابقة

لقد اهتم علماء الأمة قديمًا وحديثًا بالبحث في نسب النبي المختار ﷺ وما لآبائه من حقوق، وما دار حولهم من أقوال وردود، وهذه بعض المؤلفات التي صنفها العلماء مرتبة على حروف المعجم:

A «آباء النبي» لمحمد بن عبد الدائم البرماوي (ت٨٣١هـ)[١].

B «أخبار آباء النبي ﷺ» لأحمد بن محمد بن عمار (ت: ٣٤٦هـ)[٢].

C «أم النبي عليه الصلاة و السلام» عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) (ت: ١٤١٩هـ) [٣].

١- «أمهات النبي ﷺ» لعلي بن محمد بن عبد الله المدائني (ت: ٢٢٥هـ)[٤].

٢- «أمهات النبي ﷺ» لأبي جعفر محمد بن حبيب (ت: ٢٤٥هـ)[٥].

٣- «أنباء الاصطفاء في حق آباء المصطفى» محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي (ت٩٤٠).

٤- «الانتصار لوالدي النبي المختار ﷺ» للسيد مرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)[٦].

---

(١) معجم تاريخ التراث (٤/ ٢٧٩٥)، جهود العلماء في تصنيف السيرة النبوية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (ص٥٣).

(٢) الأعلام (١/ ٢٠٨)، إيضاح المكنون (٣/ ٤٦).

(٣) طبع بمطبعة دار الهلال بالقاهرة، العدد٢٦، شعبان١٣٧٢ه- مايو ١٩٥٣م.

(٤) الفهرست لابن النديم (ص١٣٠).

(٥) الأعلام (٦/ ٧٨)، هدية العارفين (٢/ ١٤)، معجم تاريخ التراث (٤/ ٢٦٥١).

(٦) إيضاح المكنون (٣/ ١٣٠).

٥- «الأنوار النبوية في آباء خير البرية ﷺ» لمحمد بن عبد الرفيع الأندلسي (ت: ١٠٥٢هـ)[١].

٦- «إيجاز الكلام في والدي سيد الأنام ﷺ» لمحمد بن محمد التبريزي (ت: ٨٥٥هـ)[٢].

٧- «بسط اليدين لإكرام الأبوين» محمد غوث بن ناصر الدين المدراسي الشافعي (ت ١٢٣٨هـ)[٣].

٨- «بلوغ المرام في آباء النبي عليه الصلاة والسلام» لإدريس بن محفوظ (ت: ١٣٥٤هـ)[٤].

٩- «تأديب المتمردين في حق الأبوين» عبد الأحد بن مصطفى السيواسي (ت ١٠٦١)[٥].

١٠- «تأكيد الأدلة على نجاة والدي النبي من النار» محمد نور سويد الحلبي[٦].

١١- «تحفة الصفا فيما يتعلق بأبوي المصطفى» أحمد بن عمر الديربي الغنيمي (١١٥١هـ)[٧].

---

(١) الأعلام (٦/ ٢٠٤)، فهرس المكتبة الوطنية المغربية، برقم (١٢٣٨ كتاني).

(٢) هدية العارفين (٢/ ١٩٨) حيث ذكر مؤلفًا له باسم مولد النبي فلعله هو، معجم تاريخ التراث (٥/ ٣٠٩٦).

(٣) طبع بتحقيق السيد عبد الله الحسيني، ط: دار البشائر، لبنان.

(٤) أعلام الفكر الجزائري (١/ ١٨٨)، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر (١/ ٢٢٥).

(٥) كشف الظنون (١/ ١٦٨)، إيضاح المكنون (٣/ ٢١١)، هدية العارفين (١/ ٤٩٣).

(٦) طبع بدار التراث الإسلامي بالقاهرة، سنة ٢٠٠٠م.

(٧) الأعلام (١/ ١٨٨)، ويراجع: إيضاح المكنون (٣/ ٢٥٢)، هدية العارفين (١/ ١٧٢).

١٢- «تحقيق النصرة للقول بإيمان أهل الفترة» حسن بن علي بن يحيى العجيمي المكي (ت: ١١١٣هـ)[١].

١٣- «تحقيق آمال الراجين في أن والدي المصطفى بفضل الله في الدارين من الناجين» علي بن محمد الجزار (ت: ٩٨٤هـ)[٢].

١٤- «التعظيم والمنة في أن أبوي المصطفى ﷺ في الجنة» للإمام السيوطي (ت: ٩١١هـ)[٣].

١٥- «تنبيه الغفول في إثبات إيمان آباء الرسول ﷺ» علي الكوباموي[٤].

١٦- «الجوهرة المضية في حق أبوي خير البرية» صالح بن محمد تمرتاشي الغزي (ت ١٠٥٥)[٥].

١٧- «حديقة الصفا في والدي المصطفى» محمد مرتضى بن محمد الزبيدي الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ)[٦].

١٨- «خلاصة الوفاء في طهارة أصول المصطفى من الشرك والجفاء» محمد يحيى بن محمد المختار بن الطالب الشنقيطي الولاتي (ت: ١٣٣٠هـ).

---

(١) مختصر نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة (ص١٦٧-١٧٣)، عبد الله مرداد أبو الخير، ط: دار المعرفة مكة، الثانية:١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

(٢) كشف الظنون (١/ ٣٧٧)، هدية العارفين (١/ ٧٤٨).

(٣) طبع بتحقيق الشيخ محمد حسنين مخلوف، ط: دار جوامع الكلم.

(٤) معجم الشعراء من العصر الجاهلي إلى سنة٢٠٠٢م (٣/ ٤٠٨)، كامل سلمان الجبوري، ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٤ه-٢٠٠٢م.

(٥) يراجع: معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ (ص٥٢).

(٦) إيضاح المكنون (٣/ ٣٩٨)، ويراجع: هدية العارفين (٢/ ٣٤٨).

١٩- «الدر اليتيم في إيمان آباء النبي الكريم» علي أنور الكاكوروي (ت: ١٣٢٤)[١].

٢٠- «الدرج المنيفة في الآباء الشريفة» للإمام السيوطي (ت: ٩١١هـ)[٢].

٢١- «ذخر العابدين في نجاة والدي المكرم سيد المرسلين ﷺ» للأسبيري (ت١١٩٤هـ)[٣].

٢٢- «الرد على من اقتحم القدح في الأبوين المكرمين» حسن البخشي الحلبي (ت ١١٩٠هـ)[٤].

٢٣- «الرسالة البيانية في حق أبوي النبي ﷺ» لمحمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ)[٥].

٢٤- «رسالة في أبوي النبي ﷺ» للفناري (ت: ٩٢٩هـ)[٦].

٢٥- «رسالة في تفصيل القول في أبوي النبي» أحمد بن سليمان بن كمال باشا (ت ٩٤٠).

٢٦- «رسالة في أبوي النبي» عبد القادر بن محمد الطبري المكي (ت١٠٣٣)[٧].

(١) نثر الجواهر والدرر (١/ ٨٨٣)، ويراجع: الإعلام بما في تاريخ الهند من الأعلام (ص١٣١١).

(٢) كشف الظنون (١/ ٧٤٥)، هدية العارفين (١/ ٥٣٩)، وقد طبع ضمن مجموعة رسائل للسيوطي، بتحقيق: حسين علي شكري، ط: دار الكتب العلمية.

(٣) سلك الدرر (٤/ ١٢١)، كشف الظنون (١/ ٤٣١)، إيضاح المكنون (٣/ ٥٤٠)، هدية العارفين (٢/ ٣٤٢)، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (٧/ ١٠١).

(٤) سلك الدرر (٢/ ٢٦)، ويراجع: الأعلام (٢/ ١٩٧)، إيضاح المكنون (٤/ ٦٨٤).

(٥) معجم ما صنف في السيرة النبوية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (ص٥٤).

(٦) كشف الظنون (١/ ٨٤١)، هدية العارفين (٢/ ٢٢٩)،

(٧) يراجع: خلاصة الأثر (٢/ ٤٥٧)، الأعلام (٤/ ٤٤).

٢٧- «رسالة في إسلام والدي النبي ﷺ» لابن المنلا شمس الدين الحصكفي (ت: ١٠١٠هـ)[١].

٢٨- «رسالة في إيمان أبوي النبي» أبو الحسن بن عمر بن علي القلعي (ت ١١٩٩)[٢].

٢٩- «رسالة في إثبات النجاة والإيمان لوالدي سيد الأكوان ﷺ» لعلي بن صادق الداغستاني (ت: ١١٩٩هـ)[٣].

٣٠- «رسالة موجزة في حق أبوي النبي» سليمان بن عبد الرحمن مستقيم زاده الحنفي (ت: ١٢٠٢هـ)[٤].

٣١- «السبل الجلية في الآباء العلية» للسيوطي (ت: ٩١١هـ)[٥].

٣٢- «سبل السلام في حكم آباء سيد الأنام» محمد بن عمر بالي المدني (ت بعد ١٢٨٥هـ)[٦].

٣٣- «سَدَاد الدِين و سِدَاد الدَين في إثبات النجاة والدرجات للوالدين» العلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي (ت: ١١٠٣هـ)[٧].

---

(١) هدية العارفين (٢/ ٢٦٤).

(٢) مخطوطة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، برقم سجل ٧٩٦٢٦.

(٣) مخطوط بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم (٣٨١٠)، ويراجع: الأعلام (٤/ ٢٩٤)، معجم المطبوعات العربية والمعربة (٢/ ٨٦٠).

(٤) خزانة التراث: (الرقم التسلسلي: ٥٤٩٥٨).

(٥) الأعلام (٣/ ٣٠٢)، معجم المطبوعات العربية (٢/ ١٩٧٣)، وطبع بتحقيق زينهم محمد عزب، ط: دار الأمين بالقاهرة.

(٦) معجم المطلبوعات العربية (٢/ ٥٢١).

(٧) هدية العارفين (٢/ ٣٠٣)، خزانة التراث (الرقم التسلسلي: ٩٠٦٨٢).

٣٤- «السرور والفرح في حق والدي الرسول» محمد بن أبي بكر المرعشي ساجقلي (ت ١١٥٠)[١].

٣٥- «سعادة الدارين في تأييد القول بنجاة الأبوين» لمحمد علي بن حسين المالكي (ت: ١٣٦٧هـ)[٢].

٣٦- «العقد المنظم في أمهات النبي المكرم» للسيد مرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)[٣].

٣٧- «قرة العين في إيمان الوالدين» حسين بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالدوايخي (ت ١١٧٥هـ)[٤].

٣٨- «الكلام المقبول في إثبات إسلام آباء الرسول» وكيل السكندربوري (ت: ١٣٢٢هـ)[٥].

٣٩- «كنى آباء الرسول ﷺ» لهشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت: ٢٠٤هـ)[٦].

٤٠- «مرشد الهدى في نجاة أبوي المصطفى ﷺ» لوحدي الرومي (ت: ١١٢٦هـ)[٧].

٤١- «مسالك الحنفا في والدي المصطفى ﷺ» للإمام السيوطي (ت: ٩١١هـ)[٨].

---

(١) هدية العارفين (٢/ ٣٢٢)، معجم تاريخ التراث (٤/ ٢٤٧٨).

(٢) مطبوع بمطبعة الصاوي بمصر.

(٣) طبع بتحقيق عبد الله الكندري بالكويت.

(٤) هدية العارفين (١/ ٣٢٦).

(٥) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ(نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) (٨/ ١٤٠٠).

(٦) الفهرست (ص١٢٧)، معجم الأدباء لياقوت (٦/ ٢٧٨١).

(٧) كشف الظنون (١/ ٣٥)، هدية العارفين (١/ ٣٧)، معجم تاريخ التراث (٥/ ٣٨٥٩).

(٨) الأعلام (٣/ ٣٠٢)، كشف الظنون (٢/ ١٦٦٣)، هدية العارفين (١/ ٥٤٢)، وهو مطبوع بتحقيق:

٤٢- «مطلع النيرين في إثبات النجاة والدرجات لوالدي سيد الكونين» أحمد بن علي المنيني (ت: ١١٧٢هـ)[١].

٤٣- «المقامة السندسية في الآباء الشريفة المصطفوية» للإمام السيوطي (ت: ٩١١هـ)[٢].

٤٤- «نثر در الفضائل العظيمة في مناقب السيدة آمنة الكريمة» يحيى بن محمد العطار مؤذن الحرم المكي (ت ١٢٦٠هـ)[٣].

٤٥- «منهاج السنة في كون أبوي النبي ﷺ في الجنة» لابن طولون (ت: ٩٥٣هـ)[٤].

٤٦- «نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين» للإمام السيوطي (ت: ٩١١هـ)[٥].

٤٧- «هدايا الكرام في تنزيه آباء النبي عليه الصلاة والسلام» للبديعي (ت: ١٠٧٣هـ)[٦].

***

محمد زينهم محمد عزب.

(١) هدية العارفين (١/ ١٧٥)، ويراجع: معجم ما ألف عن رسول الله (ص٥٣).

(٢) طبعت ضمن مجموع بعنوان رسائل للإمام الحافظ السيوطي، بتحقيق: راشد الخليلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

(٣) مخطوط بجامعة الملك سعود برقم (٢٠٣٥).

(٤) الفلك المشحون لابن طولون (ص١٣٤).

(٥) طبعت ضمن مجموع بعنوان رسائل للإمام الحافظ السيوطي، بتحقيق: راشد الخليلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

(٦) الأعلام (٨/ ٢٢٠)، إيضاح المكنون (٤/ ٧١٨)، هدية العارفين (٢/ ٥٦٧).

ثانيًا: حديث «إن أبي وأباك في النار» رواية ودراية

بقلم فضيلة الدكتور

عبد الرحمن رمضان الأزهري

مدرس الحديث وعلومه بجامعة الأزهر الشريف

هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ﷺ «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّـهِ ! أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «فِي النَّارِ»، فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**».

قلتُ: هذا الحديث ثار حوله جدل كبير، بل وصار مفرق طريق للبعض بين الإسلام والكفر، فراح البعض يطعنون في الحديث، ويتهمون من حاولوا توثيقه بكراهة النبي ﷺ وأهله، وراح البعض الآخر يتهمون من حاولوا رده بأنهم يحاولون العبث بالسنة، وكأن السنة ليس فيها سوى هذا الحديث، ومن اعتقد ما فيه فهو من أهل الجنة، وإلا فهو مكذِّب للنبي ﷺ من أهل النار، وبعضهم راح يهز رأسه قائلًا: لو صحت نجاة والدي النبي ﷺ لكنَّا أسعد الناس بها، ولكن الذي صح أنهما من أهل النار، بل والأدهى من ذلك أن البعض يتناقلون هذا الأمر فيما بينهم، ويحاولون إقناع الناس به كأنه من العقائد، بل ورأيتُ البعض يمتحن الآخرين بهذا الحديث.

وقد بلغت الوقاحة ببعض أدعياء العلم أن زعموا أن من شتم والدي النبي ﷺ لا شئ عليه؛ لأنه شتم ناسًا من أهل الشرك، مع أن النبي ﷺ هو القائل فيما رواه الإمام أحمد برقم (١٨٢٠٩) والترمذي برقم (١٩٨٢): «**لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء**»، وفيما رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٨٥) وقال: صحيح الإسناد، وسكت عليه

الذهبي: «لا تؤذوا مسلمًا بشتم كافر»، وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [التوبة: ٦١]، فلو افترضنا أنهم كفار لما كان شتمهم جائزًا لما فيه من إيذاء النبي ﷺ.

وقد كان ممن تعرض لرد الحديث الإمام السيوطي في رسالته «مسالك الحنفا في نجاة والدي المصطفى ﷺ»، حيث قال: فإن قلتَ: بقيت عقدةٌ واحدةٌ، وهي ما رواه مسلمٌ عن أنسٍ «أن رجلًا قال: يا رسول اللهّ أين أبي؟ قال: في النار، فلما قفَّى دعاه، فقال: إن أبي وأباك في النار»، وحديث مسلم وأبي داود عن أبي هريرة أنه ﷺ استأذن في الاستغفار لأمه فلم يُؤذَن له، فاحلل هذه العقدة، قُلْتُ: على الرأس والعين، والجواب: أن هذه اللفظة، وهي قوله: «إن أبي وأباك في النار»، لم يتفق على ذكرها الرواة، وإنما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنسٍ، وهي الطريق التي رواه مسلمٌ منها، وقد خالفه معمر عن ثابت، فلم يذكر: «إن أبي وأباك في النار»، ولكن قال: «إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار»، وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده ﷺ بأمرٍ البتة، وهو أثبت من حيثُ الروايةُ، فإن معمرًا أثبت من حمادٍ، فإن حمادًا تُكلِّم في حفظه، ووقع في أحاديثه مناكير، ذكروا أن ربيبه دسَّها في كتبه، وكان حمادٌ لا يحفظ فحدَّث بها فوهم، ومن ثمَّ لم يخرِّج له البخاري شيئًا، ولا خرَّج له مسلم في الأصول إلَّا من حديثه عن ثابتٍ، وأمَّا معمر فلم يتكلَّم في حفظه، ولا استنكر شيءٌ من حديثه، واتفق الشيخان على التخريج له، فكان لفظه أثبت...، ثم ذكر السيوطي: شاهدًا لحديث معمر من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

قلتُ: وفي كلام السيوطي رحمه الله تعالى ما فيه، فالقول بأن معمر بن راشد خالف حماد بن سلمة في لفظه، وبأن معمر بن راشد أوثق من حماد بن سلمة، محل نظر لا يخفى، فإن أهل العلم بالحديث قالوا: أثبت الناس في ثابت البناني هو حمادُ بن سلمة،

ومهما خالفه من أحدٍ فالقولُ قولُ حمادٍ، فقال أبو حاتم الرازي (العلل: ص ٢١٨٥): حماد بن سلمة أثبت الناس في ثابتٍ وفي علي بن زيد، وقال أحمد بن حنبل: حماد بن سلمة أثبت في ثابتٍ من معمر، وقال ابن معين: من خالف حماد بن سلمة فالقول قول حمادٍ، قيل: فسليمانُ بن المغيرة عن ثابت؟ قال: سليمانُ ثبتٌ، وحماد أعلم الناس بثابت. وقال ابنُ معينٍ مرة: أثبت الناس في ثابت حماد بن سلمة، وقال العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٩١): أصح الناس حديثًا عن ثابت حماد بن سلمة، وقد أكثر مسلمٌ من التخريج لحماد بن سلمة عن ثابت في الأصول، أما معمر بن راشد فإنه وإن كان ثقةً في نفسه، إلاَّ أن أهل العلم بالحديث كانوا يضعفون روايته عن ثابت البناني، ولم يخرج له مسلمٌ شيئًا في صحيحه عن ثابت إلا حديثًا واحدًا في المتابعات، ومقرونًا بعاصم الأحول، وهذا يدلك على مدى ضعف رواية معمر عن ثابت، ولذلك قال ابنُ معين: معمر عن ثابت ضعيفٌ، وقال مرَّةً: وحديث معمر عن ثابت، وعاصم بن أبي النجود، وهشام بن عروة وهذا الضرب مضطربٌ كثيرُ الأوهام. وقال العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٩١): أنكرُ الناس حديثًا عن ثابت معمر بن راشد، ومن خلال ذلك يتضح صحة رواية حماد بن سلمة، وشذوذ رواية معمر بن راشد.

وأما قولُ السيوطي: إن ربيب حماد بن سلمة دسَّ في كتبه أحاديث مناكير، وانطلى أمرها على حمادٍ لسوء حفظه، فمستند كل من ردد هذه التهمة ما ذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/ ٥٩٣) من طريق الدولابي قال: حدثنا محمد بن شجاع بن الثلجي حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي قال: كان حماد بن سلمة لا يعرف بهذه الأحاديث -يعني أحاديث الصفات- حتى خرج مرة إلى عبادان، فجاء وهو يرويها، فلا أحسب إلا شيطانًا خرج إليه من البحر فألقاها إليه، قال ابن الثلجي: فسمعتُ عباد بن صهيب يقول: إن حمادًا كان لا يحفظ، وكانوا يقولون إنها دُسَّت في

كتبه، وقد قيل: إن ابن أبي العوجاء كان ربيبه، فكان يدس في كتبه، وقد علق الذهبي: على هذه الحكاية بقوله: «ابن الثلجي ليس بمصدق على حمادٍ وأمثاله، وقد اتُهم نسأل اللهَ السلامة»، واتهام المتهم لا يقبل في حق من هو دون حماد في الثقة والإتقان، فكيف برجل كحماد بن سلمة؟

وأما قولُهُ: «ولم يخرج له البخاري شيئًا»، فمتى كان ترك البخاري التخريج لراوٍ يقتضي أنه ضعيف، كيف وقد عاب ابنُ حبان على البخاري أنه ترك حماد بن سلمة، وخرَّج لمن هو أدنى منه حفظًا وفضلًا، فقال: «ولم ينصف من جانب حديث حماد بن سلمة، واحتج بأبي بكر بن عياش، وبابن أخي الزهري، وبعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، فإن كان تركُه إياه لما كان يخطئ، فغيرُهُ من أقرانه مثل الثوري وشعبة وذويهما كانوا يخطئون، فإن زعم أن خطأه قد كثر من تغير حفظه، فقد كان ذلك في أبي بكر بن عياش موجودًا، وأنَّى يبلغُ أبو بكر حماد بن سلمة في إتقانه، أم في جمعه؟ أم في عمله؟ أم في ضبطه».

وأما الشاهد الذي احتج به السيوطي لتقوية لفظ معمر بن راشد، فقد أخرجه البزار، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٠٠)، والطبراني في «الكبير» رقم (٣٢٦)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ١٩١، ١٩٢)، وأبو نعيم في «المعرفة» رقم (٥٤٠)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١/ ٣٣٣) من طريق زيد بن أخزم ثنا يزيد بن هارون ثنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه أن أعرابيًا قال لرسول اللهَ ﷺ: أين أبي؟ قال: «في النار»، قال: فأين أبوك؟ قال: «**حيثما مررت بقبر كافرٍ فبشره بالنار**»، قال السيوطي: «وهذا إسنادٌ على شرط الشيخين»، وليس كما قال، فقد ذكر ابنُ كثير هذا الحديث في «البداية والنهاية» (٢/ ٢٨٠)، وقال: غريبٌ وقد خولف زيد بن أخزم في إسناده، فخالفه محمد بن إسماعيل بن البختري

الواسطيُّ، فرواه عن يزيد بن هارون عن إبراهيم بن سعد عن سالم عن أبيه فذكره، أخرجه ابن ماجه (١٥٧٣)، وقال البوصيري في «الزوائد» (١/ ٥١٥): هذا إسنادٌ صحيحٌ رجالُهُ ثقات، ومحمد بن إسماعيل وثقه ابنُ حبان والدارقطني والذهبيُّ، وباقي رجال الإسناد على شرط الشيخين، ولكن رواية زيد بن أخزم أولى بالتقديم؛ لأنه أثبت من محمد بن إسماعيل بن البختري، ولأنه توبع عليه كما في رواية البزار، والذي تابعه هو محمد بن عثمان بن مخلد، وقد قال عنه أبو حاتم: شيخ، وقال ابنُه: صدوق، ووثقه ابنُ حبان، بل وقد تابعه محمد بن أبي نعيم الواسطي كما عند الطبراني في «الكبير» (٣٢٦) وهي متابعةٌ جيدة، فابن أبي نعيم وثقه أبو حاتم وابن حبان، وقال أحمد بن سنان: صدوق، ولكن كذبه ابنُ معينٍ وأبعد في ذلك، وقد أعلَّ أبو حاتم هذا الحديث في «العلل» (٢/ ٢٢٦٣) بقوله: «كذا رواه يزيد وابن أبي نعيم، ولا أعلمُ أحدًا يجاوز به الزهري غيرهما، إنما يرونه عن الزهري، قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ... والمرسل أشبه»، ولكن قولُ أبي حاتم متعقَّبٌ، فقد رواه اثنان آخران متصلًا، وهما الوليد بن عطاء بن الأغرعن إبراهيم بن سعد به، ذكره الدارقطنيُّ في «العلل» (٤/ ٣٣٤)، والوليد صدوق، والثاني هو الفضل بن دكين عن إبراهيم بن سعد، كما عند البيهقيِّ في «الدلائل» (١/ ١٩١) وسنده صحيحٌ، وقد رجَّح الضياء المقدسي الرواية المتصلة، بينما رجح أبو حاتم الرواية المرسلة، ويبدو أن قول أبي حاتم هو الصواب، والرواية المرسلة أخرجها عبد الرزاق في «المصنف» (١٩٦٨٧) عن معمر بن راشد عن الزهري قال: جاء أعرابي... وساق الحديث، فهكذا اختلف إبراهيمُ بن سعد ومعمر بن راشد، ولا شك عندنا في تقديم رواية معمر المرسلة؛ لأن معمرًا ثبتًا في الزهري، وأما إبراهيم بن سعد، فقال صالح بن محمد الحافظ: سماعه من الزهري ليس بذاك؛ لأنه كان صغيرًا حين سمع من الزهري، وقال ابن معين لما سئل:

إبراهيم بن سعد أحب إليك في الزهري أو ليث بن سعد؟ قال: كلاهما ثقتان، ولكن إذا تدبرت قول يعقوب بن شيبة في الليث: «ثقة وهو دونهم في الزهري - يعني دون مالك ومعمر وابن عيينة - وفي حديثه عن الزهري بعض الاضطراب»، علمت أن قول ابن معين لا يفيد تثبته في الزهري كمعمر، فالذي يتحرر أن الرواية المرسلة هي المحفوظة، وهي التي رجحها أبو حاتم الرازي والدارقطني، فلا معنى للقول بأنه على شرط الشيخين بعد ثبوت هذه المخالفة.

وأيضًا هذا الحديث لم يذكره الإمام الدارقطني: في كتابه «الإلزامات والتتبع»، ولا في العلل، ولا ذكره ابن عمار فيما انتقده على مسلم، ولم يطعن فيه أحد من الأئمة قبل الإمام السيوطي: .

ولكن الحديث مع ثبوته لو حملناه على ظاهره، فسنجد أنه يعارض الآيات القرآنية القطعية الثبوت والدلالة، التي تنص على نجاة من لم تبلغهم الدعوة، ولذا وجدنا العلماء يختلفون حول الحكم في أهل الفترة الذين لم يدركوا الأنبياء، كقوم نبينا ﷺ قبل بعثته، فنجد بعض الناس يختار القول بأنهم معذَّبون في النار، والبعض يختارون نجاتهم، فيقول ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]: «بقي ههنا مسألة قد اختلف فيها الأئمة قديمًا وحديثًا، وهي الولدان الذين ماتوا صغارًا وآباؤهم كفار ماذا حكمهم؟ وكذا المجنون والأصم والشيخ الخرف، ومن مات في الفترة ولم تبلغه الدعوة»، وذكر ابن حجر في «الفتح» (٣/ ٢٩٠) عند قول البخاري: «باب ما قيل في أولاد المشركين» أن العلماء اختلفوا في هذه المسألة على أقوال فعدها، ثم قال: «الثامن: أنهم في الجنة... قال النووي: وهذا المذهب الصحيح المختار، الذي صار إليه المحققون؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وإذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة، فلأن لا يعذب غير العاقل من باب الأولى».

والنووي: يقيس هنا أطفال المشركين؛ لاختلاف الأدلة فيهم على من لم تبلغه الدعوة، ومنهم أهل الفترة، فيحكم بدخولهم الجنة، فالذين لم تبلغهم الدعوة -حسب فهمه- هم الأصل الشرعي في النجاة؛ نظرًا إلى الآية السابقة، والعلماء الذين قالوا بنجاة أهل الفترة، ودخولهم الجنة بعفو الله، يرون أن الآية عامة في نفي كل عذاب، سواء كان دنيويًا أو أخرويًا - خلافًا لمن خصها بدفع عذاب الدنيا بسبب مناسبة السياق- واعتمدوا في إثبات هذا العموم على أمرين:

أولهما: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وإذا كان سبب نزول الآيات لا يخصصها، فأولى من ذلك ألا يخصصها السياق.

وثانيهما: أنه غير معقول أن يكون عدم وجود الرسول ينجيهم من عذاب الدنيا وهو الأقل دون أن ينجيهم من عذاب الآخرة، وهو الأكثر والأشد، والأكثر دوامًا.

ويضاف إلى ذلك أن هذه الصيغة «وما كنا معذبين» تدل على أن المنفي بها لا يمكن أن يقع، وهذا أبلغ في نفي العذاب عنهم، وإذا كان الخلق يوم القيامة ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧] كما قال الله في كتابه الكريم، كان نفي العذاب إثباتًا لدخول الجنة؛ لأنه ليس هناك فريق ثالث كما صرحت الآية.

والعلماء القائلون بنجاة أهل الفترة الذين لم تبلغهم الدعوة يؤكدون شمول الآية لقوم سيدنا محمد ﷺ قبل أن يُبعَث إليهم، فمن مات منهم قبل الدعوة كان ناجيًا ومن أهل الجنة، خلافًا لمن قال: إنهم سبقت لهم دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، وإنما قالوا بنجاتهم؛ لأن الله نص على أنهم لم يأتهم نذير، وأنهم غافلون، فقال سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس: ٣ - ٦]، وقال في آية أخرى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ

يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

وأما دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، فما بلغتهم إلا وهي محرَّفة مغيرة، يتناقلها الناس شفاهًا، ولم يبق من صحفهما شيء يمكن الرجوع إليه، أو يوثق به، والنظر العقلي لا يعتمد عليه في استحقاق العذاب، وإن كان يمكن أن يعرف به الحق في شأن التوحيد وحقوقه، وقد عذر الله العباد إذا لم يرسل إليهم رسولًا، فما كل عاقل يعرف الحق، لاسيما البسطاء.

وقد وردت أحاديث في قوم من أهل الفترة وحدوا الله تعالى، فأخبر النبي ﷺ أنهم في الجنة، كالذي ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» عند ذكره زيد بن عمرو بن نفيل (١/ ٢٢٤) قال: فمن ذلك ما رواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة بسنده عن جابر قال: سئل رسول الله ﷺ عن زيد بن عمرو بن نفيل أنه كان يستقبل القبلة في الجاهلية، ويقول: إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم، ويسجد، فقال رسول الله ﷺ: «**يحشر ذاك أمة وحده بيني وبين عيسى بن مريم**» إسناده جيد حسن، وقال الباغندي عن أبي سعيد الأشج عن أبي معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**دخلتُ الجنة فرأيتُ لعمرو بن نفيل دوحتين**»، وهذا إسناده جيد»، انتهى كلام ابن كثير.

وكذلك وردت أحاديث في أفراد من أهل الفترة أنهم في النار، وذلك كحديث مسلم الذي معنا أن النبي ﷺ قال للأعرابي: «**إن أبي وأباك في النار**»، فذهب العلماء الذين اختاروا نجاة عموم أهل الفترة إلى ترجيح العمل بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]؛ لأن الحديث غير القرآن، فهو ظني الثبوت؛ لوروده من طريق واحد، فهو وإن كان صحيح الإسناد، لكنه يحتمل الوهم أو الخطأ، بخلاف آيات القرآن الكريم القطعية الثبوت، وكذلك هو يحتمل التأويل، ولذلك

يرجح العلماء بين الأحاديث، وإن كان كل منها واردًا في الصحيحين كما سبق، ولكن لما تبين صحة الحديث كان لابد من المصير للتأويل، حتى لا يكون هناك تعارض بين القرآن والسنة.

ولكن نلاحظ أن العلماء لما لجأوا للتأويل لم يجعلوا الحديث مخصصًا للآية؛ لأن سبب دفع العذاب عن أهل الفترة هو عدم وجود الرسول الذي يبلغهم، وهذا السبب موجود في والدي النبي ﷺ وأهل زمانهما، فإن لم يكن لهما خصوصية تميزهما على أهل زمانهما، فلا أقل من أن يكونا مثلهم، بخلاف من انتفى عنه السبب، كقول النبي ﷺ في عمرو بن لحُيٍّ: «**إنه رآه يجر قصبه في النار**» يعني أمعاءه، وبيَّن أن سبب ذلك هو أنه أول من غيَّر دين إسماعيل، كما رواه مسلم برقم (٢٨٥٦)، ومع أن النووي: صرَّح فيما سبق بأن الذين لم تبلغهم الدعوة لا يُعذَّبون، لكنه عاد عند هذا الحديث، وقال في شرحه: «فيه أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا تنفعه قرابة المقربين، وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان، فهو من أهل النار، وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء».

وقد احتج البعض ممن يرون عدم نجاة والدي النبي ﷺ بكلام النووي هذا، ولكن فاتهم أن الأبي قد رد عليه في شرحه على مسلم (١/ ٦١٧) فقال: «تأمل ما في كلامه من التنافي، فإن من بلغتهم الدعوة ليسوا بأهل فترة... فأهل الفترة هم الأمم الكائنة بين الذين لم يرسل إليهم الأول، ولا أدركوا الثاني، كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى، ولا لحقوا النبي ﷺ... ولما دلت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة، علمنا أنهم غير معذبين»، أي إن القول ببلوغ دعوة إبراهيم إليهم ينافي معنى الفترة.

وأقول: بل ينافي قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس: ٦]،

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١].
ومخالف لقول النووي نفسه بأن من لم تبلغه الدعوة لا يُعذَّب، ولقياسه أطفال المشركين على من لم تبلغه الدعوة في كونهم ناجين كما تقدم، ومخالف لقوله في «الروضة» (١٠/ ٢٣٨): «لا يُقاتَل من لم تبلغه الدعوة حتى يدعوه»، وهي مسألة اتفق عليها الأئمة الأربعة، وقد قال النووي نفسه (١٦/ ٤٢٤) في حديث مسلم برقم (٢٦٦١) قال رسول الله ﷺ: «**إن الغلام الذي قتله الخضر طُبِعَ كافرًا**»: «فيجب تأويله قطعًا..، فيتأول على أن معناه: أن الله علم أنه لو بلغ لكان كافرًا، لا أنه كافر في الحال، ولا يجري عليه في الحال أحكام الكفار، وهذا تعليل؛ لأن الخضر قتله بأمر الله، فكانت ثمرة ذلك أن يموت قبل سن التكليف، فلا يحاسب».

وقال العز بن عبد السلام في أماليه: «كل نبي إنما أُرسِلَ إلى قومه إلا نبينا ﷺ، فعلى هذا يكون ما عدا قوم كل نبي من أهل الفترة، إلا ذرية النبي السابق فإنهم مخاطبون ببعثة السابق، إلا أن تدرس شريعة السابق، فيصير الكل من أهل الفترة»، فبان بذلك أن الوالدين من أهل الفترة بلا شك؛ لأنهما ليسا من ذرية عيسى ولا من قومه عليه السلام.

وكذلك استدل القائلون بنجاتهما بدليل آخر، وهو أنهما لم يثبت عنهما شرك، بل كانا على الحنيفية دين جدهما إبراهيم عليه السلام، كما كان على ذلك طائفة من العرب، كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما، وهذا المسلك ذهبت إليه طائفة منهم الإمام فخر الدين الرازي، فقال في كتابه «أسرار التنزيل»: «قيل: إن آزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه، واحتجوا عليه بوجوه: منها أن آباء الأنبياء ما كانوا كفارًا، ويدل عليه وجوه: منها قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩]، قيل: معناه أنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد، وبهذا التقدير فالآية دالة على أن جميع آباء محمد ﷺ كانوا مسلمين، وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم عليه السلام ما كان من الكافرين، إنما

ذاك عمه، وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها، وجب حمل الآية على الكل، ومتى صح ذلك ثبت أن والد إبراهيم عليه السلام ما كان من عبدة الأوثان.

ثم قال: ومما يدل على أن آباء محمد ﷺ ما كانوا مشركين قوله ﷺ: «**لم أزل أُنقَل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات**»[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركًا.

وقال السيوطي:: وعندي في نصرة هذا المسلك، وما ذهب إليه الإمام فخر الدين أمور: أحدها دليل استنبطته مركب من مقدمتين:

الأولى: أن الأحاديث الصحيحة على أن كل أصل من أصول النبي ﷺ من آدم إلى أبيه عبد الله فهو من خير أهل قرنه وأفضلهم، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثتُ من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا، حتى بعثتُ من القرن الذي كنتُ فيه**»، وأخرج مسلم والترمذي وصححه عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»، وأخرج الترمذي وحسَّنه والبيهقي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله حين خلقني جعلني من خير خلقه، ثم حين خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلة، وحين خلق النفس جعلني من خير أنفسهم، ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم بيتًا**

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة بلفظ: «لم يلتق أبواي في سفاح، لم يزل الله عز وجل ينقلني من أصلاب طيبة إلى أرحام طاهرة، صافيًا مهذبًا، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما» برقم (١٥)، وذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ٢٤٣)، وقال: «موضوع، وضعه بعض القصاص»، والشوكاني في الفوائد المجموعة (ص٣٢٠).

وخيرهم نفسًا»، ومن المعلوم أن الخيرية والاصطفاء والاختيار من الله، والأفضلية عنده لا تكون مع الشرك.

وهناك دليل آخر: وهو أنه قد ثبت في الحديث الصحيح أن أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وأنه في ضحضاح من النار في رجليه نعلان يغلي منهما دماغه، فهذا مما يدل على أن أبوي النبي ﷺ ليسا في النار؛ لأنهما لو كان فيها لكانا أهون عذابًا من أبي طالب؛ لأنهما أقرب منه مكانًا وأبسط عذرًا، فإنهما لم يدركا البعثة، ولا عُرِضَ عليهما الإسلام فامتنعا، بخلاف أبي طالب، وقد أخبر ﷺ أنه أهون أهل النار عذابًا، فليس أبواه من أهلها، وهذا يسمى عند الأصوليين دلالة الإشارة.

وهناك من حملوا الحديث على عم النبي ﷺ أبي طالب، واستدلوا بأن العرب تطلق لفظ الأب على العم إطلاقًا شائعًا وإن كان مجازًا، كما سمَّى القرآن عم إبراهيم عليه السلام أبًا، فإن آزر ليس أبًا لإبراهيم عليه السلام، كما ورد عن جماعة من السلف، فقد أخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق بعضها صحيح عن مجاهد قال: ليس آزر أبا إبراهيم. وأخرج ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريج قال: ليس آزر بأبيه إنما هو إبراهيم بن تيرح، أوتارح بن شاروخ بن ناحور بن فالخ، وفي التنزيل قال سبحانه: ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، فأطلق على إسماعيل لفظ الأب وهو عم يعقوب، كما أطلق على إبراهيم وهو جده، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ يوم حنين قال: «أنا النبي لا كذب ** أنا ابن عبد المطلب»، ومعروف أنه جده لأبيه، وهذا هو التأويل الأقرب إلى الصواب عندي، والله أعلم.

وذهب جمع من العلماء لم تقوَ عندهم هذه المسالك، إلى إبقاء حديث مسلم على ظاهره، من غير عدول عنه بدعوى نسخ ولا غيره، ومع ذلك قالوا: لا يجوز لأحد أن يذكر ذلك، قال السهيلي في «الروض الأنف» بعد إيراده حديث مسلم: «وليس لنا نحن

أن نقول ذلك في أبويه ﷺ؛ لقوله ﷺ: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات»، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [الأحزاب: ٥٧] الآية. وسُئِل القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية عن رجل قال: إن أبا النبي ﷺ في النار، فأجاب بأن من قال ذلك فهو ملعون؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، قال: ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه ﷺ: إنه في النار، ومن العلماء من ذهب إلى قول خامس وهو الوقف، قال الشيخ تاج الدين الفاكهاني في كتابه «الفجر المنير»: الله أعلم بحال أبويه.

قلتُ: هذا خلاصة الخلاف حول هذا الحديث، فليت الذي يطيل لسانه في أبوي النبي ﷺ يكف عنه، ويسعه ما وسع من توقف في ذلك من العلماء، إن لم يعتقد نجاتهما، بدلًا من إثارة قضية توغر الصدور، وليست هي من أصول الإيمان، التي من اعتقدها خرج من الإيمان، أو دخل في الإيمان.

هذا ولما بحثتُ ولم أجد – في حدود اطلاعي القاصر – من تناول رسائل «السرور والفرح في حق أبوي النبي» للمرعشي المعروف بساجقلي زاده، و«أنباء الاصطفا في حق آباء المصطفى» للعلامة محمد بن يعقوب الأماسي، و«تفصيل القول فيما قيل في أبوي النبي» لابن كمال باشا، و«تحقيق آمال الراجين بأن والدي المصطفى من الناجين» لعلي بن الجزار المصري الحنفي، و«إثبات النجاة والإيمان لوالدي سيد ولد بني عدنان» لعلي بن صادق الداغستاني الحنفي بالدراسة والتحقيق، عقدتُ العزم على دراستها وتحقيقها؛ رجاء شفاعة النبي المختار يوم العرض على العزيز الغفار، وليفيد منها طلاب العلم في كل مكان.

***

الرَّدُّ عَلَى مُلَّا عَلِي القَارِي

المُسَمَّى

السُّرُورُ وَالفَرَحُ فِي حَقِّ أَبَوَي النَّبِيِّ ﷺ

مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر المرعَشِيّ (سَاجقْلِي زَادَه - ١١٥٠هـ)

دِرَاسَة وَتَحقِيق

د. عَلِي رَمَضَان الأَزهَرِيّ

العلامة المرعشي (ساجقلي زاده) حياته وآثاره

١- اسمه ونسبه ومولده:

هو محمد بن أبي بكر المرعشي، المعروف بساجقلي زاده، فقيه حنفي، مفسر صوفي، من أهل مرعش، ولد وعاش وتوفي بها ودفن فيها[١]. وقد نُسِبَ إلى بلدته مرعش[٢] فقيل: المرعشي.

٢- شيوخه وتلاميذه:

لقد شغف الشيخ المرعشي بالعلم منذ بداياته الأولى، حيث حفظ القرآن الكريم وتتلمذ على مشايخ بلده (مرعش)، ثم دفعه حبه لطلب العلم إلى السفر خارج بلده لينهل من علماء عصره في عاصمة الخلافة العثمانية وفي دمشق الشام، ومن مشايخه:

١ - حسن المرعشي، وقد تلقى الشيخ على يديه القرآن الكريم، حيث يذكر في كتابه «جهد المقل» الشيخ فيقول: «هو الشيخ حسن المرعشي، كانت قراءته سهلة عليه رحمة الله، عذبة من غير تكلف، وكان عربي اللحن، أخبر أنه سافر إلى دمشق المحروسة، وأخذ القرآن مشافهة من الشيخ عبد الباقي الدمشقي»[٣].

---

(١) الأعلام (٦/ ٦٠)، ويراجع: معجم المؤلفين (٩/ ١١٨)، معجم المفسرين (٢/ ٥٠٥)، معجم تاريخ التراث (٤/ ٢٤٧٥).

(٢) جاء في معجم البلدان لياقوت: مَرْعَشُ: بالفتح ثم السكون، والعين مهملة مفتوحة، وشين معجمة: مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم، لها سوران وخندق، وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني، بناه مروان بن محمد الشهير بمروان الحمار، ثم أحدث الرشيد بعده سائر المدينة. (معجم البلدان٥/ ١٠٧)، وهي حاليًا تقع في تركيا، جاء في موسوعة ويكيبديا: مدينة مرعش أو قهرمان مرعش (بمعنى مرعش البطلة في أعقاب انتصارها على الفرنسيين)، هي مدينة بين قيليقية والأناضول جنوب تركيا حاليًا. تقع المدينة عند أقدام جبال طوروس إلى الشرق من نقطة التقائها بجبال الأمانوس، وهي عاصمة محافظة مرعش، ويبلغ تعداد سكانها حوالي ١٩٨ ,٣٢٦ نسمة. موسوعة ويكيبديا.

(٣) جهد المقل (ص١٧)، للشيخ المرعشي، تحقيق: سالم قدوري حمد، ط: دار عمار الأردن.

٢- حمزة أفندي الدارندي، له حاشية على تفسير جزء النبأ، على حاشية العصام الإسفراييني على تفسير البيضاوي، (توفي سنة: ١١٦٧هـ)، وقد جاء في «فهرس الخزانة التيمورية» أنه شيخ المرعشي[١].

٣- الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم المعروف كأسلافه بالنابلسي الحنفي الدمشقي النقشبندي القادري أستاذ الأساتذة، وجهبذ الجهابذة، الولي العارف، ينبوع العوارف والمعارف، توفي سنة (١١٤٣هـ)، وقد لقيه الشيخ وتتلمذ على يديه أثناء رحلته إلى دمشق الشام[٢].

٤- الشيخ محمد بن الشيخ محمود المعروف بدباغ زاده، مفتي الإسلام الرومي الحنفي، المتوفى (سنة١١١٤هـ)، وتلمذ الشيخ له أثناء رحلته إلى عاصمة الخلافة العثمانية في حينها[٣].

والمطالع لتراجم هؤلاء العلماء يتبين له كثرة مؤلفاتهم وتنوعها مما انعكس بدوره على ثقافة الشيخ المرعشي وتنوع مؤلفاته.

هذا وقد اشتغل الشيخ بالوعظ والتدريس فترة طويلة من حياته، وتتلمذ على الشيخ عدد كبير من العلماء من أبرزهم:

١- عبد الرحمن بن علي العينتابي، وقد كان ملازمًا للشيخ يقوم بكتابه بعض دروسه ويعرضها عليها فيقره عليها، كما ذكر ذلك الشيخ في مقدمة حاشيته على حاشيتي

(١) يراجع: الفهرس الشامل للتراث (٢/ ٧٦٥)، فهرس الخزانة التيمورية (٤/ ٤٩)، جهد المقل (ص١٧).

(٢) سلك الدرر (٣/ ٣٠)، ويراجع: هدية العارفين (٢/ ٣٢٢).

(٣) الأعلام (٧/ ٨٨)، هدية العارفين (٢/ ٣٠٧)، معجم المفسرين (٢/ ٦٣٤).

الخيالي وقول أحمد على العقائد النسفية، وقد توفي بعد سنة: ١١٦٨هـ[١].

٢- محمد بن عمر الدارندي الرومي الحنفي، (المتوفى: ١١٥٢هـ)[٢].

٣- مكانته العلمية:

لقد تبوأ الشيخ المرعشي مكانة مرموقة في عصره في الوعظ والتدريس والتأليف، يقول عنه صاحب «معجم المفسرين»: «فقيه حنفي، صوفي مفسر، مشارك في بعض العلوم، من أهل مرعش. كان مدرسًا وإمامًا في جامعها»[٣].

٤- مصنفاته:

تشهد كثرة مصنفات الشيخ المرعشي وتنوعها بتنوع ثقافته وتضلعه من علوم شتى، في الفقه والتفسير واللغة والعقيدة والتجويد والقراءات والعقائد والمناظرة وغيرها، هذا وقد تنوعت مؤلفاته ما بين رسائل وشروح وحواشي سطرها قلمه في أسلوب بديع سهل العبارة، واضح الإشارة، قريب المأخذ، ومن هذه المؤلفات على سبيل المثال:

١- بغية المرتاد لتصحيح الأضداد.

٢- ترتيب العلوم.

٣- تعليق على إيساغوجي لأثير الدين الأبهري.

٤- تهذيب القراءات العشر.

٥- حاشية على حاشيتي وقول أحمد على شرح العقائد النسفية.

---

(١) هدية العارفين (١/ ٥٥٣).

(٢) هدية العارفين (٢/ ٣٢٤).

(٣) معجم المفسرين (٢/ ٦٣٤).

٦- حاشية لتفسير الكشاف على سورة البقرة.

٧- رسالة الفرح والسرور في والدي الرسول (وهو موضوع بحثنا).

٨- رسالة في علم البلاغة.

٩- عين الحياة في بيان المناسبات في سورة الفاتحة.

١٠- غاية البرهان في بيان أعظم آية القرآن، في تفسير آية الكرسي[١].

وهكذا يتضح للمطالع تنوع مصنفاته في كثير من العلوم، مما يدل على تنوع ثقافته وتمكنه ورسوخ قدمه في العلم.

٥- وفاته:

ظل العلامة المرعشي وفيًا للدعوة إلى الله وإمامة الناس وتدريس العلم داخل بلده وخارجها، وتصنيف المؤلفات المتنوعة فيه حتى وافته المنية في بلده ودفن بها في سنة ١١٥٠هـ، فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فراديس الجنان.

***

(١) يراجع: الأعلام (٦/ ٦٠)، معجم المفسرين (٢/ ٦٣٤)، هدية العارفين (٢/ ٣٢٢)، عثمان مؤلفلري (١/ ٣٢٥)، الفهرس الشامل للتراث (٢/ ٧٥٧)، معجم تاريخ التراث (٤/ ٢٤٧٥).

رسالة المرعشي اسمًا ونسبة

١ - اسم الرسالة:

ورد اسم هذه الرسالة في التراجم والفهارس باسم: «السرور والفرح في أبوي النبي ﷺ»، فقد وردت بهذا الاسم في «الأعلام» (٦/ ٦٠)، وفي عثمان مؤلفلري (١/ ٣٢٥)، وفي فهرس الأزهرية (ص١٣٨)، وفي معجم تاريخ التراث (٤/ ٢٤٧٨)، وفي خزانة التراث برقم (٤٨٣٥).

٢- نسبة الرسالة إلى مؤلفها:

تثبت نسبة هذه الرسالة للشيخ المرعشي بأمور منها:

١ - ما جاء في بداية هذه الرسالة مما يثبت صحة نسبتها إليه، حيث قال في أولها: يقول البائس الفقير محمد المرعشي المدعو بساجقلي زاده أكرمه الله بالسعادة: إن قلت: ما تقول في والدي رسول الله ﷺ، وفي نهايتها: «وسميتُها رسالة السرور والفرح؛ لأنها تسر الناظرين المؤمنين ويفرحون بها»[1].

٢- ما جاء في حاشية النسخة «ب» (حافظ أحمد باشا): «إن فرعون مات على الإيمان قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠-٩١]، وقد أعددت له رسالة»[2]، وقد ذكر الشيخ ذلك في رسالته التي رد فيها على الجلال الدواني.

---

(١) السرور والفرح (ص).

(٢) يراجع: (حاشية نسخة ب، لوحة٤٧أ)، معجم تاريخ التراث (٤/ ٢٤٧٥).

٣- نسبتها إلى مصنفها في كتب التراجم والفهارس، حيث وردت نسبتها إلى المصنف في «الأعلام» (٦/ ٦٠)، وفي عثمان مؤلفلري (١/ ٣٢٥)، وفي فهرس الأزهرية (ص١٣٨)، وفي «معجم تاريخ التراث» (٤/ ٢٤٧٨)، وفي «خزانة التراث» برقم (٤٨٣٥).

٤- مصادر المؤلّف:

رجع العلامة المرعشي إلى مصادر متنوعة في هذه الرسالة، منها ما صرح به، ومنها ما لم يصرح به، ومن المصادر التي ذكرها صراحة في رسالته مرتبة حسب حروف المعجم:

التحقيق شرح المنتخب في أصول المذهب لحسام الدين الإخسيكثي (ت: ٦٤٤هـ).

١- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (ت: ٦٧١هـ).

٢- التعظيم والمنة في أن أبوي الرسول في الجنة للسيوطي (ت: ٩١١هـ).

٣- التفسير الكبير للفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ).

٤- تفسير البيضاوي= أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ت: ٦٨٥هـ).

٥- تفسير النسفي «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» (ت: ٧١٠هـ).

٦- شرح بدء الأمالي لملا علي القاري (ت: ١٠١٤هـ).

٧- شرح التلويح على التوضيح في أصول الفقه للتفتازاني (ت: ٧٩٣هـ).

٨- شرح المواقف لعلي بن محمد بن علي الشريف الحسيني الجرجاني (ت: ٨١٦هـ).

٩- شرح كتاب الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص٢٣٨) تحقيق: علي محمد دندل، ط: دار الكتب العلمية.

١٠- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ).

١١- مسالك الحنفا في والدي المصطفى للسيوطي (ت: ٩١١هـ).

١٢- مصابيح السنة للحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ).

١٣- المنار في أصول الفقه لأبي البركات النسفي (ت: ٧١٠هـ).

١٤- ميزان الأصول في نتائج العقول لعلاء الدين السمرقندي (ت: ٥٣٩هـ).

١٥- نور الأنوار في شرح المنار، لأحمد بن أبي سعيد المعروف بملاجيون (ت: ١١٣٠هـ).

وهكذا يتضح للقارئ تنوع المصادر التي رجع إليها الشيخ وأفاد منها ما بين التفسير والحديث والفقه والأصول واللغة والتاريخ والسير.

٥- وصف نسخ المخطوط:

رجعتُ في تحقيق هذه الرسالة إلى خمس نسخ:

النسخة الأولى: (نسخة جامعة هارفارد) وهي تتكون من ثماني لوحات، وبالرجوع إلي المخطوط يتبين التالي:

١- عنوان الرسالة وأنها باسم: رسالة السرور في حق والدي الرسول عليه السلام.

٢- ما يفيد أنها كُتِبَت على نسخة للمصنف وقوبلت عليها، وصححت عليه، فقد جاء على طرة الرسالة ما يفيد عنوانها، وأنها كُتِبَت على نسخة من نسخة المصنف:

(رسالة السرور في حق والديه عليه السلام، كتبت هذه النسخة من نسخة المصنف، وقوبلت إليها، وقرئت على المصنف منها وصححت بقدر الطاقة).

٣- أنها نسخت في حياة المصنف وقوبلت على نسخته وقرئت عليه وصححت.

٤- عدد لوحاتها: ثماني لوحات، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة ١٩ سطرًا، وفي كل سطر عشر كلمات في المتوسط، وقد كتبت بمداد أسود والعناوين بمداد أحمر، بخط التعليق الجيد.

٥- يوجد حواشي وتعليقات على هذه النسخة، وهي عبارة عن توضيح لبعض الأمور التي وردت في النص، وتشترك معها في ذلك النسخة الثانية، ولعلها نسخت عنها.

٦- اسم الناسخ: ذكر في نهاية هذه النسخة اسم الناسخ، وهو محمد بن سليمان الطرسوسي الشهير بجاموس زاده، كما ذكر مكان وتاريخ نسخها، وأنها نسخت بحلب في المدرسة الرضائية سنة ١١٥٠هـ.

النسخة الثانية: وهي نسخة مكتبة حافظ أحمد باشا بتركيا وهي ضمن مجموع برقم (٣٣٧-٣٦-٤٨)[1]، وبالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي:

١- تقع هذه النسخة في ١٢ لوحة، إذ إنها تبدأ من اللوحة ٣٨ وتنتهي باللوحة ٤٩، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة ١٣ سطرًا، في كل سطر ٩ كلمات في المتوسط، وقد كتبت بمداد أسود، والعناوين بمداد أحمر، بخط نسخ حسن، وهي نسخة كاملة قد خلت من السقط.

٢- اسم الناسخ: لم يذكر في هذه النسخة اسم ناسخها، وأما تاريخ نسخها فقد أثبت في نهايتها حيث جاء فيه: «في أوائل المحرم سنة ١١٥٠» مما يدل على أنها كتبت في حياة المؤلف.

٣- يوجد حواشي وتعليقات على هذه النسخة، وهي عبارة عن توضيح لبعض

---

(١) معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم (٤/ ٢٤٧٨).

الأمور التي وردت في النص، وتشترك في ذلك مع النسخة الأولى، ولعلها نسخت عنها، إلا أنها تمتاز عنها بأنها كاملة الآخر.

النسخة الثالثة: وهي نسخة مكتبة قيسري راشد أفندي بتركيا وهي ضمن مجموع برقم (٢٦١٨٩/ ٢ ورقة ٢٠٧ - ٢١١)[1]:

وبالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي:

١- تقع هذه النسخة في ٥ لوحة، إذ إنها تبدأ من اللوحة ٢٠٧ وتنتهي باللوحة ٢١١، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة ١٩ سطرًا، في كل سطر١٣ كلمة في المتوسط، وقد كتبت بمداد أسود، والعناوين بمداد أحمر، بخط نسخ حسن، وهي نسخة كاملة قد خلت من السقط.

٢- اسم الناسخ: لم يذكر في هذه النسخة اسم ناسخها، وأما تاريخ نسخها فقد أثبت في نهايتها حيث جاء فيه: «سنة ١١٤٣» مما يدل على أنها كتبت في حياة المؤلف.

النسخة الرابعة: (وهي نسخة جامعة الملك سعود، برقم: ٥٦٤٦)، وقد رمزت لها بالنسخة (ج)، وبالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي:

- تقع هذه النسخة في ٦ لوحة، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة ١٧ سطرًا، في كل سطر١٢ كلمة في المتوسط، المقاس: ١٥،٥٠×٢١،٥٠سم، وقد كتبت بمداد أسود، بخط تعليق حسن، وهي نسخة كاملة قد خلت من السقط.

٢- اسم الناسخ: لم يذكر في هذه النسخة اسم ناسخها، وأما تاريخ نسخها فقد ذكر تقديرًا بالقرن الرابع عشر الهجري.

٣- لا يوجد حواشي وتعليقات على هذه النسخة، إلا أنها ليس بها خروم أو سقط وكاملة الآخر.

---

(١) معجم تاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم (٤/ ٢٤٧٨).

النسخة الخامسة: (وهي نسخة المكتبة الظاهرية، ضمن مجموع برقم: ٦٢٧٣)، وبالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي:

١- تقع هذه النسخة في ٥ لوحة، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة ١٩ سطرًا، في كل سطر ١٣ كلمة في المتوسط، وقد كتبت بمداد أسود، بخط تعليق حسن، وهي نسخة كاملة قد خلت من السقط.

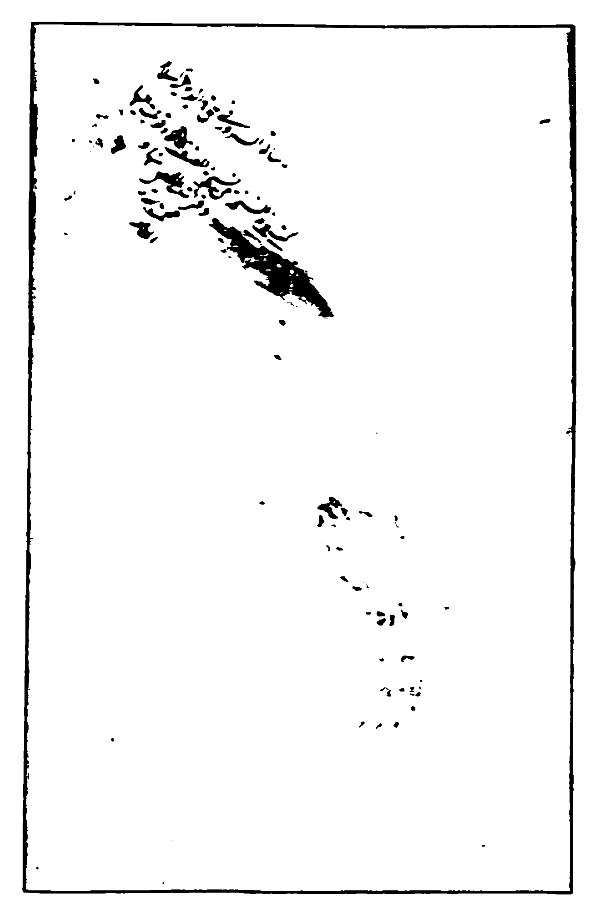
٢- اسم الناسخ: لم يذكر في هذه النسخة اسم ناسخها، إلا ما ورد في آخرها (بمصر أحمد شرواني) فلعله اسم ناسخها.

٣- يوجد حواشي وتعليقات على هذه النسخة يوضح فيها الشيخ بعض الأمور التي لها علاقة بموضوع الرسالة، وليس بها خروم أو سقط وكاملة الآخر.

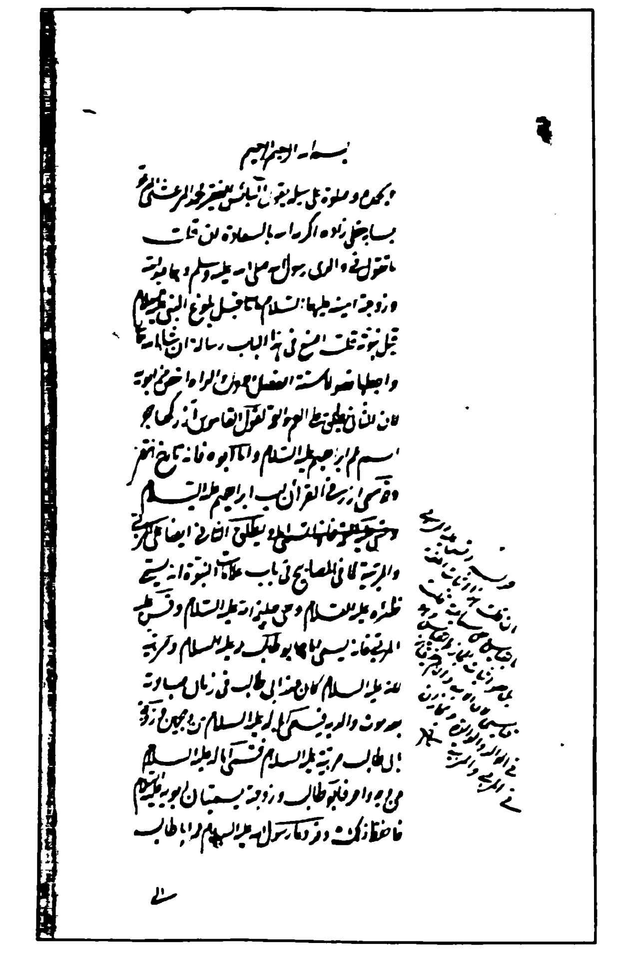
٦- صور من المخطوط، بدايته ونهايته؛ للنسخ التي اعتمدت عليها في تحقيق النص.

١- النسخة الأولىٰ: (نسخة جامعة هارفارد):

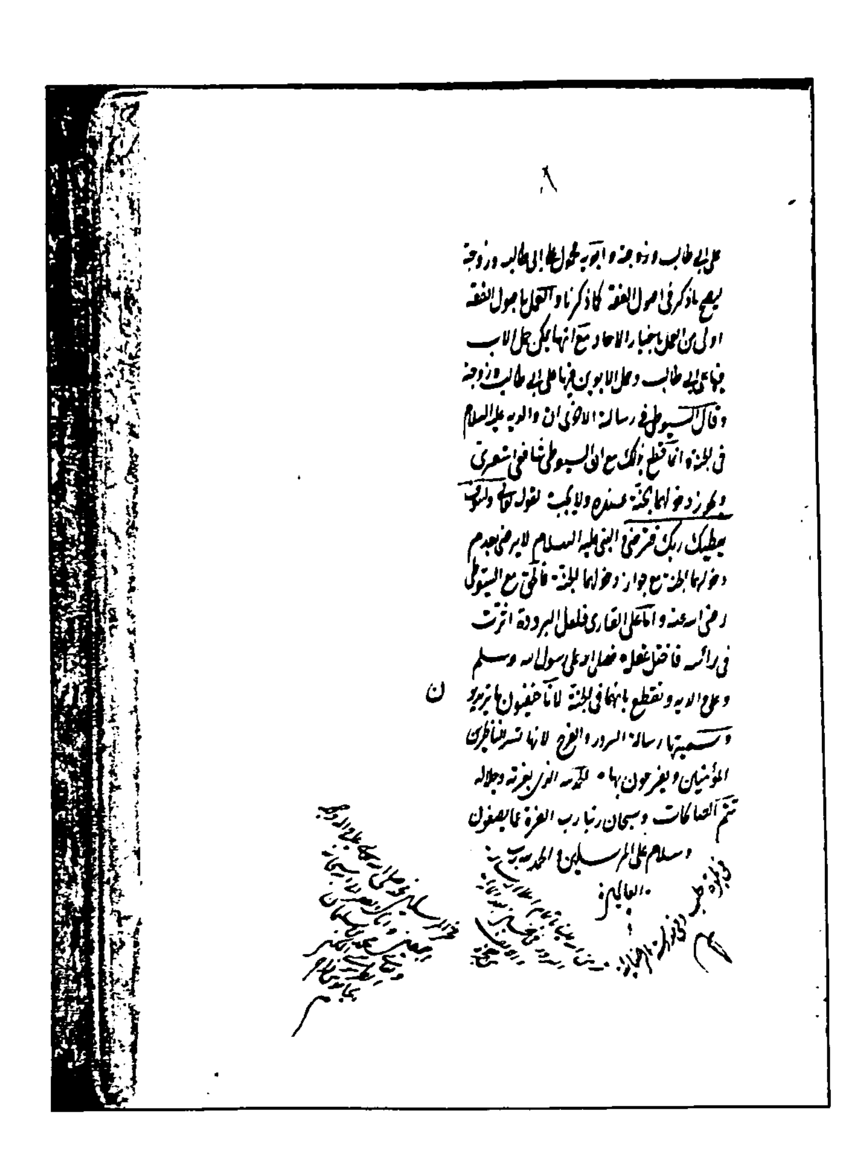
اللوحة الأولىٰ: (طرة الرسالة):



اللوحة الثانية: (اللوحة الأولىٰ من الرسالة):



اللوحة الأخيرة:



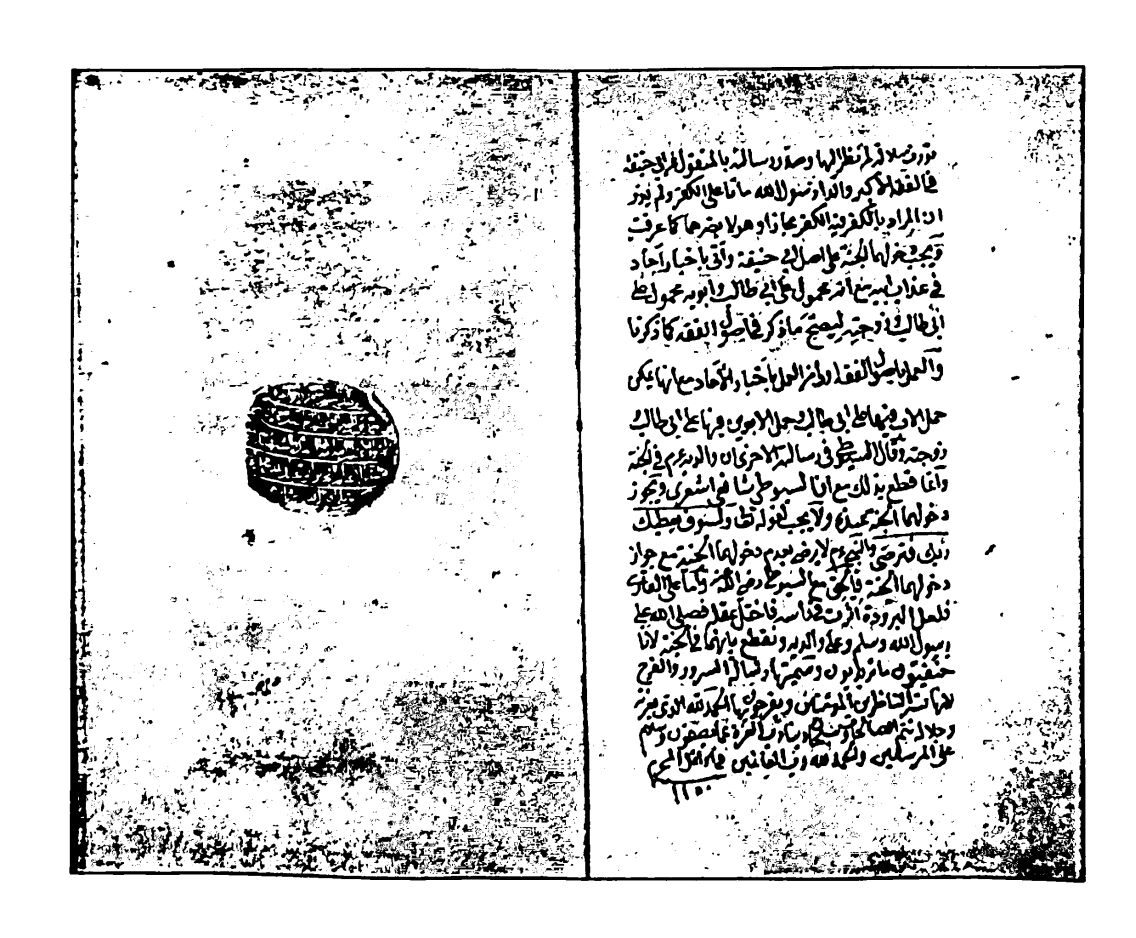
٨

على ابي طالب وزوجته وابويه بحمل لفظ ابي طالب وزوجته
يصح ماذكر في اصول الفقه كما ذكرنا والعمل باصول الفقه
اولى من العمل باخبار الاحاد مع انه يمكن حمل الاب
في اية ابي طالب وحمل الابوين فيها على ابي طالب وزوجته
وقال السيوطي في رسالته الاولى ان والديه عليه السلام
في الجنة وانا اقطع بذلك مع ان السيوطي شافعي اشعري
ويجوز دخولهما الجنة عنده ولا يجب لقوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى والنبي عليه السلام لا يرضى بعدم
دخولهما الجنة مع جواز دخولهما الجنة فالحق مع السيوطي
رضي الله عنه واما علي القاري فلعل البرودة اثرت
في رأسه فاختل عقله فصل الله على رسول الله وسلم
وعلى والديه ونقطع بانهما في الجنة لانا حنفيون ماتريدية
وسميتها رسالة السرور والفرح لانها تسر الناظرين
المؤمنين ويفرحون بها الحمد لله الذي بعزته وجلاله
تتم الصالحات وسبحان ربنا رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب
العالمين

٢- النسخة الثانية: (نسخة مكتبة حافظ أحمد باشا بتركيا ضمن مجموع):

اللوحة الأولى[1]:

اللوحة الأخيرة:

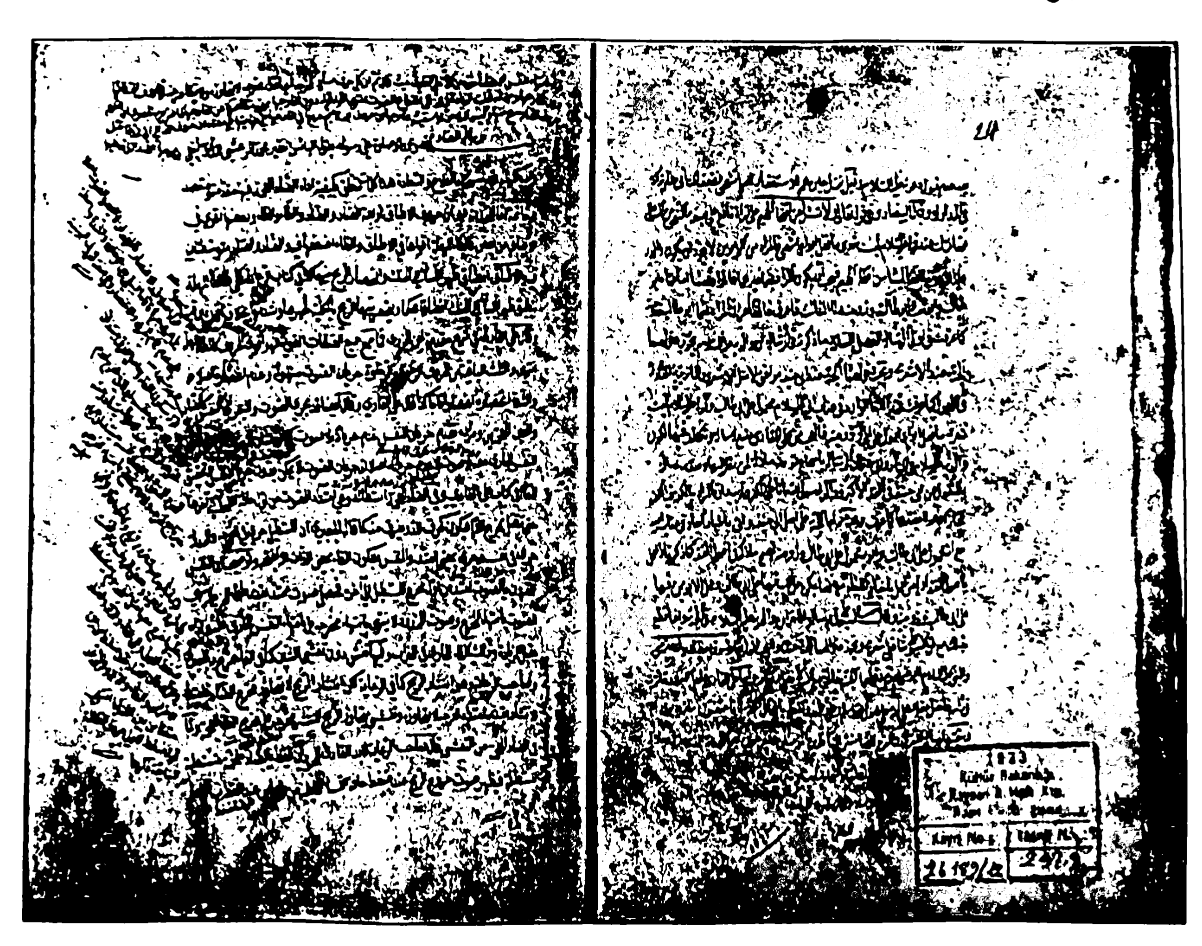


النسخة الثالثة: نسخة قيسري راشد أفندي بتركيا ضمن مجموع برقم (٩٨١٦٢):

اللوحة الأولى:

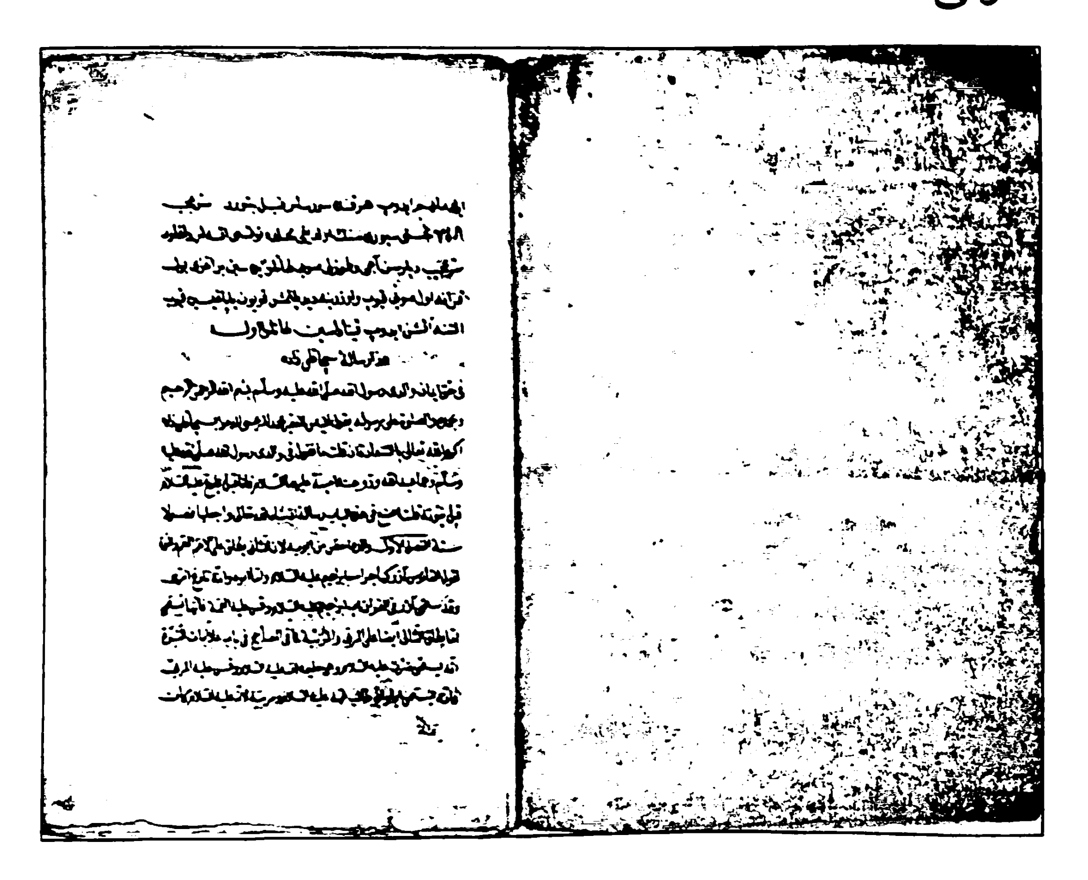


اللوحة الأخيرة:



النسخة الرابعة: (نسخة جامعة الملك سعود، ضمن مجموع برقم: ٦٤٦٥):

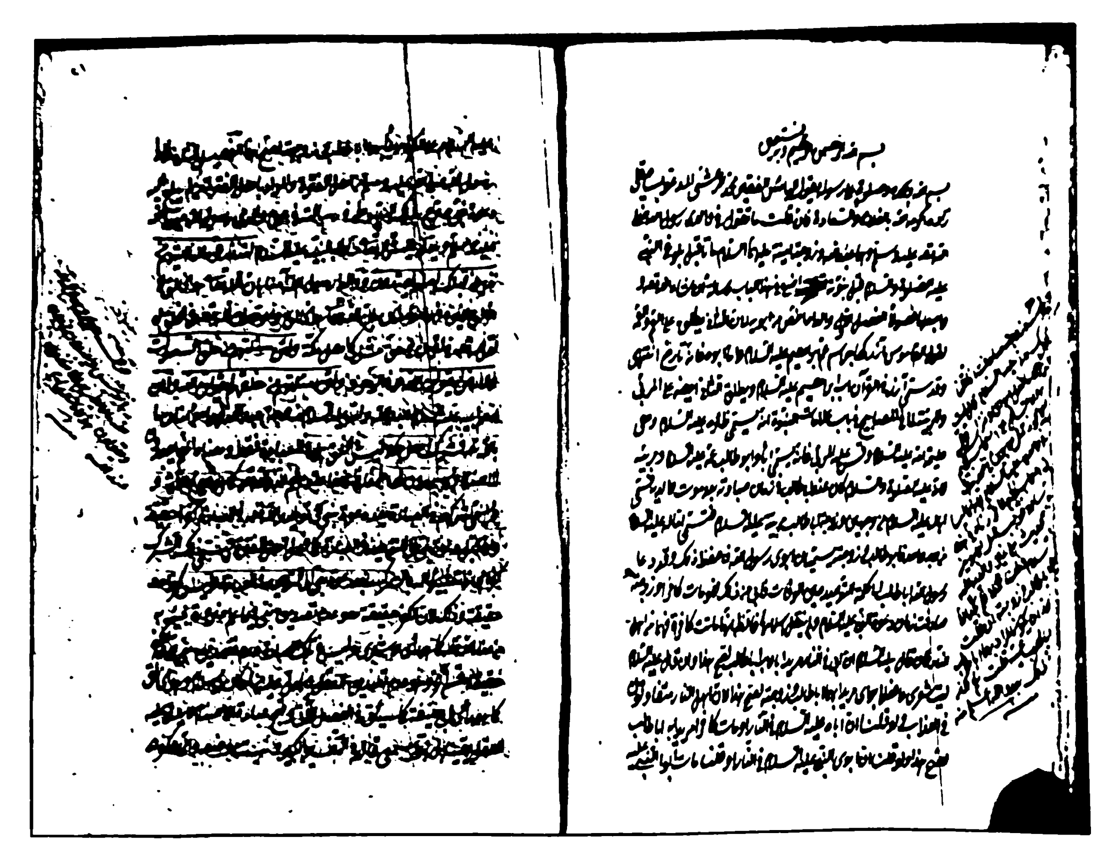
اللوحة الأولى:



اللوحة الأخيرة:

النسخة الخامسة: (نسخة الظاهرية ضمن مجموع برقم: ٣٧٢٦):

اللوحة الأولىٰ:



اللوحة الأخيرة:

المبحث الثالث: النص المحقق

[مقدمة المصنف]

بسم الله الرحمن الرحيم وبحمده والصلاة على رسوله[١]..

يقول البائس الفقير محمد المرعشي المدعو بسجاقلي زاده، أكرمه الله تعالى بالسعادة:

إن قلت: ما تقول في والدي رسول الله ﷺ وهما عبد الله وزوجته آمنة عليهما السلام ماتا قبل بلوغه عليه السلام وقبل نبوته؟

قلتُ: أصنع في هذا الباب رسالة إن شاء الله تعالى وأجعلها فصولًا ستة:

***

(١) جاء في حاشية نسخة قيسري راشد لوحة (٢٠٧): «ثم الصحيح ما ذكره الجزري في مفتاح «الحصن الحصين» أن الجمع بين الصلاة والسلام هو الأولى، ولو اقتصر على أحدهما جاز من غير كراهة، فقد جرى عليه جماعة من السلف والخلف، منهم الإمام مسلم في أول صحيحه وهلم جرا، حتى الإمام ولي الله أبو القاسم الشاطبي في قصيدته الرائية واللامية». جمع الوسائل في شرح الشمائل لعلي القاري [١/ ٥].

الفصل الأول

والداه أخص من أبويه؛ لأن الثاني يطلق على العم والعمة، لقول القاموس: «(آزر) كهاجر، اسم [عم] إبراهيم عليه السلام، وأما أبوه فإنه تارح» انتهى[١].

وقس عليه العمة فإنها تسمى أمًا، يطلق الثاني أيضًا على المربي والمربية، لما في «المصابيح»[٢] في باب علامات النبوة إنه يسمى ظئره عليه السلام، وهي حليمة: أمه عليه السلام، وقس عليه المربي فإنه يسمى أبًا، وأبو طالب عمه عليه السلام ومربيه؛ لأنه عليه السلام كان/ ١أ/ عند أبي طالب في زمان صباوته بعد موت والديه، فيسمَّى أبًا له عليه السلام من وجهين، وزوجة أبي طالب أمًا له عليه السلام من وجه واحد، فأبو طالب وزوجته يسميان أبويه عليه السلام، فاحفظ ذلك.

وقد دعا رسول الله ﷺ عمه أبا طالب إلى كلمة التوحيد حين الوفاة، فأبى من ذلك، فهو مات كافرًا، وزوجته صادفت زمان دعوة النبي عليه السلام ولم ينقل إسلامها؛ فالظاهر أنها كانت كافرة، فهما من أهل النار[٣]، فإن قال عليه السلام: «**أبي في النار**» مريدًا

---

(١) القاموس المحيط (١/ ٣٤٣).

(٢) مصابيح السنة للبغوي، باب علامات النبوة، وفيه: قال أنس رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج منه علقة فقال: «**هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه وأعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه، يعني ظئره**» الحديث، (٤/ ٧٠)، والحديث أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات (١/ ١٧٤).

(٣) في الحاشية: قوله: «وزوجته صادفت» أهـ. إنما قلنا كذلك لأنه ﷺ قال: «**ليت شعري ما فعل أبواي**» ونزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ على قراءة نافع، فظهر أن أبويه من أصحاب الجحيم، ولا يجوز حمل الأبوين في الحديث على والديه ﷺ، لأنهما ليسا من أصحاب الجحيم؛ لما قررناه في هذه الرسالة، فوجب حمل الأبوين في الحديث على غير والديه ﷺ، فطلبنا له محملًا فلم نجد إلا أبا طالب وزوجته. إن قلت: يجوز أن يكون المراد بهما أبا طالب وأبا لهب عميه، قلت: نعم، لكن في ذلك بعدٌ، والله أعلم.

بالأب أبا طالب لصح هذا، وإن قال عليه السلام: **«ليت شعري ما فعل أبواي»**[1] مريدًا بهما أبا طالب وزوجته لصح هذا؛ لأن أهل النار متفاوتون في العذاب، ولو قلنا: إن أباه عليه السلام في النار، أومات كافرًا مريدًا به أبا طالب لصح هذا، ولو قلنا: إن أبوي النبي عليه السلام في النار، أوقلنا مات أبوا النبي عليه السلام على الكفر مريدًا بهما أبا طالب وزوجته لصح هذا.

***

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير برقم (١٢٦)، والطبري في التفسير برقم (١٨٧٥،١٨٧٦)، وقال الشيخ شاكر: «الحديثان: ١٨٧٥، ١٨٧٦ - هما حديثان مرسلان؛ فإن محمد بن كعب بن سليم القرظي: تابعي. والمرسل لا تقوم به حجة، ثم هما إسنادان ضعيفان أيضًا، بضعف راويهما: موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي: ضعيف جدًّا» (٢/ ٥٥٨)، والسيوطي في الدر المنثور، وعزاه لوكيع وسفيان بن عيينة وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن محمد بن كعب القرظي، وقال: «هذا مرسل ضعيف الإسناد» (١/ ٢٧١).

الفصل الثاني

والدا رسول الله ﷺ من أهل الفترة

والمراد بأهل الفترة من لم يبلغ إليه دعوة نبي، صرَّح بذلك السيوطي في رسالته في حق والدي رسول الله عليه الصلاة والسلام[1].

ويدل قوله تعالى خطابًا لنبيه ﷺ: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣]. ووالدا رسول الله ﷺ آمنا بأن الله تعالى هو الخالق لا خالق غيره، فهما مؤمنان أن الله تعالى هو الخالق، وموحدان الله تعالى في الخلق؛ لقوله تعالى في سورة لقمان في حق مشركي أهل مكة: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]. وفي الزخرف: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]. ولأن اسم أبيه ﷺ عبد الله وأمه ﷺ زوجة عبد الله فهما مؤمنان بالله تعالى، فشرك أهل مكة ليس في الخلق، بل في العبادة فقط؛ ومعناه أنهم يعبدون الأصنام ويسجدون لها طمعًا في شفاعتهم لهم عند الله تعالى كما هو صريح الآية[2]، ويسمَّي شركهم في العبادة بعد دعوة نبي إلى توحيد الله تعالى في العبادة كفرًا حقيقة. وأما قبل دعوة نبي إلى التوحيد في العبادة كما فعله أهل الفترة فيُسمَّى ذلك الشرك كفراً مجازًا؛ تشبيهًا له بالشرك بعد دعوة نبي إلى التوحيد في العبادة، كما فعله أهل الفترة، وليس كفرًا حقيقة، وذلك لأن الكفر حقيقة هو عدم تصديق نبي فيما عُلِمَ ضرورة مجيؤه به من عنده تعالى، وعدم تصديقه في بعض ما علم ضرورة مجيؤه به من عنده تعالى؛ كما هو رأي الأشعري[3]، وليس في تلك العبادة عدم تصديق نبي حينئذٍ.

---

(١) مسالك الحنفا في والدي المصطفى للسيوطي (ص٤٠).

(٢) في الحاشية: قوله: صريح الآية وهي قوله تعالى في يونس: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] الآية.

(٣) يراجع: المواقف للإيجي (٣/ ٥٤٤).

وللكفر حقيقةً قسمٌ آخرُ، وهو عدم تصديق العقل فيما دل عليه من أركان الإسلام، وهو الخالق[1]، كما هو رأي أبي حنيفة: كما سيأتي في الفصل الآتي.

وقبح عبادة الأصنام لا يدل عليه العقل يقينًا، بل قبحه سمعي؛ قاله في «التفسير الكبير»[2]، ونسيت موضعه، وإنما الكفر العقلي الجهل بالخالق عند أبي حنيفة: كما سيأتي في الفصل الآتي، ووالدا رسول الله ﷺ مؤمنان بأن الخالق هو الله تعالى؛ وموحدان في الخلق، فلم يتصفا بالكفر الحقيقي العقلي كما لا يتصفان بالكفر الحقيقي السمعي.

***

(١) هكذا في الأصل، ولعله يقصد التصديق بوجود الخالق.

(٢) يراجع: تفسير الرازي (١٧/ ٢٢٧).

الفصل الثالث

أهل السنة ضد أهل البدعة قسمان:

أحدهما: الأشاعرة؛ وهم أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري[١]، والشافعيون كلهم أشاعرة.

والآخر: الماتريدية[٢]؛ وهم أتباع الشيخ أبي منصور الماتريدي تلميذ أبي حنيفة بالواسطة[٣]، وكلهم حنفيون ووقع الخلاف بينهم في بعض المسائل، فكلا الاختلافين من مذهب أهل السنة، وليس أحدهما اعتقاد بدعة.

ومما اختلفوا فيه اعتبار العقل في الايمان والكفر كاعتبار السمع فيهما، قال به الماتريدية لقول أبو حنيفة بذلك، وأنكره الأشاعرة وقالوا: لا اعتبار للعقل في الإيمان والكفر، بل هما سمعيان فقط.

قال في المنار: «وعند الأشعري إن غفل عن الاعتقاد بالخالق أو اعتقد الشرك ولم تبلغ إليه الدعوة كان معذورًا» انتهى[٤]. ودليله قوله تعالى: ﴿ٱلْآيَةِ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ءَايَةَ﴾ [الإسراء: ١٥].

قوله: «إن غفل عن الاعتقاد بالخالق» بأن كان خالي الذهن عن الاعتقاد بالخالق أو أنكر الخالق.

---

(١) في الحاشية «وهو علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن بلال بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ».

(٢) الماتريدية أصحاب منصور الماتريدي، تلميذ أبي نصر العياض، تلميذ أبي بكر الجرجاني، صاحب أبي سليمان الجوزجاني، تلميذ محمد بن الحسن الشيباني من أصحاب الإمام أبي حنيفة، وماتريد قرية من قرى سمرقند.

(٣) قيل هو تلميذ أبي حنيفة في الدرجة الرابعة.

(٤) منار الأنوار في أصول الفقه للنسفي (ص١٩).

قوله: «أو اعتقد الشرك» أي الشرك في الخلق أو الشرك في العبادة.

وقال شارحه: «لأن المعتبر عندهم هو السمع دون العقل» انتهى(١).

قوله: «لأن المعتبر» أي في الإيمان والكفر، قوله: «عندهم» أي عند الأشاعرة هو السمع دون العقل، ولذا فسر الإيمان والكفر في «المواقف» بـ«تصديق الرسول فيما علم ضرورة مجيئه به من عنده تعالى، وعدم تصديقه في بعض ما علم ضرورة مجيئه به من عنده تعالى»(٢)؛ لأن صاحب «المواقف» شافعي أشعري.

ولو آمن [أحد من] أهل الفترة بالخالق بمجرد عقله لا يثاب على إيمانه عند الأشعري؛ لقول شارح «المواقف» في أوائله: «في كلام صاحب المواقف إشعار بأن العقائد يجب أن تؤخذ من الشرع ليعتد بها وإن استقل العقل فيه» انتهى(٣).

قوله: (ليعتد بها) أي ليثاب عليها، فلا ثواب لإيمان [أحد من] أهل الفترة بالخالق بعقله عند الأشاعرة.

وصاحب المواقف شافعي أشعري، وما استقل فيه عقل كل عاقل هو وجود الخالق لدلالة المصنوعات عليه كما سيجئ.

وقال في كتاب التحقيق شرح الأصول الإخسيكثي(٤): «قالوا -أي الأشاعرة-:

---

(١) نور الأنوار في شرح المنار لملاجيون (٢/ ٥٨٣).

(٢) المواقف (٣/ ٢١٢)، (٣/ ٥٤٤).

(٣) شرح المواقف للجرجاني (١/ ٣٧).

(٤) محمد بن محمد بن عمر الأخسيكثي، حسام الدين: فقيه حنفي أصولي. من أهل (أخسيكث) من بلاد فرغانة. له «المنتخب في أصول المذهب» ويعرف بـ«المنتخب الحسامي»، نسبة إلى لقبه (حسام الدين) شرحه جماعة، منهم عبد العزيز بن أحمد البخاري، المتقدمة ترجمته، وسمى شرحه (التحقيق - ط) ويعرف بشرح المنتخب الحسامي، توفي سنة ٦٤٤ هـ. الأعلام (٧/ ٢٨)، ويراجع: الجواهر المضية (٢/ ١٢٠)، هدية العارفين (٢/ ١٢٣).

من اعتقد الشرك ولم تبلغ إليه الدعوة فهو معذور، حتى جاز أن يكون من أهل الجنة» انتهى[١].

قوله: «من اعتقد الشرك» أي: الشرك في الخلق أو في العبادة، ووالدا رسول الله ﷺ موحدان في الخلق، ويعتقدان الشرك في العبادة ولم تبلغ إليهما الدعوة، فجاز عند الأشاعرة أن يكونا من أهل الجنة بفضل الله تعالى، أو بشفاعة الرسول عليه السلام، وكيف لا يتفضل الله تعالى عليهما وهما شجرتان ثمرتها حبيبه؟ وكيف لا يشفع لهما ابنهما وهو شفيع للأجانب.

وقال في «ميزان الأصول»: «عامة أصحاب الحديث من الأشعريين وغيرهم ومن تابعهم بأنه لا يجب عليهم الإيمان، ولا يحرم عليهم الكفر، حتى لو ماتوا على الكفر أو على الإيمان قبل بلوغ الدعوة إليهم؛ فهم في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبهم وإن شاء أدخلهم الجنة، وهو قول معتزلة بغداد، وهو اختيار بعض مشايخ بخارى، غير أنهم قالوا: إنهم من أهل الجنة في الأحوال كلها بمنزلة الصبيان والمجانين»[٢] انتهى.

قوله: (غير أنهم قالوا) أي بعض مشايخ بخارى، قوله: (في الأحوال كلها) أي في حال موتهم على الإيمان بالخالق أو على الكفر به؛ إذ لا يتصور إيمانهم السمعي لعدم بلوغ الدعوة إليهم، يعني أنهم لا يجعلونها في مشيئة الله تعالى، بل يقطعون لهم بالجنة، وبعض مشايخ بخارى من الماتريدية.

قوله: (على الكفر أو على الإيمان) أي على الكفر بالخالق أو على الإيمان به؛ لأن ما عدا الخالق كما سيأتي لا يُتصَور الإيمان به قبل بلوغ الدعوة؛ فإذا كان في مشيئة الله تعالى إدخال أهل الفترة الجنة، ووالدا رسول الله عليه السلام من أهل الفترة، فهل يقول

---

(١) التحقيق على المنتخب في أصول مذهب أبي حنيفة لحسام الدين الأخسيكثي (مخطوط).

(٢) ميزان الأصول في نتائج العقول لعلاء الدين السمرقندي (ص١٩٢).

عاقل بأن الله تعالى لا يدخلهما الجنة مع أن دخولهما الجنة في مشيئة الله تعالى ولا يجب عليهما العذاب مع أنه تعالى قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥]؟

قوله: (إن شاء عذبهم) فيه نظر؛ لأنهم لا يعذبون عند الأشاعرة وإن ماتوا على الكفر لما سبق نقله عن «المنار»؛ فهو سهو ناشئ من قوله (إن شاء أدخلهم الجنة) وهو صحيح كما نقلناه عن «التحقيق»، والإنسان مشتق من النسيان.

***

الفصل الرابع

وعند الماتريدية يُعتبَر العقل في الإيمان والكفر؛ فهما على قسمين عند الماتريدية:

أحدهما: سمعي هو المذكور في «المواقف»[١].

والآخر: عقلي، قال في «المنار» على مذهب الماتريدية: «من لم تبلغ إليه الدعوة إذا لم يعتقد إيمانًا ولا كفرًا كان من أهل النار» انتهى[٢]. وذلك لقول أبي حنيفة به.

قوله: (إيمانًا ولا كفرًا) أي إيمانًا بالخالق وكفرًا به كما سيأتي التصريح به. قال شارحه: (فوجوب الإيمان بمجرد العقل) انتهى[٣]، أي لوجوبه عند الماتريدية؛ أي الإيمان بالخالق.

قوله: (بمجرد العقل) لأن العقل يستقل في معرفة الخالق بالنظر إلى المصنوعات قاله التفتازاني في «شرح العقائد»[٤].

قال علي القاري في ملحقات شرح الفقه الأكبر: «وجوب الإيمان بالعقل مروي عن أبي حنيفة، وقال الأشعري: لا يجب لقوله تعالى: ﴿ٱلَّيۡلِ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ءَايَةَ﴾ [الإسراء: ١٥]، وأجيب بأن الرسول أعم من العقل والنبي» انتهى[٥].

---

(١) يراجع: المواقف (٣/ ٧٠٨).

(٢) منار الأنوار في أصول الفقه للنسفي (ص١٩).

(٣) يراجع: نور الأنوار بشرح المنار (١/ ٢٥٤).

(٤) قوله قاله التفتازاني في «شرح العقائد» قال فيه: «هذه المصنوعات المشتملة على الأفعال المحكمة والنفوس المستحسنة تدل ضرورة على صانع متصف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة». يراجع: شرح العقائد النسفية (ص٨٦).

(٥) يراجع: شرح كتاب الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص٢٣٨) تحقيق: علي محمد دندل، ط: دار الكتب العلمية.

وقال على القاري في «شرح الأمالي» نقلًا عن الحاكم الشهيد: «قال أبو حنيفة: لا عذر للعاقل في الجهل بخالقه لما يرى من خلق السماوات والأرض وخلق نفسه، ولو لم يبعث الله تعالى رسولًا لوجب على الخلق معرفته بعقولهم» انتهى[١].

قوله: (بعقولهم) متعلق بـ«وجب» و«معرفته» على التنازع، فالمعنى رسولًا ينبئ عن الخالق وعن وجوب معرفته، فمعرفة الخالق كما يستقل فيه العقل كذلك فوجوب معرفته يستقل فيه العقل، وهذا مبني على الحسن والقبح العقليين، قال به أبو حنيفة وأنكره الأشعري، وتفصيله في شرح المواقف[٢].

وقال في «التلويح» في باب المحكوم به بعد بيان مراد أبي حنيفة في عدم العذر في الجهل بالخالق[٣]: «وهذا مراد أبي حنيفة حيث قال: لا عذر لعاقل في الجهل بخالقه؛ لما يرى من خلق الآفاق والأنفس. وأما الشرائع فيعذر إلى قيام الحجة». انتهى[٤]. أي يُعذَر عند أبي حنيفة بجهله بالشرائع. والمراد بالشرائع ما لا يستقل في معرفته العقل وهو ما عدا معرفة الخالق، والمراد بقيام الحجة: السماع من طرف الرسول.

وصرَّح في «التلويح» أن من لم تبلغ إليه الدعوة لو آمن بالخالق بعقله يصح إيمانه، أي يثاب على إيمانه عند أبي حنيفة، ووالدا رسول الله ﷺ آمنا بأن الله تعالى خالق السموات والأرض وخالق أنفسهم ووحداه في الخلق، وأبو حنيفة رحمه الله تعالى لم يوجب على أهل الفترة إلا الإيمان بالخالق وهو إيمان عقلي؛ فلم يتصف والدا رسول

---

(١) شرح بدء الأمالي لملا علي القاري (ص٣٠)، ط: مطبعة العالم باستانبول، سنة١٣١٩هـ.

(٢) يراجع: شرح المواقف (١/ ٣٧).

(٣) جاء في الحاشية: «قوله بعد بيان مراد أبي حنيفة... إلخ» ومراده على ما قال في «التلويح»: «عدم العذر في الجهل بالخالق بعد زمان الاستدلال بالمصنوعات عليه، وإنكار الخالق يدل على أنه وجد زمن الاستدلال».

(٤) شرح التلويح على التوضيح للتفتازاني (٢/ ٣٢١).

الله ﷺ بالكفر الحقيقي السمعي ولا العقلي، نعم اتصفا بالشرك في العبادة ولما كانا من أهل الفترة لم يكن ذلك الشرك كفرًا لهما حقيقة بل مجازًا، كما عرفتَ ولا يضرهما؛ لأنهما اتصفا بالإيمان العقلي، فوجب لهما الجنة عند أبي حنيفة، ويجوز عند الأشعري[1]، ولا عذاب لهما البتة عند الأشعري وعند أبي حنيفة.

قال السيوطي في رسالته في حق والدي النبي ﷺ: «إنهما ماتا ناجيين وليسا في النار، وصرَّح بذلك جمع من العلماء، ولهم في تقرير ذلك مسالك:

الأول: أنهما ماتا قبل البعثة ولا تعذيب قبلها، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. وقد أطبق أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام والأصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيًا». انتهى[2].

أقول: والسيوطي شافعي أشعري، ولم يصرِّح في تلك الرسالة بدخولهما الجنة لأنه يجوز عند الأشعري دخول الجنة بفضل الله تعالى، وشفاعة بعض الشافعين كما عرفت ولا يجب، لكن كما قال الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى: ٥]، وجاز دخولهما الجنة بفضل الله تعالى، ولا يرضي النبي ﷺ إلا بدخولهما الجنة، ولذلك قال السيوطي في رسالته الأخرى: «إن والدي رسول الله ﷺ من أهل الجنة»[3]. وأما عند أبي حنيفة فيجب دخولهما الجنة لأنهما آمنا بأن الله تعالى هو الخالق، ووحداه في الخلق، ويجب الثواب على إيمانهما بالخالق عند أبي حنيفة كما في سبق في الفصل الرابع، والشرك في العبادة لا يضرهما كما عرفت.

---

(١) أي ويجوز لهما دخول الجنة عند الأشعري.

(٢) مسالك الحنفا في والدي المصطفى (ص١٧)، ويراجع: الحاوي في الفتاوي (٢/ ٢٤٤).

(٣) التعظيم والمنة في أن أبوي الرسول في الجنة للسيوطي.

الفصل الخامس

فما معنى قول أبي حنيفة رحمة الله عليه في «الفقه الأكبر»: «ووالدا رسول الله ﷺ ماتا على الكفر وأبو طالب عمه مات كافرًا»؟

قلتُ: ليس معناه أن والديه ماتا على الكفر الحقيقي؛ بل على الكفر مجازًا، وهو لا يضرهما، لأنهما آمنا بالخالق، ولم يوجب أبو حنيفة على أهل الفترة إلا الإيمان المطلق، وأبو طالب مات كافرًا حقيقة لأنه امتنع عن قبول دعوته ﷺ، فغيَّر أبو حنيفة رحمه الله تعالى أسلوب العبارة إشارة إلى هذا، فلو كان المراد من الكفر والديه حقيقة لقال: ووالدا رسول الله وأبو طالب عمه ماتوا كافرين، فاعرف.

إنما صرح بقوله: «ماتا على الكفر» لدفع توهم أن دعوة الرسول وصلت إليهما، فامتنعا عن الشرك في العبادة، وأنهما كانا على شريعة إبراهيم ﷺ كما قيل، فالمعنى أنهما ماتا على الشرك في العبادة ولا يضرهما، وليس في ذلك كفرٌ حقيقة لهما، ووجب لهما الجنة عند أبي حنيفة، ويجوز دخولهما عند الأشعري.

وإن قلت: كيف يقال إنهما ماتا على الكفر وإنهما في الجنة وذلك أمر عجيب؟ قلت: كعكس ما يقال: إن فرعون مات على الإيمان وإنه من أهل النار لحدوث إيمانه حال اليأس، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥][1].

وحديث: «إن أبي في النار» محمول على أبي طالب، وحديث: «ليت شعري ما فعل أبواي» على تقدير صحته[2] محمول على أبي طالب وزوجته كما سيأتي بيانه.

---

(١) جاء في الحاشية: «إن فرعون مات على الإيمان، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩٠، ٩١]، وقد أعددت له رسالة»، يقصد رسالته التي رد فيها على الجلال الدواني.

(٢) جاء في الحاشية: «قوله: (على تقدير صحته) إنما قال ذلك لمنع ثبوته في «التفسير الكبير»؛ عند قوله

إن قلتَ: ما تقول في حديث: (استأذنتُ ربي للاستغفار لأمي فلم يأذن)[١]؟ قلتُ: معنى الاستغفار طلب مغفرة الذنب، وهي آمنت بالخالق ووحدت الله تعالى في الخلق، وفيما سواه معذورة إلى قيام الحجة، ولم يقم عليها الحجة فلا ذنب لها، فالاستغفار لها كالاستغفار للصبي يتضمن الكذب في أن له ذنبًا، ولو استأذن النبي ﷺ ربه للاستغفار للصبي لا يأذن له، ولذا لا يجوز الاستغفار لصبي في جنازته، فالاستغفار له لغو متضمن الكذب، ولا يجوز للنبي عليه السلام أن يلغو ويكذب، فلذا لم يأذن ربه للاستغفار لأمه.

قال السيوطي: «وأما حديث عدم إذن الله تعالى لنبيه للاستغفار لأمه فهو خبر آحاد؛ لا يعادل النص القاطع الدال على عدم عذاب أهل الفترة». انتهى[٢].

أقول: الأولى في وجه عدم الإذن للاستغفار لأمه عليه السلام أن الاستغفار لها لغو[٣] يتضمن الكذب كما ذكرنا. وأما بكاؤه عليه السلام عند زيارة قبر أمه كما نقل فتحسر على فراقها؛ لا لعدم إذن ربه للاستغفار لها.

أقول: و[أما] حديث إحياء والديه وإيمانهما فغير ثابت، لأن في إسناده مجهولين، كذا في «تذكرة» القرطبي[٤].

تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾»، أي غير ثابت النسبة إلى رسول الله ﷺ.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٩٧٦).

(٢) يراجع التعظيم والمنة (ص٢٨).

(٣) قوله: «إن الاستغفار لها لغو» أهـ. وأما توهم أن عدم إذنه للاستغفار لها لعدم جواز مغفرتها لكونها مشركة، لعدم جواز مغفرة الشرك، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ فتوهمٌ باطل؛ لأن أهل الفترة معذورون في الشرك، ويجوز دخولها الجنة كما سبق نقله.

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١/ ١٤٠).

قال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣][1]؛ نزل في أبي طالب حين همّ عليه السلام للاستغفار له بعد عدم قبول دعوته عليه السلام، وقيل: نزل حين هم للاستغفار لأمه. انتهى[2]. فضعف الثاني ولم يذكره في «المدارك»[3].

وقال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩] على قراءة نافع؛ على صيغة النهي عن السؤال[4] أنها نزلت عند قوله عليه السلام: «ليت شعري ما فعل أبواي» انتهى[5].

فالمراد من الأبوين لا يجوز أن يكون والديه عليه السلام، لأنهما ليسا من أصحاب الجحيم، فيجب أن يكون المراد بهما غيرهما، فالمراد بهما إما عماه: أبو طالب وأبو لهب، أو أبو طالب وزوجته لا الثالث، فاعرف، فالظاهر أن المراد بهما أبو طالب وزوجته كما عرفت في أول الرسالة.

***

(١) جاء في الحاشية لوحة (٢١٠) قوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ يشعر بأن شرك أهل الفترة لا يضرهم، لأنه شرك في العبادة كما عرفت، وإنما يضرهم بعد عدم قبولهم نهي النبي ﷺ عنه، وهو تبين أنهم أصحاب الجحيم، فلو كان شركهم مضرًّا مطلقًا لما قال: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ لأن هذا القول بمنزلة القول بعدما صاروا من أصحاب الجحيم، وقال بعدما تبين لهم أنهم مشركون فاعرف.

(٢) تفسير البيضاوي (٣/ ٩٩).

(٣) يراجع: تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (١/ ٧١٣).

(٤) يراجع: السبعة في القراءات (ص١٦٩)، جامع البيان في القراءات السبع (٢/ ٨٨٤).

(٥) يراجع: تفسير البيضاوي (١/ ١٠٣).

الفصل السادس

ما ذكرتُه في الرسالة أن والديه عليه السلام يجوز دخولهما الجنة عند الأشعري، ويجب دخولهما الجنة عند أبي حنيفة موافق لأصل الأشعري والماتريدي المذكور في الأصول كما عرفت، فخبر الآحاد الوارد في عذاب أبيه عليه السلام محمول على أبي طالب، وقوله عليه السلام: «ليت شعري ما فعل أبواي» محمول على أبي طالب وزوجته.

فالعجب من علي القاري صنع رسالة، وتكلَّف فيها لكون والديه عليه السلام في النار[1]، وأتى في تلك الرسالة بأسجاع تورث ملالة لمن نظر إليها، وصدَّر رسالته بالمنقول عن أبي حنيفة رحمة الله عليه في «الفقه الأكبر»: «ووالدا رسول الله ماتا على الكفر» ولم يدر أن المراد بالكفر فيه الكفر مجازًا؛ وهو لا يضرهما كما عرفت، ويجب دخولهما الجنة على أصل أبي حنيفة، وأتى بأخبار آحاد في عذاب أبيه، مع أنه محمول على أبي طالب، وأبويه محمول على أبي طالب وزوجته، ليصح ما ذكر في أصول الفقه كما ذكرنا.

والعمل بأصول الفقه أولى من العمل بأخبار الآحاد؛ مع أنها يمكن حمل الأب فيها على أبي طالب، وحمل الأبوين فيها على أبي طالب وزوجته، وقال السيوطي في رسالته الأخرى: «إن والدي رسول الله في الجنة»، وإنما قطع ذلك أن السيوطي شافعي أشعري ويجوز دخولهما الجنة عنده ولا يجب؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]. والنبي عليه السلام لا يرضى بعدم دخولهما الجنة مع جواز دخولهما الجنة؛ فالحق مع السيوطي رضي الله تعالى عنه. وأما علي القاري فلعل البرودة أثرت في رأسه فاختل عقله، فصلى الله على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى والديه، ونقطع بأنهما في الجنة لأننا حنفيون ماتريديون.

---

(١) أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام.

وسميتها «رسالة السرور والفرح» لأنها تسر الناظرين المؤمنين ويفرحون بها.

الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات، وسبحان ربنا رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

[تمت الرسالة المرغوبة بعناية الله تعالى][١]

***

(١) نسخة جامعة الملك سعود (لوحة٨أ).

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

***

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أَنْبَاءُ الاصْطِفَا فِي حَقِّ آبَاءِ المُصْطَفَى

مُحَمَّد بن قَاسِم بن يَعْقُوب الأَمَاسِيّ (٩٤٠هـ)

دِرَاسَة وَتَحْقِيق

د. عَلِي رَمَضَان الأَزْهَرِيّ

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

العلامة محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي حياته وآثاره

اسمه ونسبه ومولده:

هو محمد بن قاسم بن يعقوب بن أحمد الأماسي، محيي الدين، ابن الخطيب قاسم، فقيه حنفي، مفسر، عارف بالحديث والتاريخ والموسيقى، من علماء الروم (الترك) عربي التصانيف[١].

مولده: ولد العلامة الأماسي في بلدة (أماسية) من بلاد الترك وإليها نسب[٢]، ونشأ بها وحفظ القرآن، وتلقى علومه الأولى على يدي والده ونخبة من العلماء، حتى فرغ من الأصول والفروع سنة ٨٨٠هـ، وهو في السادسة عشرة من عمره. وهذا يدل على نبوغه ودأبه في تحصيل العلوم المعروفة في عصره[٣].

شيوخه وتلاميذه:

تلقى الشيخ العلم منذ نعومة أظفاره على عدد كبير من العلماء في علوم متنوعة يشهد بها ما تركه الشيخ من مصنفات، وما قام بتدريسه من علوم، ومن هؤلاء العلماء:

---

(١) معجم المفسرين (٢/ ٦٠٧)، ويراجع: الشقائق النعمانية (ص١٧٦)، الأعلام (٧/ ٦)، معجم المؤلفين (١١/ ١٤٨)، كشف الظنون (٢/ ١٢٤٩)، معجم تاريخ التراث الإسلامي (٤/ ٣٠٣٧).

(٢) تقع مدينة الأمراء العثمانيين «أماسيا» (Amasya) بين الجبال فوق ساحل البحر الأسود، في واد ضيق يسمى وادي «هرشينا»، يقع على ضفاف نهر «يشيل أرماق». وهي عاصمة مقاطعة «أماسيا». ويقدر عمر هذه المدينة بنحو سبعة آلاف عام، وقد خرج منها الملوك والأمراء حيث كانت مركزًا لتدريبهم قديمًا، بالإضافة إلى الفنانين والعلماء، والشعراء والمفكرين. وبسبب بيوتها الخشبية التي تعود للفترة العثمانية، ومقابر الملوك المنحوتة في المنحدرات، صارت مكانًا جذابًا للزوار. موقع ترك برس، نشر بتاريخ (١١/ ٧/ ٢٠١٥).

(٣) مقدمة تحقيق روض الأخيار من ربيع الأبرار (ص٥).

١- والده، وقد تلقى على يديه جملة من العلوم.

٢- سيد أحمد بن عبد الله القريمي العثماني الحنفي المعروف بالقريمي المتوفى باستانبول سنة ٨٧٩/ ١٤٧٤[١].

٣- خير الدين الرومي (المعروف بخضر بك)، المتوفي سنة٨٦٣هـ[٢].

مكانته:

لقد تبوأ الشيخ محيي الدين الأماسي مكانة كبيرة، حيث مكنه نبوغه وحبه للعلم من إتقان الكثير من العلوم في عصره مثل الحديث النبوي والتفسير والقراءات والتاريخ واللغة، كما كان له اطلاع واسع على العلوم التي لها علاقة بحياة الكثير من الناس في وقته كالأوفاق والتعبير والجَفر، مع مشاركة في كثير من العلوم، مما جعله صاحب باع

---

(١) قال صاحب الشقائق النعمانية: «العالم العامل، والفاضل الكامل، المولى سيد أحمد بن عبد الله القريمي قرأ على شرف الدين المزبور آنفًا، وأتى بلاد الروم، فأعطاه السلطان المذكور مدرسة بقصبة مزريفون، ثم أتى بلدة قسطنطينية في زمن السلطان محمد خان، فعيَّن له كل يوم خمسين درهمًا وكان يذكر ويدرس، له حواش على شرح اللب للسيد عبد الله، وحواش على شرح العقائد للعلامة التفتازاني، وحواش على «التلويح» للعلامة التفتازاني أيضًا. مات رحمة الله تعالى عليه بمدينة قسطنطينية ودفن بها». «الشقائق النعمانية» (ص٥٠)، ويراجع: معجم تاريخ التراث (١/ ٣٢٢).

(٢) قال صاحب الضوء اللامع: «خضر بك بن القاضي جلال بن صدر الدين بن حاجي إبراهيم، العلامة خير الدين الرومي الحنفي، أحد علماء الروم ومدرسيهم وأعيانهم. ولد في مستهل ربيع الأول سنة عشر وثمانمئة، ونشأ بمدينة بورسا فتفقه بالبرهان حيدر الخافي والفناري، وقرأ يعقوب القرماني وغيرهم وبرع في النحو والصرف والمعاني والبيان وغيرها، وصنف وجمع وأفاد ودرس، ومن تصانيفه: حواشي على حاشية الكشاف وللتفتازاني، وأرجوزة في العروض، وأخرى في العقائد، وولي تدريس الجامع الكبير بأدرنة ومدرسة السلطان مراد، وقدم مكة في سنة تسع وخمسين، فلقيه ابن عزم المغربي وأفادنيه وقال: إنه مات سنة ستين». الضوء اللامع (٣/ ١٧٨)، ويراجع: الشقائق النعمانية (ص٥٠)، الطبقات السنية في تراجم الحنفية (ص٢٦٩)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير (١/ ٨٥٥).

كبير في الوعظ والتذكير، كما كان في الوقت ذاته شاعرًا ينظم الشعر بالعربية والتركية، وقد قام بالتدريس في موطنه فترة كبيرة، وترقى في عمله حتى صار مدرسًا بإحدى المدارس المشهورة في القسطنطينية، كما نصبه السلطان بايزيد خان معلمًا لابنه أحمد، كما عُرِفَ عن الشيخ ورعه وصلاحه وتقشفه، وطلاقة لسانه وجرأة جنانه، وقوته على المحاورة والمناظرة وفصاحته عند المباحثة، وأنه ذو أنفة وإباء وقناعة بما هو فيه، لا يتقرب ولا يتزلف لأحد من الوزراء والسلاطين.

يقول صاحب «الشقائق النعمانية»: «العالم العامل، والفاضل الكامل، المولى قاسم بن يعقوب الأماسي المشتهر بالخطيب، قرأ: على المولى السيد أحمد القريمي، ثم صار مدرسا ببلدة أماسيه، ثم صار معلمًا للسلطان بايزيدخان حين كان أميرًا عليها، ولما جلس السلطان بايزيد خان على سرير السلطنة، أعطاه مدرسة السلطان مراد خان بمدينة بروسه، ثم جعله معلمًا لابنه السلطان أحمد حين نصبه أميرًا على أماسيه، ومات هناك. كان رحمه الله تعالى عالـمًا عارفًا بعلوم القراءات والتفاسير والأحاديث والأصول والفروع، وكان طيب النفس، كريم الاخلاق، محبًّا للصوفية وملازمًا لهم، روح الله روحه، ونور ضريحه»(١).

جهوده العلمية ومصنفاته:

لقد تصدى العلامة الأماسي للتدريس فترة طويلة، ونال شهرة واسعة أهلته لأن يكون مدرسًا بإحدى أشهر المدارس الثمانية في القسطنطينية، كما أهلته لأن ينصبه السلطان بايزيد خان مدرسًا لابنه أحمد.

هذا والمطالع لمصنفات الشيخ يتبين له في وضوح تنوع ثقافته وسعتها وثراؤها، حيث تنوعت مصنفاته ما بين التفسير والفقه، واللغة والعقيدة، والتاريخ وغيرها.

(١) الشقائق النعمانية (ص١٦٧).

وقد كان معظمها حواشٍ على شروح بعض المؤلفات، ورسائل في موضوعات مختلفة، وهاهي بعض مؤلفاته:

١- أنباء الاصطفا في حق آباء المصطفى، (وهو موضوع دراستنا).

٢- تحفة العشاق، منظومة تركية لطيفة.

٣- حاشية على شرح الفرائض السراجية للسيد الشريف الجرجاني.

٤- حاشية على أوائل (شرح الوقاية) لصدر الشريعة.

٥- حاشية على رسالة السبع أشكال على المواقف، لمصلح الدين القسطلاني (ت: ٩٠١هـ).

٦- حاشية على المقدمات الأربع.

٧- رسالة في فضل الرؤية والكلام.

٨- رسالة في فضل الجهاد.

٩- رسالة في القبلة، ومعرفة سمتها.

١٠- رسالة في مختارات العلم.

١١- رسالة في موضوعات العلوم.

١٢- روض الأخيار من ربيع الأبرار، وقد اختصره من كتاب ربيع الأبرار للزمخشري[1]، وقد طبع هذا الكتاب بتحقيق: محمود فاخوري، ط: دار القلم العربي.

---

(١) هدية العارفين (٢/ ٢٣٥)، ويراجع: كشف الظنون (٢/ ١٢٤٩)، الأعلام (٧/ ٦)، معجم المفسرين (٢/ ٦٠٧)، الفهرس الشامل للتراث (٣/ ٥٦٥)، جامع الشروح والحواشي (٢/ ١٠٧٧، ٣/ ٢٤٩٥)، معجم تاريخ التراث (٤/ ٣٠٣٧).

مما تقدم يظهر لنا التنوع الواضح في مؤلفات العلامة الأماسي، مما يدل على تبحره وتنوع ثقافته.

وفاته:

لقد عاش الشيخ محي الدين الأماسي حياة حافلة ملأ فيها الدنيا وشغل الناس، حيث اشتغل بالتدريس والتصنيف، والوعظ والتذكير، والمساهمة في صياغة وعي قادة الدولة العثمانية، وتوفي عن ستة وسبعين عامًا.

قال صاحب «معجم المطبوعات»: «المولى محيي الدين أبو أحمد محمد بن الخطيب قاسم ابن يعقوب، ولد بأماسيا، وتوفى بأدرنه. وكان مدرسًا في القسطنطية ثم في أدرنه، فرغ من قراءة الأصول والفروع بتوفيق واهب النفوس والعقول، سنة ٨٨٠هـ ونصبه السلطان بايزيد خان معلمًا لابنه السلطان أحمد، وكان له اطلاع عظيم على العلوم الغريبة كالجفر والموسيقى وسائر العلوم الرياضية.

وفي «روض الأخيار المنتخب من ربيع الابرار» قال فيه: «لما كان علم المحاضرات علمًا نافعًا من علوم العربية حتى إن العلامة (الزمخشري) قد صنف في ربيع الأبرار إلا أنه بحر زاخر لا تدرك غايته، استخرجت من نخب فوائده على وجه الاختصار، وألحقت ما عثرت عليه في كتب الأدباء» وذكر أنه توفي سنة ٩٤٠هـ[1].

***

(١) معجم المطبوعات العربية والمعربة (١/ ٩٤)، ويراجع: الأعلام (٧/ ٦)، هدية العارفين (٢/ ٢٣٥)، كشف الظنون (١/ ٩١٦)، معجم المفسرين (٢/ ٦٠٧)، معجم تاريخ التراث (٢/ ١٠٧٧)، الفهرس الشامل للتراث (٣/ ٥٦٥).

«أنباء الاصطفا في حق آباء المصطفى»
اسمًا ونسبة

وسوف يدور الكلام عليها تحت العناوين الآتية:

أولًا: اسمها:

ورد لهذه الرسالة اسم واحد هو «أنباء الاصطفا في حق آباء المصطفى»، وقد وردت الرسالة بهذا الاسم في:

١- طرة الرسالة، حيث كُتِبَ على طرتها: «أنباء الاصطفا في حق آباء المصطفى ﷺ للشيخ العلامة الهمام محمد بن مولانا قاسم الأماسي الشهير بابن الخطيب القاسم، نفعنا الله تعالى به، بجاه محمد وآله وأصحابه أجمعين، آمين»[1].

٢- مقدمة الرسالة نفسها: إذ ورد فيها ما يثبت تسميتها بهذا الاسم، حيث يقول العلامة الأماسي: «وسميتها «أنباء الاصطفاء في حق آباء المصطفى» والله أسأل أن يلهمني الصواب، ويجعلني من الناجين من العذاب؛ في يوم الحشر والحساب».

ثانيًا: نسبتها:

تثبت نسبة هذه الرسالة لمؤلفها بعدة أمور:

١- أنه ورد على طرتها ما يثبت صحة نسبتها للعلامة الأماسي، وقد تقدم.

٢- كما وتثبت نسبتها بما ذكره العلامة الأماسي في مقدمتها حيث قال: «فهذه رسالة صدرت عن الصدر الساهي، الغريق في الملاهي- أعني صاحب القلب القاسي، محمد بن مولانا قاسم الأماسي، الشهير بابن الخطيب؛ غفر الله له ولآبائه كل المآثم- في شرف آباء صدر الرسالة؛ وطهارتهم عن الخيانة والرذالة، وجمعت فيها ما ورد من

---

(١) طرة المخطوط نسخة دار الكتب المصرية.

الآيات الكريمة والأخبار؛ وما صدر من الثقات من الكلمات والآثار، ونرجو أن تكون وسيلة لرحمة الله؛ وواسطة لشفاعة أفضل رسل خلق الله، وسميتها «أنباء الاصطفاء في حق آباء المصطفى»، والله أسأل أن يلهمني الصواب».

٣- نسبتها إلى مصنفها في كتب التراجم والفهارس:

حيث ورد ت نسبتها إلى المصنف في «الأعلام» (٦/ ٧)، «معجم المؤلفين» (١١/ ١٤٨)، وفي «كشف الظنون» (١/ ١٧٠)، و«خزانة التراث» (٩٩/ ٢٦٢)، و«الفهرس الشامل للتراث» (٣/ ٥٦٥)، «جامع الشروح والحواشي» (٢/ ١٠٧٧، ٣/ ٢٤٩٥)، «معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ» (ص٥١).

٤- عدم ورود ما ينفي نسبتها إلى العلامة الأماسي.

***

مصادر الأماسي في كتابه أنباء الاصطفا

المطالع لهذا الكتاب يجد أن العلامة الأماسي قد رجع في هذه الرسالة إلى مصادر كثيرة ومتنوعة من التفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ والسير وغيرها، وهاهي المصادر التي اعتمد عليها الشيخ وذكرها صراحة، مرتبة على حروف المعجم:

(١): كتب التفسير وعلوم القرآن:

١- أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ).

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن محمد البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ).

٣- بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ).

٤- التفسير البسيط، علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ).

٥- التفسير الوسيط، علي بن أحمد الواحدي (ت: ٤٦٨هـ).

٦- التيسير في التفسير، عمر بن محمد النسفي (ت: ٥٣٧هـ).

٧- جامع البيان في تفسير القرآن، معين الدين الإيجي (ت: ٩٠٥هـ).

٨- حاشية التفتازاني على الكشاف، مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت: ٧٩٣هـ).

٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ).

١٠- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ).

١١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (ت: ٥٤٢هـ).

١٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي (ت: ٥١٠هـ).

١٣- مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير للفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ).

١٤- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي (ت: ٤٦٨هـ).

(٢): كتب السنة وعلومها:

١- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ).

٢- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٦هـ).

٣- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم (ت: ٤٠٥هـ).

٤- زهر الفردوس، لابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ).

٥- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ).

٦- دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ).

٧- دلائل النبوة، أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ).

٨- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ).

٩- السابق واللاحق، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ).

١٠- ناسخ الحديث ومنسوخه، لابن شاهين (ت: ٣٨٥هـ).

١١- حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ).

١٢- مسند أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ).

١٣- مسند البزار، أبو أحمد بن عمرو بن خلاد (ت: ٢٩٢هـ).

١٤- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت: ٣٦٠هـ).

١٥- ميزان الاعتدال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ).

١٦- مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (ت: ٤٠٦هـ).

١٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ).

١٨- الاستذكار، لابن عبد البر النمري (ت: ٤٦٣هـ).

١٩- شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ).

٢٠- شرح الزركشي لصحيح البخاري، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ).

٢١- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف الكرماني (ت: ٧٨٦هـ).

(٢): كتب السيرة والتاريخ والشمائل:

١- تاريخ ابن حبيب= المحبر، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت: ٢٤٥هـ).

٢- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ).

٣- الروض الأنف عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ).

٤- سيرة ابن إسحاق = المغازي والسير، محمد بن إسحاق بن يسار (ت: ١٥١هـ).

٥- شرح الشفا= نسيم الرياض للخفاجي (ت: ١٠٦٩هـ).

٦- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ).

٧- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس (ت: ٧٣٤هـ).

٨- الفوائد الكامنة في إيمان السيدة آمنة، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ).

٩- لب العقول في أبوي الرسول، لابن العربي (ت: ٥٤٣هـ).

١٠- المناقب الكردرية، في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان، محمد بن محمد بن شهاب بن يوسف الكردري (ت: ٨٢٧هـ).

١١- مورد الصادي في مولد الهادي، لابن ناصر الدين الدمشقي (ت: ٨٤٢هـ).

١٢- نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، محمد بن يوسف الزرندي (ت: ٧٤٧هـ).

١٣- الوسائل إلى معرفة الأوائل، للشيخ الإمام الحافظ المجتهد جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن الإمام كمال الدين السيوطي (ت: ٩١١).

(٤): كتب العقيدة:

١- التبصرة في الدين، للشيخ الإمام أبو المظفر ظاهر بن محمد الإسفراييني (ت: ٤٧١هـ).

٢- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي (ت: ٦٧١هـ).

٣- ذم الكلام وأهله، عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ).

٤- السيف المسلول على من سب الرسول، تقي الدين السبكي (ت: ٧٥٦هـ).

٥- شرح المواقف، علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ).

٦- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ).

(٥): كتب الفقه والأصول:

١- العناية شرح الهداية، محمد بن محمد بن محمود البابرتي (ت: ٧٨٦هـ).

٢- غاية البيان، ونادرة الأقران = شرح الهداية، للإمام أمير كاتب الإتقاني الحنفي (ت: ٧٥٨هـ).

(٦): كتب اللغة والأدب:

١- ديوان أبي طالب (أبو هفان عبد الله بن أحمد المهزمي، وعلي بن حمزة البصري التميمي)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت، دار الهلال، ٢٠٠٣ م.

٢- ديوان الفرزدق، همام بن غالب (ت: ١١٠هـ).

٣- ديوان الكميت (هاشميات الكميت)، الكميت بن زيد الأسدي (ت: ١٢٦هـ).

وبعد هذا العرض الموجز لمصادر الأماسي في كتابه «أنباء الاصطفا» يتبين لمن يعيش معه في رحاب كتابه الماتع جملة أمور منها:

١- تنوع مصادره في كتابه ما بين التفسير والحديث والفقه والأصول واللغة والأدب والتاريخ والسير وغيرها، مما يدل على تنوع مشاربه وتفوقه العلمي وتميزه.

٢- أنه موفق في نقوله واستدلالاته من هذه الكتب.

٣- تنوع طريقته في النقل والاستدلال، فتارة نراه ينقل الكلام بنصه (وهذا قليل)،

وتارة يتصرف في الكلام المنقول حسبما يستدعي المقام، وقد غلب عليه التصرف فيما ينقل، وذلك لأنه بنى كتابه على الايجاز، وهذا في حد ذاته دليل على تمكنه ورسوخه العلمي.

٤- ظهور شخصيته ووضوحها بقوة، فهو ليس مجرد ناقل؛ دون أن يكون له أدنى حضور، بل على العكس تمامًا نراه يعقب ويختار ويرجح ما يراه راجحًا بالدليل، مما يدل على أنه يمتلك ناصية الموضوع.

وصف نسخ المخطوط:

بفضل الله تعالى اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على ثلاث نسخ خطية، وهي كالتالي:

١- النسخة الأولى: وهي نسخة جلبي عبد الله بتركيا، تحت رقم: (٤٠٥)، وهي ضمن مجموع يتكون من ٢٤٣ لوحة، ويتضمن عدة رسائل، وعلى المجموع ختم مكتبة جلبي عبد الله بتركيا، ويأتي ترتيبها الثالث ضمن رسائل هذا المجموع بداية من لوحة (٨٠) إلى لوحة (١١٠)، وألحق بها رسالة صغيرة في ترجمة أسماء الأعلام الواردة في الرسالة، وقد كتب في بدايتها: «هذه تذكرة الأسامي التي وجدت في حواشي كتاب «أنباء الاصطفا في حق آباء المصطفى» وكتبت في هذه الرسالة مستقلًا لما كانت نفعًا منفردًا» وهي تقع في لوحتين من ثلاث صفحات، ويمكن أن تكون للمؤلف أو لأحد تلاميذه.

وبالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي: رقم المخطوط: (٤٠٥)، عدد الأوراق: (٣٣)، في كل منها صفحتان، عدد الأسطر: (٢١) سطرًا، متوسط الكلمات: (١١) كلمة، نوع الخط: خط نسخ واضح، وبها نظام التعقيبة، وقد كتبت بمداد أسود للكلمات، وأحمر للعناوين.

الناسخ: لم يثبت في نهايتها من قام بنسخها. وأما تاريخ نسخها فقد أثبت في نهاية الرسالة حيث جاء فيه: «ختمت هذا الكتاب بعون الله الملك المغني في يوم العاشر من صفر، ختم بالخير والظفر، يوم الثلاثاء إحدى وثلاثين وتسعمئة في أيام دولت السلطان ذي العدل والإحسان، إسكندر الزمان، السلطان سليمان ابن السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان، مد الله دولته إلى انقراض الزمان، ونشر آثار عدله على وجه الأرض في كل مكان، لا زال ظاهرًا وقاهرًا لأعداء الدين، ومعينًا للفقراء والمساكين، وملجأً وملاذًا للمظلومين، ورحم أسلافه الماضين من الغزاة والسلاطين، في كرس[1] بلاد الإسلام بمدرسة آيا صوفيه في بلدة قسطنطينية حماها الله تعالى بفضله وكرمه عن نكبات الأيام»[2].

وقد جعلتُها النسخة الأم، والذي دعاني لذلك أنها كُتِبت في عهد المصنف، وقبل وفاته بتسع سنين، وأثبت بها مكان نسخها أيضًا، كما أنها نسخة كاملة

٢- **النسخة الثانية**: وهي نسخة مكتبة ولي الدين أفندي بتركيا، تحت رقم (٤٨٤)، وهي واضحة الكلمات ليس بها سقط، وعليها ختم يفيد أنها أوقفت على مكتبة ولي الدين أفندي، وأثبت على طرتها عدة تمليكات.

وبالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي: رقم المخطوط: (٤٨٤)، عدد الأوراق: (٥٢) ورقة، في كل منها صفحتان، عدد الأسطر: ١٥ سطرًا، متوسط الكلمات: ١٠ كلمة، نوع الخط: نسخة جيدة، خطها تعليق حسن، وبها نظام التعقيبة، وقد كتبت بمداد أسود.

---

(١) كرس بمعني أساس أو أصل، ويقصد بها عاصمة الخلافة في الدولة العثمانية.

(٢) أنباء الاصطفا في حق آباء المصطفى، نسخة جلبي عبد الله ضمن مجموع (لوحة:١١٠)، وكرس تعني أصل.

وأما الناسخ فلم يثبت في نهايتها من قام بنسخها، ولكن الواضح من قلة الأخطاء الإملائية فيها وجمال خطها أن الناسخ كان عالمًا أو طالبًا للعلم. وأما تاريخ نسخها فقد أثبت في نهاية الرسالة حيث جاء فيه: «تمت كتابة هذا الكتاب بعون الله الملك الوهاب في أواخر شهر الحجة الحرام، ختام سنة ثمانية وثمانين وألف، وحسبنا الله ونعم الوكيل»، أي بعد وفاة المؤلف بأربع وأربعين سنة.

٣- **النسخة الثالثة**: وهي نسخة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة، المأخوذة عن نسخة المكتبة الأزهرية، تحت رقم (١٤٠٣ التاريخ)، وهي واضحة الكلمات ليس بها سقط، وعليها تملكات، وما يفيد أنها أوقفت على المكتبة الأزهرية برواق الشوام - الأزهر (تاريخ ٦٥)، وعدد أوراقها: (٣٩) ورقة، وعدد الأسطر: (١٩) سطرًا، وقد كتبت بخط النسخ، وبها نظام التعقيبة، وناسخها: يوسف بن عبد الله بن محمد الديريني الشافعي، وأما تاريخ نسخها فهو (١١٢١هـ- [حوالي ١٧٠٠م)، وبالاطلاع على هذه النسخة يتبين أنها منسوخة من نسخة جلبي عبد الله؛ وذلك لتطابق ما أثبت في آخرها، وقد أثبت ناسخها في آخرها تاريخ كتابتها حيث قال: «تمت كتابة هذا الكتاب على يد تراب الأقدام يوسف بن عبد الله بن محمد الديريني الشافعي، غفر الله له ولجميع المسلمين، وذلك في أواخر شهر رمضان المعظم قدره وحرمته من شهور سنة إحدى وعشرين ومئة وألف»[1].

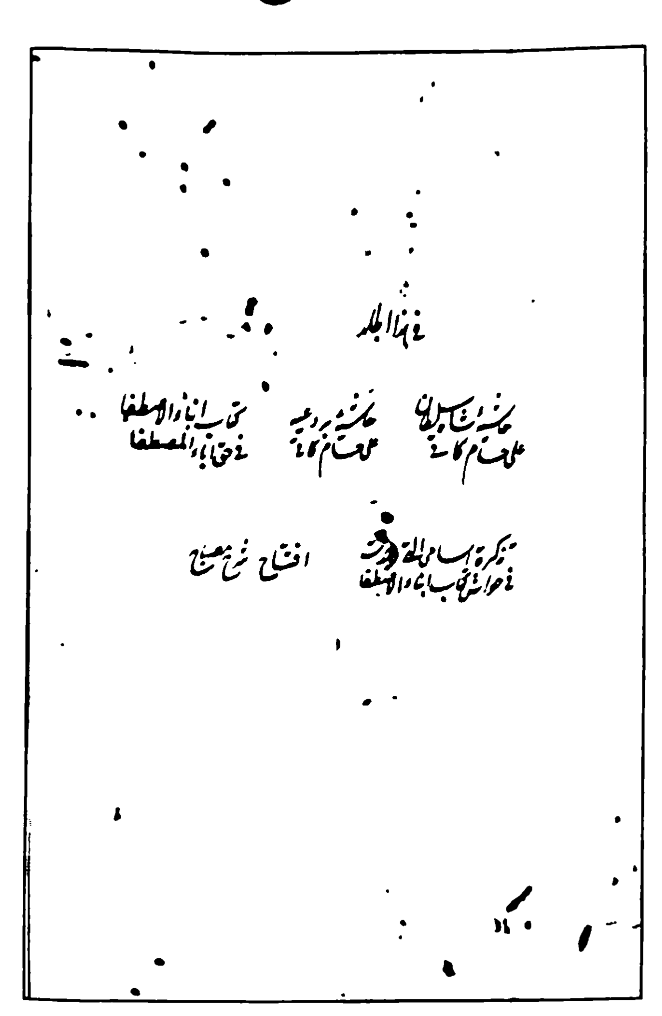
***

---

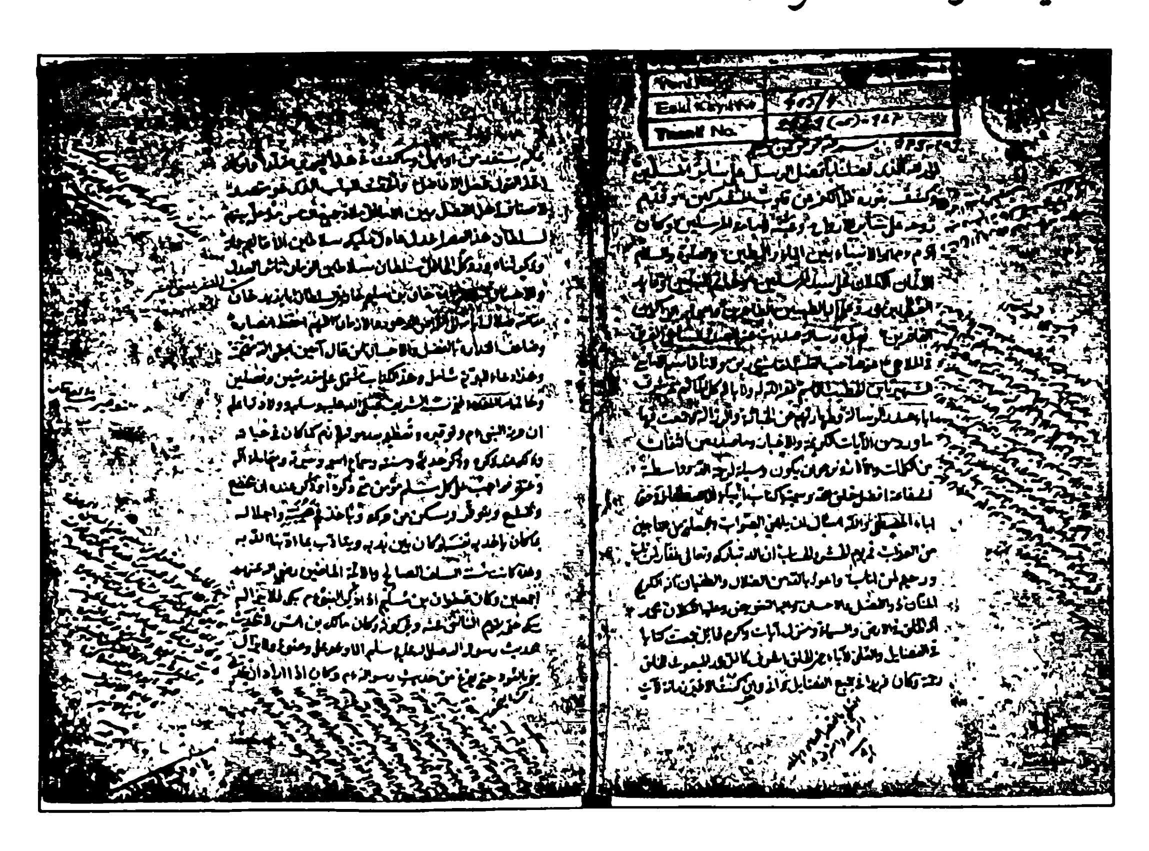
(١) أنباء الاصطفا في حق آباء المصطفى نسخة معهد المخطوطات بالقاهرة (لوحة رقم:٣٩).

النسخة الأولى: نسخة جلبي عبد الله بتركيا (ضمن مجموع):

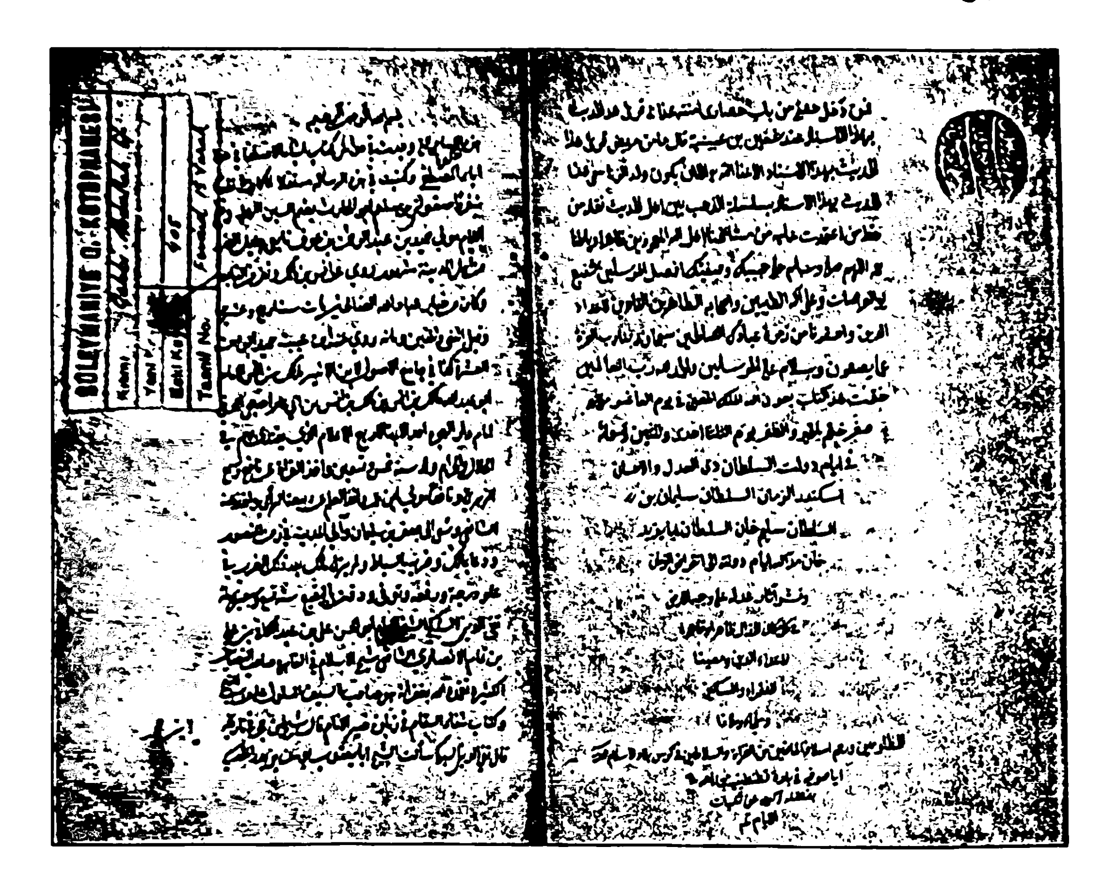
اللوحة الأولى: (صورة الغلاف والعنوان):



اللوحة الثانية: (أول المخطوط):

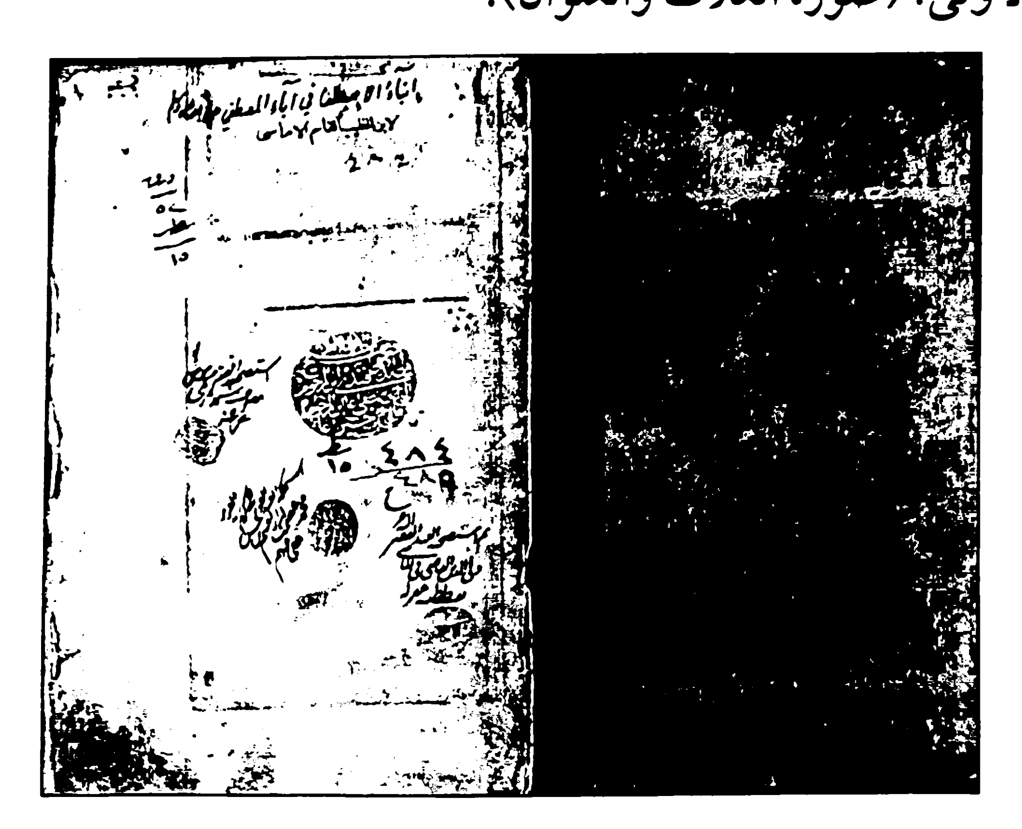


اللوحة الأخيرة:

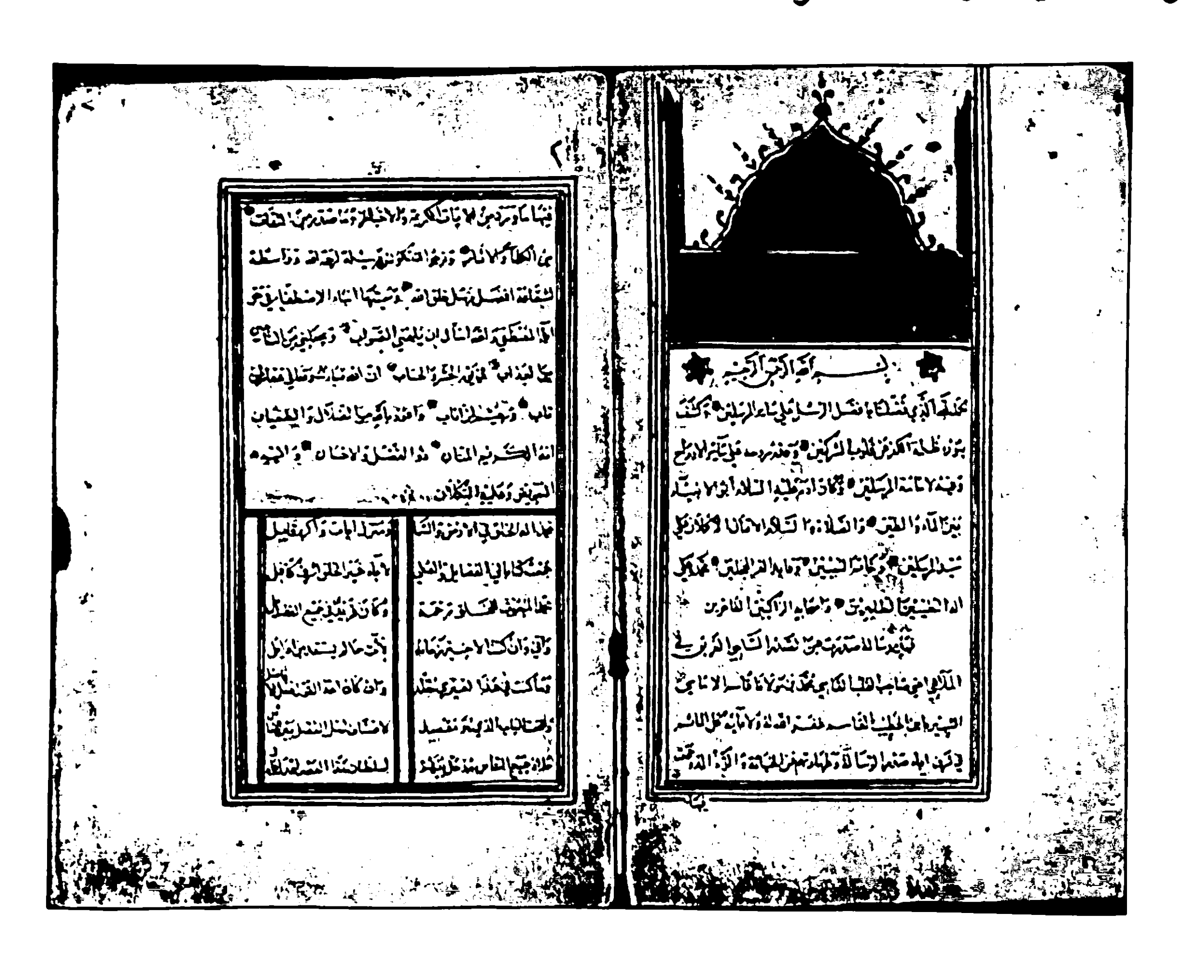


النسخة الثانية: وهي نسخة مكتبة ولي الدين أفندي بتركيا:

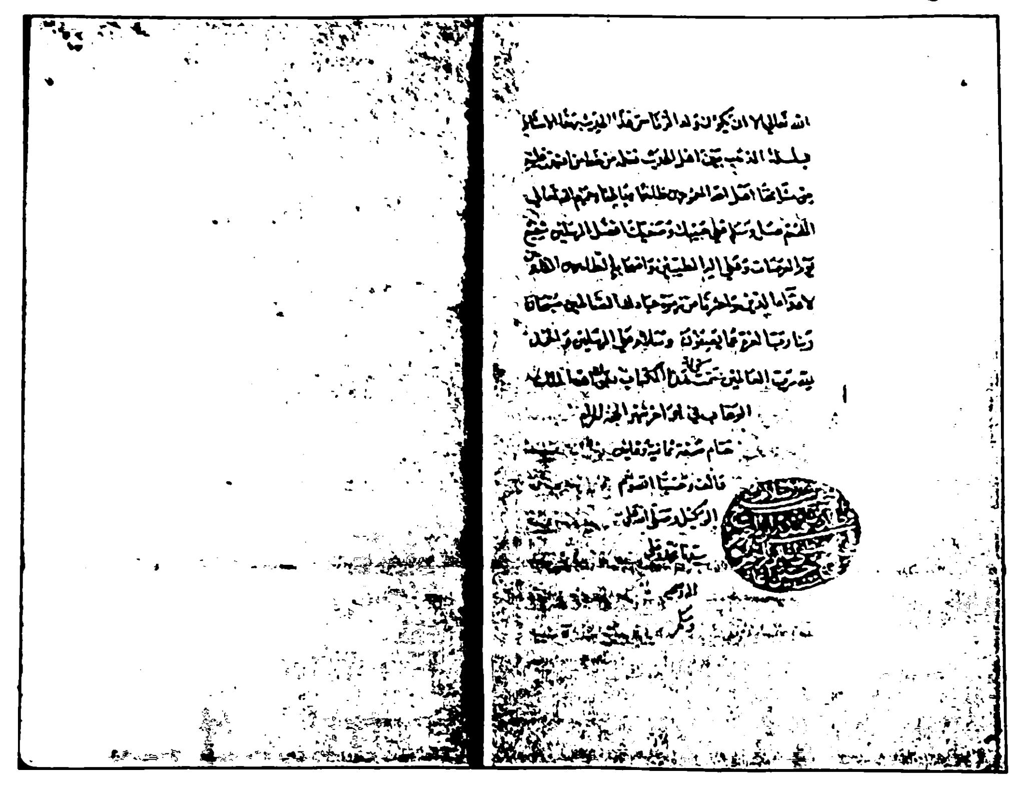
اللوحة الأولى: (صورة الغلاف والعنوان):



اللوحة الثانية: أول المخطوط:

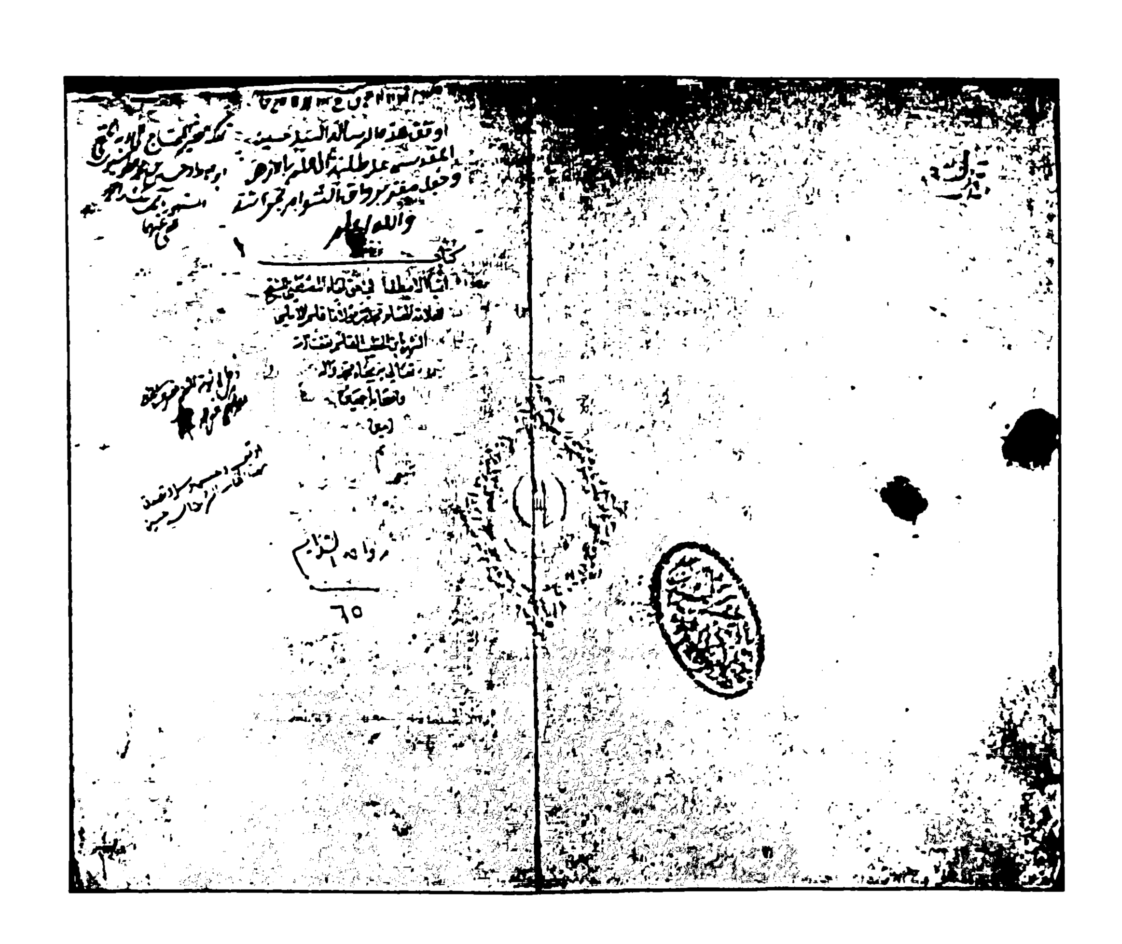


اللوحة الأخيرة:

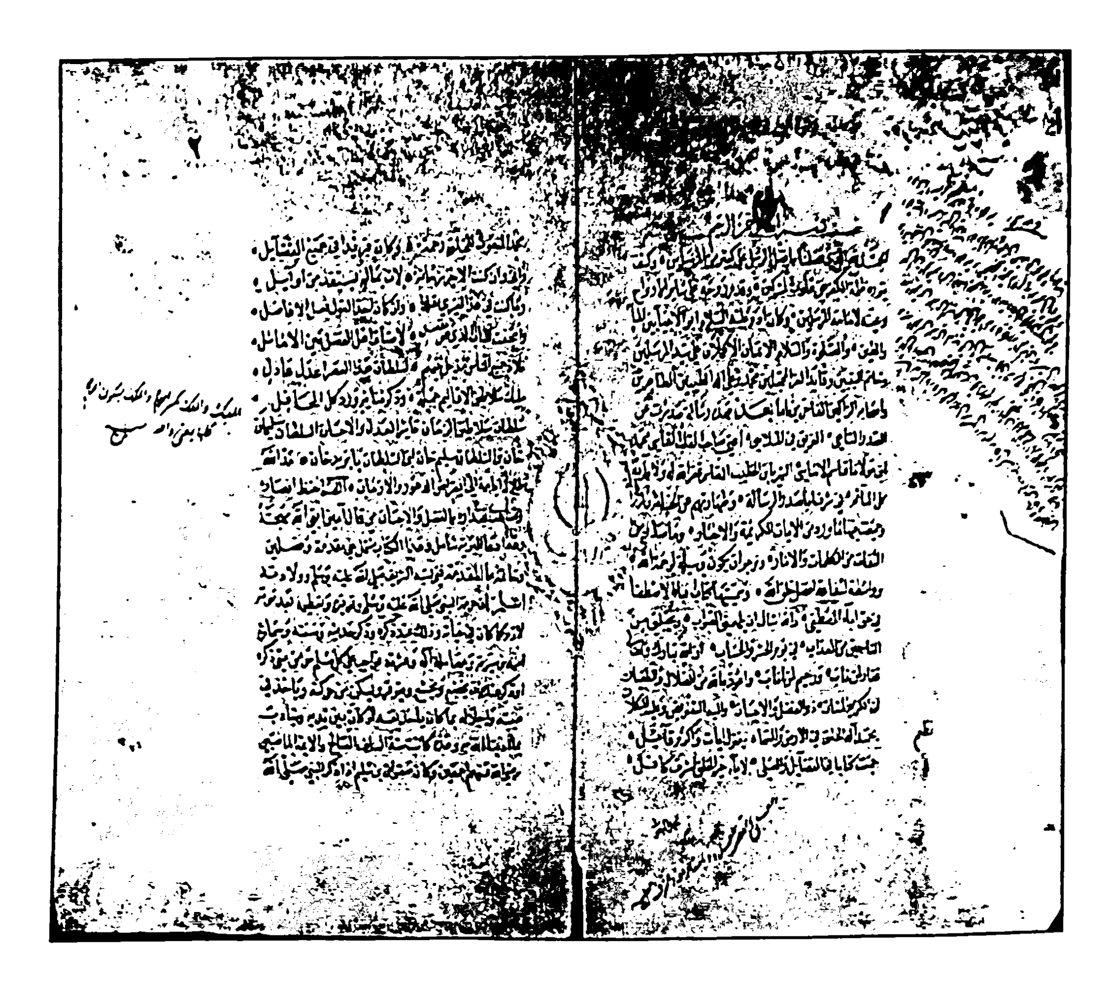


النسخة الثالثة: وهي نسخة معهد المخطوطات بالقاهرة:

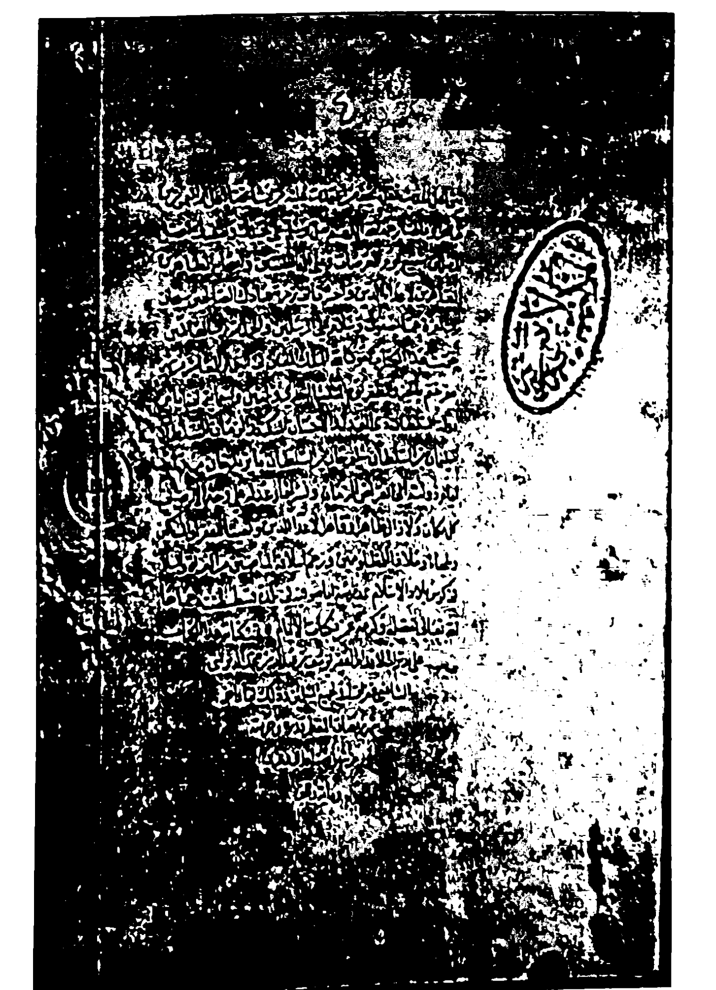
اللوحة الأولىٰ: (صورة الغلاف والعنوان):



اللوحة الثانية: (أول المخطوط):



اللوحة الأخيرة:



النص المحقق

أنباء الاصطفا في آباء المصطفى

للشيخ العلامة الهمام محمد بن مولانا قاسم الأماسي

الشهير بابن الخطيب القاسم

نفعنا الله تعالى به بجاه محمد وآله وأصحابه أجمعين آمين

[مقدمة المصنف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فضلنا بأفضل الرسل على سائر المرسلين، وكشف بنوره ظلمة الكفر عن قلوب المشركين، وقدَّم روحه على سائر الأرواح، وعيَّنه لإمامة المرسلين، وكان آدم عليه السلام أبو الأنبياء بين الماء والطين[1]، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد المرسلين؛ وخاتم النبيين، وقائد الغر المحجلين[2]؛ محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الزاكين الفاخرين.

أما بعد: فهذه رسالة صدرت عن الصدر الساهي، الغريق في الملاهي، أعني صاحب القلب القاسي محمد ابن مولانا قاسم الأماسي، الشهير بابن الخطيب؛ غفر الله له ولآبائه كل المآثم في شرف آباء صدر الرسالة، وطهارتهم عن الخيانة والرذالة،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/ ٣٧٩) واللفظ له، وابن حبان (١٤/ ٣١٣) والطبراني (١٨/ ٢٥٢) بسنده إلى العرباض بن سارية، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني عبد الله لخاتم النبيين، وإن آدم عليه السلام لمنجدل في طينته**»، **وقال محققه**: «**صحيح لغيره**».

(٢) أخرج البخاري ومسلم واللفظ للبخاري بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: (إني سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل**»، البخاري، كتاب الوضوء، باب فضل الوضوء (١/ ٣٩)، ومسلم كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء (١/ ٢١٦).

وجمعت فيها ما ورد من الآيات الكريمة والأخبار، وما صدر من الثقات من الكلمات والآثار، ونرجو أن تكون وسيلة لرحمة الله، وواسطة لشفاعة أفضل رسل خلق الله، وسميتها «أنباء الاصطفاء في حق آباء المصطفى».

والله أسأل أن يلهمني الصواب، ويجعلني من الناجين من العذاب في يوم الحشر والحساب، إن الله تبارك وتعالى غفَّار لمن تاب، ورحيم لمن أناب، وأعوذ بالله من الضلال والطغيان إنه الكريم المنان، ذو الفضل والإحسان، وإليه التفويض وعليه التكلان.

بحمد إله الخلق في الأرض والسما ... ومنزل آيات وأكرم قائل
جمعت كتابًا في الفضائل والعُلا ... لآباء خير الخلق أشرف كافل
محمد المبعوث للخلق رحمة ... وكان فريدًا في جميع الفضائل
وإني وإن كنت الأخير زمانه ... لآت بما لم يستفد من أوائل
وما كنت في هذا لغيري مقلِّدًا ... وإنَّ أخذ القول فعل الأفاضل
وأتحفت للباب الذي هو مقصد ... لأصناف أهل الفضل بين الأماثل
ملاذ جميع الناس مُذ حلَّ بينهم ... لسلطان هذا العصر أعدل عادل
مليك سلاطين الأقاليم جملة ... وذكر ثنائه وِرْدُ كل المحافل

سلطان سلاطين الزمان؛ ناشر العدل والإحسان السلطان سليمان خان[1] ابن السلطان سليم خان، ابن السلطان بايزيد خان؛ مد الله ظلال أيامه إلى انقراض الدهر

(١) سليمان الأول بن سليم الأول بن بايزيد الثاني بن محمد الفاتح بن مراد الثاني بن محمد الأول بن بايزيد الأول بن مراد الأول بن أورخان غازي بن عثمان بن أرطغرل، ولد هَذَا الْملك الَّذِي بلغت الدولة الْعلية فِي مدَّته أعلى دَرَجَات الْكَمَال فِي غرَّة شعْبَان سنة ٩٠٠ هجرية ٢٧ ابريل سنة ١٤٩٥ م وَهُوَ عَاشر مُلُوك آل عُثْمَان، وقد ولد سليمان القانوني في مدينة (طرابزون) كان والده آنذاك واليًا عليها اهتم به والده اهتمامًا عظيمًا، فنشأ محبًا للعلم والأدب والعلماء والادباء والفقهاء، واشتهر منذ شبابه بالجدية والوقار، ارتقى عرش السلطنة في السادسة والعشرين من عمره وكان متأنيًا في جميع شؤونه ولا يتعجل في الأعمال التي يريد تنفيذها؛ بل كان يفكر بعمق ثم يقرر واذا اتخذ قرارًا لا يرجع عنه، توفي سنة ١٥٦٦م/ ٩٧٤ه. يراجع: تاريخ الدولة العلية العثمانية (ص١٩٨، وما بعدها)، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط (ص٢٠٠-).

والأزمان، اللهم احفظ أنصاره وضاعِفْ اقتداره بالفضل والإحسان.

من قال: «آمين» أبقى الله مهجته وهذا دعاء للبرية شامل

وهذا الكتاب مشتمل على مقدمة وفصلين وخاتمة.

***

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

المقدمة

[نسب النبي ﷺ وولادته]

أما المقدمة ففي نسبه الشريف ﷺ وولادته:

اعلم أن حرمة النبي ﷺ وتوقيره وتعظيمه بعد موته لازم كما كان في حياته، وذلك عند ذكره وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته، ومعاملة آله وعترته، فواجب على كل مسلم مؤمن متى ذُكِرَ اسمُه أو ذُكِرَ عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته، ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، ويتأدب بما أدبنا الله به.

وهذه كانت سنة السلف الصالحين، والأئمة الماضين، رضي الله عنهم أجمعين.

وكان صفوان بن سليم[1] إذا ذُكِرَ النبي ﷺ بكى؛ فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركونه.

وكان مالك بن أنس لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا وهو على وضوء، ولا يزال يُبَخَّرُ بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله ﷺ، وكان إذا أراد أن يحدث توضأ وسرح لحيته، وجلس صدر مجلسه بوقار وهيبة تعظيمًا لحديث رسول الله ﷺ[2].

---

(١) صفوان بن سليم أبو الحارث، بضم السين المهملة وفتح اللام، مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف، تابعي جليل القدر، من أهل المدينة مشهور، روى عن أنس بن مالك ونفر في التابعين، وكان من خير عباد الله الصالحين، مات سنة أربع وعشرين، وقيل: اثنين وثلاثين ومئة، روى عنه ابن عيينة، حميد أبوه من العشرة، كذا في جامع الأصول لابن الأثير. أنباء الاصطفاء، نسخة جلبي عبد الله (لوحة ١١٠ب)، ويراجع: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٦٤)، حلية الأولياء (٣/ ١٥٨)، تهذيب التهذيب (٤/ ٤٢٥).

(٢) أخرجه الجوهري في مسند موطأ مالك (ص١٠٣)، وبنحوه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٢١٩).

وأفتى فيمن قال: «تربة المدينة ردية» يُضْرب ثلاثين دِرة، وأمر بحبسه، وكان له قدر، وقال: ما أحوجه إلى ضرب عنقه، تربة دُفِنَ فيها النبي ﷺ يزعم أنها غير طيبة. كذا في «السيف المسلول» للشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى[1].

***

(١) أي وكان المضروب له قدر. السيف المسلول على شاتم الرسول للسبكي (٥٢٥)، ويراجع سبل الهدى والرشاد (١١/ ٤٥٢)، شرح الشفا للملا علي القاري (٢/ ١٠٠).

نسب النبي عليه السلام

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يارد بن مهلاييل بن فينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه الصلاة والسلام[١].

وإلى عدنان متفق عليه في نسبه ﷺ، وعن النبي عليه السلام أنه لا يجاوز عدنان، قال ابن مسعود: «كذب النسابون، وقرأ ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩]»[٢]، يعني أنهم يدعون علم الأنساب، وقد نفى الله علمها عن العباد، وعُلِمَ منه أنه

(١) سيرة ابن هشام، تح: السقا (١/ ١١٠)، ويراجع: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (١/ ٤٠)، المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ لابن جماعة (ص١٥)، جوامع السيرة لابن حزم (ص٢).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٥٦) عن هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي أخبرني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنّ النبي ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن أدد ثم يمسك ويقول «كذب النسابون، قال الله - عز وجل - ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]»، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/ ٥٢، ٥٩) من طريق أبي الحسن علي بن أحمد بن علي بن أبي قيس المقرئ وعمر بن الحسن بن علي بن مالك الأشناني قالا: ثنا ابن أبي الدنيا ثني أبي وابن سعد عن هشام بن محمد به. وأخرجه من طريق أحمد بن محمد بن عمر الأصبهاني ثنا ابن أبي الدنيا ثنا ابن سعد ثنا هشام به. وهشام بن محمد قال ابن معين: غير ثقة، وقال الدارقطني: متروك، وقال ابن عساكر: ليس بثقة. وأبوه قال النسائي وغيره: متروك الحديث، وكذبه الجوزجاني وغيره، وقال الحاكم: أحاديثه عن أبي صالح موضوعة. يراجع: الضعفاء والمتروكون للدارقطني (٣/ ١٣٥)، المغني في الضعفاء للذهبي (٢/ ٧١١)، ميزان الاعتدال (٤/ ٣٠٤).

لا قطع على مقدار السنين من لدن آدم عليه السلام إلى هذا الوقت.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: «بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبًا لا يُعرَفُون»[1].

(قُصَيّ): بضم القاف وفتح الصاد المهملة وتشديد الياء. (كِلَاب): من كالب بمعنى غالب. (لُؤيّ): بضم اللام وفتح الهمزة وتشديد الياء. و (النَّضْر): بفتح النون وسكون الضاد المعجمة. و (كِنَانة): بكسر الكاف وتخفيف النون الأولى. و (خُزَيمة): بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي وسكون الياء. و (إلياس): بالياء تحتها نقطتان. (مَعَدّ): بفتح الميم والعين وتشديد الدال المهملة.

***

(١) ذكره السهيلي في الروض الأنف وعزاه لعروة ابن الزبير (١/ ٤٢)، ويراجع: البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٢٤٦)، المواهب اللدنية (١/ ٦٢)، منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول (١/ ١٣٤).

[أم الرسول ﷺ]

وأم رسول الله ﷺ: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن كعب بن لؤي بن غالب القرشية الزهرية، كل من كان من وَلَدِ النضرِ فهو قريشي[1].

قال صاحب المولد: إن نبينا ﷺ فخر الوجود، وبحر الكرم والجود، كرَّم الله تعالى به [آدم] فأمر له بالسجود، وما زال نوره ينتقل من الأصلاب الطاهرين، ومن الأجداد الزاكين حتى انتقل نوره الشريف إلى عبد الله بن عبد المطلب، فلما أراد الله تعالى أن يزين روضة الوجود، تزوج عبد الله بآمنة، وهما أكرم قريش حسبًا، وأفضلهم نسبًا، وأوصلهم إلى المجد سببًا، وكان رسول الله ﷺ أكرم البرية أمًّا وأبًا.

وقال:

وما زال نورًا ساطعًا متنقلًا بأطهر أصلاب وأكرم محتد[2]
فلما أراد الله إظهار دينه على عَلَم يهتدي كل مهتد
أضاء لعبد الله نورًا معظمًا يشاهده الراؤون في كل مشهد
وقال: له النسب العالي فليس كمثله حسيب نسيب محسن متكرم
أقدمه في كل مدح لأنه إذا كان مدح فالنسيب مقدم

ولما دخل عبد الله على آمنة، حملت فقيل لها: إنك حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سميه محمَّدًا[3].

---

(١) يراجع: السيرة النوبية لابن هشام، تح: السقا (١/ ١١٠)، الروض الأنف (٢/ ٥)، البداية والنهاية (٣/ ٢٤٦).

(٢) والمحتدُ: الأصل، يقال: هو من محتد صدق. الصحاح للجوهري، حدد (٢/ ٤٦٢)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس، حتد (٢/ ١٣٥)، تاج العروس، حتد (٨/ ٥)..

(٣) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص٤٥)، وذكره ابن هشام في السيرة (١/ ١٥٨)، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٨٢).

وكانت تقول: «ما شعرت أني حَمَلْتُ به، ولا وَجَدَتْ له ثقلًا كما تجد النساء، إلا أنه رفع حيضتي»[١].

ولما حملت به عليه السلام أتاها في الشهر الأول آدم عليه السلام وبشرها أن ابنها أجل العالمين، وفي الثاني إدريس عليه السلام، وفي الثالث نوح عليه السلام، وفي الرابع إبراهيم عليه السلام، وفي الخامس داود عليه السلام، وفي السادس سليمان عليه السلام، وفي السابع موسى عليه السلام، وفي الثامن إسماعيل عليه السلام، وفي التاسع عيسى عليه السلام.

وقالت: «رأيتُ حين حَمَلَتْ به عليه السلام أنه خرج مني نور أضاءت الدار منه، ورأيتُ به قصور بصرى من أرض الشام»[٢].

قال القاضي عياض في كتاب «الشفا في تعريف حقوق المصطفى»: «وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«ما بعث الله تعالى نبيًّا بعد لوط إلا في ذروة قومه»**[٣]، وفي حديث هرقل: «سألتُك عن نسبه فذكرتَ أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تُبْعثُ في نسب قومها[٤]»[٥].

قال صاحب «السيف المسلول» في الفصل الأول من الباب الثالث: «قال القاضي

---

(١) ذكره ابن سعد في الطبقات (١/ ٧٨)، ويراجع: عيون الأثر (١/ ٣١)، سبل الهدى والرشاد (١/ ٣٢٨)، وهذا الأثر ضعيف؛ لأن في سنده الواقدي، وهو متروك كما قال ابن حجر [تقريب التهذيب:٤٩٨]، وقد أرسلته عمة وهب بن زمعة.

(٢) أخرجه الطبراني برقم (٥٤٥)، والحاكم، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» برقم (٣٥٦٦)، والبيهقي في الشعب برقم (١٣٢٥)، وفي الدلائل (١/ ٨٢).

(٣) أخرجه الترمذي، برقم (٣١١٦)، وقال: «حديث حسن»، وأحمد في المسند برقم (١٠٩٠٣)، وقال محققه: «صحيح».

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧).

(٥) الشفا بتعريف بحقوق المصطفى (١/ ١٤٩).

عياض في «الشفا»: اعلم أن جميع من سبَّ النبي ﷺ أو عابه أو ألحق به نقصًا في نفسه، أو نسبه، أو دينه، أو خصلة من خصاله، أو عرَّض به، أو شبهه بشئ على طريق السب له، أو الإزراء أو التصغير لشأنه، أو الغض منه، أو العيب له، فهو ساب له، والحكم فيه حكم الساب كما نبينه»[1]. وقال أيضًا: «فسبحان من كمَّله ظاهرًا وباطنًا ﷺ»[2].

ومما خصه الله تعالى به شرف نسبه، فلم يزل يتقلب من آدم إلى عبد الله إلى بطن أمه في نكاح صحيح كنكاح الإسلام، لم يشبه شئ من سفاح ولا من أنكحة الجاهلية، بل منتقلًا من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة.

وهو أشرف الخلق، فإنه خيار بني هاشم، وبنو هاشم خيار قريش، وقريش خيار كنانة، وكنانة خيار العرب، والعرب خيار بني آدم، وجميع الأنبياء كاملون في أنسابهم وصفاتهم، وما بعث الله نبيًّا إلا في ذروة قومه[3].

وفي «الشفا»: «عن رسول الله برواية أبي هريرة عنه ﷺ قال: «**بعثتُ من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا، حتى كنتُ من القرن الذي كنتُ منه**»، هذا حديث أخرجه مسلم في صحيحه[4]. قال في الشرح: «الفاء للترتيب على سبيل الترقي والتفصيل»[5].

---

(١) السيف المسلول على من سب الرسول (ص٤٠٥) لتقي الدين السبكي، ويراجع: الشفا للقاضي عياض -حاشية الشمني (٢/ ٤١٢).

(٢) السيف المسلول على من سب الرسول (ص٤٧٤).

(٣) السيف المسلول (ص٤٧٤، ٤٧٥).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٤/ ١٨٩).

(٥) يراجع: فتح الباري (٦/ ٥٧٤).

وعن العباس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**إن الله خلق الخلق، فجعلني من خيرهم ومن خير قرنهم، ثم تخيَّر القبائل، فجعلني من خير قبيلة، ثم تخير البيوت، فجعلني من خير بيوتهم. فأنا خيرهم نفسًا، وخيرهم بيتًا**»(١).

وعن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، ومن ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»، قال الترمذي: «وهذا حديث صحيح»، أخرجه مسلم(٢).

***

(١) الحديث أخرجه الترمذي، برقم (٣٦٠٨) وقال: «حديث حسن»، وأحمد في المسند برقم (١٧٨٨)، وقال محققه: «حسن لغيره».

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٢٧٦).

في فضائل بني عدنان وما وقع في شأنهم من آيات القرآن وما صدر فيهم عن النبي ﷺ من الأخبار وما روي فيهم من القصص والآثار

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، أي أشرفهم، لأن عدنان ذروة بني إسماعيل، ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان، وخِنْدِف[١] ذروة مضر، ومدركة ذروة خندف، وقريش ذروة مدركة، وذروة قريش محمد ﷺ.

وفيما خطب أبو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل وضئضئ[٢] مَعَدّ، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسُوَّاسُ حرمه، وجعل لنا بيتًا محجوجًا، وحرمًا آمنًا، وجعلنا الحكَّام على الناس، ثم إن هذا ابن أخي محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح به، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل. كذا في «الكشاف»[٣].

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية [التوبة: ١٢٨]،

(١) خندف في الأصل لقب ليلى بنت عمران بن إلحاف بن قضاعة، سميت بها القبيلة. النهاية في غريب الحديث، مادة خندف (٢/ ٨٢)، ويراجع: سيرة ابن هشام (١/ ٧٥).

(٢) الضئضئ هو أصل الشيء ومعدنه. غريب الحديث للقاسم بن سلام (٣/ ١١٠)، ويراجع: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٦٩)، غريب الحديث للخطابي (٢/ ٣٩٣).

(٣) تفسير الكشاف للزمخشري (١/ ٤٣٥)، ويراجع: البحر المحيط (٣/ ٤١٧)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٢/ ٣٠٣).

قال السمرقندي: «قرأ بعضهم: «من أنفَسكم» بفتح الفاء، وقرأه الجمهور بالضم»[١].

قال الإمام أبو الفضل رضي الله عنه: أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجهة بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولًا يعرفونه ويتحققون مكانه، ويعلمون صدقه وأمانته، فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم، لكونه منهم، وأنه لم يكن في العرب قبيلة إلا ولها لرسول الله ﷺ ولادة أو قرابة، وكونه من أشرفهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح، وهذا نهاية المدح، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفَسِكُمْ﴾ قال عليه السلام: «**نسبًا وصهرًا وحسبًا، قال: ليس في آبائي من لدن آدم سفاح، كلنا نكاح**»[٢]. قال الكلبي: «كتبتُ للنبي ﷺ خمسمئة أم فما وجدتُ فيهم سفاحًا؛ ولا شيئًا مما كانت عليه الجاهلية»[٣].

وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية [النور: ٣٥]، قال كعب وابن جبير: المراد بالنور الثاني هنا محمد ﷺ، وقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي محمد ﷺ[٤]. وقال

(١) بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ١٠١)، وعبارته: «قرأ بعضهم (مِنْ أَنْفَسِكُمْ) بنصب الفاء يعني: من أشرفكم وأعزكم، وهي قراءة شاذة»، ويراجع: المحتسب لابن جني (١/ ٣٠٦)، مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص٦٠)، شواذ القراءات للكرماني (ص٢٢٣)، إتحاف فضلاء البشر (ص٣٠٨).

(٢) الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٣٢٧)، وعزاه لابن مردويه، ويراجع فتح القدير (٢/ ٤٧٧)، وقال: «وصله الرامهرمزي في المحدث الفاصل بين الراوي والواعي (ص٤٧٠)»، ويراجع: الطبقات الكبرى (١/ ٥٠)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٢/ ٢٧).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى، ط: العلمية (١/ ٥٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/ ٤٠٣)، ويراجع: مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢/ ٢٧).

(٤) تفسير الطبري، وقد رواه بسنده إلى ابن عباس (١٩/ ١٧٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٣)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٨/ ٥٠٥٩)، المحرر الوجيز (٤/ ١٨٣).

سهل بن عبد الله: «المعنى: هادي أهل السماوات والأرض»[١]. ثم قال: مثل نور محمد إذ كان مستودعًا في الأصلاب كمشكاة صفتها كذا وكذا. وقوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ أي تكاد نبوة محمد ﷺ تَبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت. وقد قيل في الآية غير هذا، والله أعلم، كذا في «الشفا»[٢].

وقرأ ابن عباس وفاطمة بنت رسول الله ﷺ بفتح الفاء، أي: من أشرفكم وأفضلكم، من قولهم: نفيس أي خطير، كذا في تفسير الشيخ الإمام عمر النسفي الحنفي[٣].

وقال جعفر بن محمد الصادق: «لم يصبه شئ من ولادة الجاهلية من زمان آدم عليه السلام»[٤].

روي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية، ما ولدني إلا نكاح كنكاح الإسلام**»[٥].

وقرأ ابن عباس والزهري وابن محيصن «من أنفَسكم» بفتح الفاء، أي: من أشرفكم

---

(١) تفسير الطبري (١٩/ ١٧٧)، تفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٩٣)، المحرر الوجيز (٤/ ١٨٣).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ١٨)، ويراجع: تفسير مقاتل (٣/ ١٩٩)، الهداية لمكي (٨/ ٥٠٧٣).

(٣) التيسير في التفسير (٧/ ٥٢٥)، ويراجع: زاد المسير (٢/ ٣١٣)، روح البيان (٣/ ٥٤٣).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في التفسير (٢/ ١٧٢)، والطبري (١٤/ ٥٨٥)، وابن أبي حاتم (٦/ ١٩١٧)، وذكره ابن كثير في التفسير، وقال: «وقد وصل هذا من وجه آخر»، وذكر طريق الرامهرمزي في المحدث الفاصل (٤/ ٢٤١).

(٥) أخرجه الطبراني برقم (١٠٨١٢)، والبيهقي في السنن، برقم (١٤٠٧٦)، وابن عساكر في التاريخ برقم (٧٥٣).

وأفضلكم؛ كذا في تفسير محيي السنة البغوي[١].

وروى الإمام الواحدي في تفسير «الوسيط» بسنده إلى أبي بن كعب قال: «آخر آية أُنزِلَت على رسول الله ﷺ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قرأها إلى آخر السورة»[٢]. ورواه الحاكم في صحيحه بسنده[٣].

قال الإمام في «الكبير»: «(من أنفَسكم) خطاب لأهل الحرم، وذلك لأن العرب كانوا يسمون أهل الحرم «أهل الله وخاصته» وكانوا يخدمون ويقدمون بإصلاح مصالحهم ومهماتهم، وكأنه قيل للعرب: كنتم قبل مَقدِمه مجدين مجتهدين في خدمة أسلافه وآبائه، فلم تتكاسلون في خدمته؟ مع أنه لا نسبة له في الشرف والرفعة إلا إلى أسلافه».

وقال: «إن ملوك النواحي كانوا يعظِّمون أهل مكة ويقولون: هؤلاء جيران بيت الله تعالى وسكان حرمه وولاة الكعبة، حتى إنهم كانوا يسمون أهل مكة أهل الله»[٤].

وقال الإمام في تفسير: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤] «أمنهم بالإيمان والإسلام، وقد كانوا في الكفر يتفكرون ويعلمون أن الدين الذين هم عليه ليس بشيء، إلا أنهم ما كانوا يعرفون الذي يجب على العاقل أن يتمسك به؟»[٥].

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٤/ ١١٥)، ويراجع: تفسير الثعلبي (١٤/ ١٤٦)، تفسير السمعاني (٢/ ٣٦٢)، الكشاف (٢/ ٣٢٥)، تفسير القرطبي (٨/ ٣٠١).

(٢) الوسيط للواحدي (٢/ ٥٣٦)، ويراجع: تفسير الطبري (١٤/ ٥٨٩)، تفسير البغوي (٤/ ١١٦)، درج الدرر في تفسير الآي والسور، ط: الحكمة (٢/ ٩٣٤).

(٣) أخرجه الحاكم، برقم (٣٢٩٦)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٤) تفسير الرازي (١٦/ ١٧٨)، ويراجع اللباب في علوم الكتاب (١٠/ ٢٤٧).

(٥) تفسير الرازي (٣٢/ ٢٩٩).

فإن قلتَ: يُفهَم من ذلك أن أهل مكة كانوا على غير دين الإسلام؛ **قلتُ**: هذه الحالة لأكثرهم. قال الإمام في «الكبير» ناقلًا عن القفال: «وقد كان في الجاهلية عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة، وعبد المطلب جد رسول الله ﷺ، وعمرو بن الطرب كانوا على دين الإسلام يقرون بالإبداء والإعادة، والثواب والعقاب، ويوحدون الله تعالى، ولا يأكلون الميتة، ولا يعبدون الأوثان»(١).

وقال في «الكبير»: «ثم كان لقبائل العرب أوثان معروفة مثل ود بدومة الجندل، وسواع لبني هذيل، ويغوث لمذحج، ويعوق لهمذان، ونَسْر بأرض حِمْيَر لذي الكلاع، واللات بالطائف لثقيف، ومناة بيثرب للخزرج، والعزى لكنانة بنواحي مكة، وإساف ونائلة على الصفا والمروة. وكان قُصَيٌّ جد رسول الله ﷺ ينهاهم عن عبادتها، ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى، وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل، وهو الذي يقول:

أرب واحد أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور

تركت اللات والعزى جميعًا كذلك يفعل الرجل البصير»(٢).

وقال صاحب «جامع الأصول»: «هو زيد بن عمرو بن نفيل، والد سعيد بن زيد من العشرة، جاهلي أدرك زمن النبي ﷺ قبل البعث، ورآه واجتمع به وحادثه، وله ذكر في كتاب «الفضائل»(٣)، وكان قد فارق الجاهلية وترك عبادة الأوثان»(٤).

---

(١) تفسير الرازي (٤/ ٥٥).

(٢) سيرة ابن إسحاق (ص١١٧)، دلائل النبوة لقوام السنة (ص٨٠)، البداية والنهاية (٣/ ٣٢٨).

(٣) أخرج الإمام أحمد في المسند برقم (١٦٤٨)، بسنده إلى سعيد بن زيد الحديث، وفيه: (قال: قلت يا رسول الله إن أبي كان كما قد رأيت وبلغك، ولو أدركك لآمن بك واتبعك، فاستغفر له؟ قال: «نعم، فأستغفر له، فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده»، وقال محققه إسناده ضعيف، والطبراني برقم (٣٥٠)، والحاكم برقم (٤٩٥٦)، وقال: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه».

(٤) جامع الأصول لابن الأثير الجزري (١٢/ ٤٢٢).

وذكر السهيلي في «الروض الأنف»: أن كعب بن لؤي جد النبي ﷺ أول من قال من العرب: «أما بعد» وأول من جمع يوم العروبة، وكان كعب يجمع الناس في كل جمعة ويخطب ويقول بعد خطبته: حرمكم هذا عظِّموه وتمسكوا به، فسيأتي له نبأ عظيم، وسيخرج منه نبي كريم، والله لو كنتُ فيه ذا سمع وبصر، ويد ورجل، لتنصبتُ تنصب الجمل، ولأَرْقَلتُ إرقَال الفحل[1]، ويذكرهم بمبعثه ﷺ، ويعلمهم أنه من ولده، ويأمرهم باتباعه والإيمان به، ثم يقول:

يا ليتني شاهدًا فحواه دعوته حين العشيرة تبغي الحق خذلانا»[2].

و (**إلياس بن مضر**): جد النبي ﷺ، وفي الحديث: «**لا تسبوا إلياس فإنه مات مؤمنًا**»، وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي ﷺ بالحج، وهو أول من أهدى البُدْن إلى البيت[3].

و(مضر): جده ﷺ أول من سنَّ للعرب حِدَاء الإبل، وكان أحسن الناس صوتًا[4].

وفي الحديث: «لا تسبوا مضر ولا ربيعة، فإنهما كانا مؤمنين»، ذكر الحديث أبو ذر

---

(١) أرقل الفحل والناس: أسرعوا. الأفعال لابن القطاع (٢/ ٤٩)، ويراجع: الصحاح (٤/ ١٧١٢)، المعجم الوسيط (١/ ٣٦٦).

(٢) الروض الأنف للسهيلي (١/ ٢٩)، ويراجع: أعلام النبوة للماوردي (ص١٧٣)، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله للكلاعي (١/ ٢٢)، سبل الهدى والرشاد (١/ ٢٧٩).

(٣) ذكره في الروض الأنف (١/ ٣٢)، المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي (١/ ١٥)، سبل الهدى والرشاد (١/ ٢٨٩).

(٤) يراجع: الروض الأنف (١/ ٣٣)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي (١/ ١٩٦)، جامع الآثار في مولد النبي المختار لابن ناصر الدين الدمشقي (١/ ٤٨٦)، تح: حسين محمد علي شكري، ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ٢٠٠٩م.

المحدث[١]، وأخرجه ابن حجر في «زهر الفردوس»[٢].

قال الشيخ العلامة جلال الدين الخجندي[٣] في شرح القصيدة الموسوم بـ«طيب الحبيب»: وهو أطيب من كل طيب عند كل محب صادق لبيب، قال يعقوب عليه السلام: إني وجدتُ في صحف إبراهيم أنه يجري نورُ المصطفى في قنوات الرجال والنساء من نسل شيث، لا يخالطه أحد من نسل قابيل. ورُوِيَ عن وهب بن مُنَبِّه رفعه إلى كعب في حديث طويل معناه: «أن كل واحد من آباء النبي ﷺ كان يوصي ابنه بحفظ نور محمد عليه السلام، وأن لا يودعه إلا في امرأة طاهرة يتخيرها، ويعرفون انتقال نوره ﷺ حين ينتقل إليه، وتزوج نوح عليه السلام امرأة من الصالحات، فولدت سامًا وفيه نوره عليه السلام، فلما عقل دعاه نوح وأخذ عليه العهد، وهكذا إلى إبراهيم، ثم أخذ إبراهيم العهد على إسماعيل حين رأى نوره منقولًا إليه، ثم انتقل إلى قيدار وأخذ عليه العهد، ومن إسماعيل إلى عبد الله ما كان إلا في العواتك[٤]، وهكذا حتى وصل إلى هاشم، يلوح النور في وجهه

---

(١) الديلمي في الفردوس برقم (٧٣٠٣)، وابن عساكر في معجم الشيوخ، وقال: «محمد بن زياد الميموني ضعيف جدا» برقم (٦١٢).

(٢) زهر الفردوس لابن حجر (ح:٢٨٤٤).

(٣) أحمد بن محمد بن محمد الأخوي، أبو الطاهر، جلال الدين الخجنديّ: أديب رحال، من علماء الحنفية. تفقه وتأدب في خجندة. وصنف كتبا منها «شرح قصيدة البردة» مخطوط في طوبقبو، قال السخاوي: أمعن فيه من التصوف واللغات في مجلد ضخم، و «شرح الأربعين النووية» ورسالة في «علم الكلام» و «فردوس المجاهدين» وغيرها، توفي سنة٨٠٢هـ. الأعلام (١/ ٢٢٥)، ويراجع: الضوء اللامع (١/ ٢٤)، نظم العقيان للسيوطي (ص١٥)، معجم المؤلفين (٢/ ١٥٣)، هدية العارفين (١/ ١١٧).

(٤) جاء في سبل الهدى والرشاد: والعاتك: الكريم والخالص من الألوان. ثم قال: والعاتكة من النخل التي تتأبّر والمرأة المحمرّة من الطيب.

وقال ابن سعد: العاتكة في اللغة: الطاهرة. قال في الصحاح والقاموس: العواتك من جدات النبي

كالكوكب الدري، فلا يمر بشئ حتى يسجد له، ثم انتقل إلى عبد المطلب بالعهد والميثاق، وهكذا إلى أبيه عبد الله» انتهى كلام الخجندي(١).

قال الإمام في «الكبير» في تفسير «سورة نوح»: «كان أبوه وأمه مؤمنين، قال عطاء: لم يكن بين نوح وآدم من آبائه كافر، وكان بينه وبين آدم عشرة آباء»(٢).

وفي «الكبير»: «قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ الآية [آل عمران: ٣٣] أي صفَّاهم من الصفات الذميمة، وزينهم بالخصال الحميدة، معناه: إن الله اصطفى آدم إما من سكان العالم السفلي على قول من يقول: الملك أفضل من البشر، أو من سكان العالم السفلي والعلوي على قول من يقول: البشر أفضل المخلوقات، ثم وضع كمال القوة الروحانية في شُعْبة معينة من أولاد آدم، وهم شيث وأولاده إلى إدريس، ثم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم، ثم حصل من إبراهيم شعبتان: إسماعيل وإسحاق، فجعل إسماعيل مبدأً لظهور الروح القدسية لسيدنا محمد صلوات الله عليه، وجعل إسحاق مبدأ الشعبتين: يعقوب وعيص، فوضع النبوة في شعبة يعقوب، ووضع الملك في شعبة عيص، واستمر ذلك إلى زمن سيدنا محمد ﷺ، فلما ظهر محمد

ﷺ تسع: ثلاث من بني سليم: عاتكة بنت هلال بن فالج أي بالجيم بن هلال أم جدّ هاشم. وعاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج أم هاشم. وعاتكة. بنت الأوقص بن مرة بن هلال أم وهب أم عبد مناف بن زهرة جد رسول الله ﷺ من قبل أمه آمنة بنت وهب. وسائر العواتك أمهات رسول الله ﷺ من غير بني سليم.... وروى ابن عساكر عن أبي عبد الله العدوي رحمه الله تعالى أن العواتك من جداته ﷺ أربع عشرة: ثلاث قرشيات وأربع سلميات وعدوانيتان وهذلية وقحطانية وثقفية وأسدية أسد خزيمة وقضاعية. سبل الهدى والرشاد للصالحي (١/ ٣٢٣، ٣٢٤).

(١) شرح البردة= طيب الحبيب هدية إلى كل محب لبيب (مخطوط)، ويراجع: بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس (ص٤٧).

(٢) تفسير الرازي (٣٠/ ٦٦٠) ويراجع: الهداية (٢/ ١٤٣٥)، الدر المنثور (٣/ ٤٨٠).

ﷺ نقل نور النبوة ونور الملك إلى محمد ﷺ، وبقيتا أعني الدين والملك لأتباعه إلى يوم القيامة، ومن تأمل في هذا الباب وصل إلى أسرار عجيبة، والله الموفق للصواب»[(١)].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: ١١]: «واعلم أن هذا المقام مقام فيه بحث شريف دقيق، وهو أن جماعة من حكماء الإسلام قالوا: الإنسان ما لم يكن في نفسه وبدنه مخصوصًا بخواص شريفة علوية قدسية، فإنه يمتنع عقلًا حصول صفة النبوة. وأما الظاهريون من أهل السنة والجماعة فقد زعموا أن حصول النبوة عطية من الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده، ولا يتوقف حصولها على امتياز ذلك عن سائر الناس بمزيد إشراق نفساني وقوة قدسية، وهؤلاء يتمسكون بهذه الآية، والأوائل أجابوا عنه بأنهم لا يذكرون فضائلهم تواضعًا، لأنه قد علم أنه تعالى لا يخصصهم بتلك الكرامات إلا وهم موصوفون بالفضائل، كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤] في التوحيد والإخلاص والطاعة، ونظير قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧] وذلك بسبب اشتراكهم في النفاق.

أقول: في الآية دلالة ظاهرة على عدم دخول الكفر بين نوح وإبراهيم عليه السلام. وفي عمران اختلاف، قال بعضهم والد موسى وهارون عليهما السلام، وقال بعضهم: جد عيسى من قبل الأم، قالوا بين العمرانين ألف وثمانمئة سنة كذا في «الكبير»[(٣)].

(١) تفسير الرازي (٨/ ٢٠٠)، اللباب في علوم الكتاب (٥/ ١٦٥).

(٢) تفسير الرازي (١٩/ ٧٤).

(٣) تفسير الرازي (٨/ ٢٠١).

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال جبريل: يا محمد، إن الله أمرني أن آتي مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها، وسهلها وجبلها، فآتيه بخير أهل الدنيا، فأتيتُها فوجدتُ خير أهل الدنيا العرب، ثم أمرني أن آتيه بخير العرب فوجدتُ خير العرب مضر»[١] كذا في «زهر الفردوس».

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «أتاني جبريل، فقال: قلبت مشارق الأرض ومغاربها، فلم أر رجلًا أفضل من محمد ﷺ، ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم»[٢].

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قسم الخلق قسمين، فجعلني من خيرهم قسمًا، فذلك قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين أثلاثًا، فجعلني خيرهم ثلثًا، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ و﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾، و﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ فأنا من السابقين، وأنا خير السابقين، ثم جعل الأثلاث قبائل، فجعلني من خيرها قبيلة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ [الحجرات: ١٣]، فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتًا فجعلني خيرها بيتًا، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]»[٣].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢/ ١١٠)، زهر الفردوس لابن حجر (ح: ٨٤٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٦٢٨٥)، والبيهقي في الدلائل، وقال: «قال أحمد: هذه الأحاديث وإن كان في روايتها من لا تصح به، فبعضها يؤكد بعضًا، ومعنى جميعها يرجع لما روينا عن واثلة بن الأسقع وأبي هريرة» (١/ ١٧٦)، والديلمي في الفردوس برقم (٤٥١٦)، وذكره الهيثمي في المجمع، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف» (١٣٨٢٩).

(٣) أخرجه الطبراني برقم (٢٦٧٤)، والبيهقي في الدلائل برقم (٤٢٥)، وذكره الهيثمي في المجمع وقال:

عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض، وجعلني في صلب نوح في السفينة، وقذف بي في النار في صلب إبراهيم، ثم لم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي، لم يلتقيا على سفاح قط» كذا في كتاب «الشفا» للقاضي عياض[١].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] عن النبي ﷺ: «الكرم هو التقوى»[٢]. وعنه ﷺ: «الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، إنما الفضل بالتقوى»[٣]. وكذلك قال مالك ﷺ: «لا تعتبر الكفاءة إلا في الدين»[٤].

وفي بعض الكتب الكلامية: «للأنبياء عليهم السلام صفاء الفطرة، وطهارة الخلقة عن الرذائل والأخلاق الذميمة، وكلهم مبرؤون عن لؤم النسب، وشره النفس في جمع المال حبًّا له، ولم يتساب نبي قط، ولم يحتلم، ولم يشرب مسكرًا قط، ولم يزن زوج النبي، ولم يكن نبي إلا من أشراف بيوتات أمته، ولم يكن عبدًا ولا بدويًّا ولا أنثى»[٥].

«رواه الطبراني، وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني وغسان بن ربعي؛ وكلاهما ضعيف» برقم (١٣٨٢٢).

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٨٣).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٣٢٧١) وقال: «حسن صحيح غريب»، وابن ماجة، برقم (٤٢١٩)، وقال محققه: «حسن لغيره»، والحاكم برقم (٢٦٩٠)، وقال: «صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه».

(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس عن أنس بن مالك بلفظ: «الناس مستوون كأسنان المشط ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله عز وجل» برقم (٦٨٨٣)، وأخرجه بنحوه ابن عدي في الكامل (٤/ ٢٢٥)، وأبو الشيخ في أمثال الحديث برقم (١٦٦)، والقضاعي في المسند برقم (١٩٥).

(٤) يراجع: التاج والإكليل لمختصر خليل (٥/ ١٠٦)، منح الجليل شرح مختصر خليل (٣/ ٣٢٣).

(٥) يراجع: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، للعلامة الباجوري (ص٢٠٠) وما بعدها، الرسل والرسالات (ص٧٩)، تبسيط العقائد الإسلامية (ص١٢٣).

في مولد النبي ﷺ

رُوِيَ أن عبد المطلب رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره، ولها أربعة أطراف: طرف في السماء، وطرف في الأرض، وطرف في المشرق، وطرف في المغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب يحلقون بها، فعُبِّرت له بمولود يكون من صلبه(١). يتبعه أهل المشرق والمغرب، ويحمده أهل السماء والأرض، فلذلك سماه «محمَّدًا». وفي حديث مسلم عن ثوبان ﷺ: **«إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي»**(٢).

عن سعيد بن المسيب قال: «كانت العرب تسمع من أهل الكتاب ومن الكهان أن نبيًا يبعث من العرب اسمه «محمد» فسمَّى من بلغه ذلك من العرب ولده طمعًا في النبوة»(٣).

وقد جمع الحافظ ابن حجر من سُمِيَ بـ«محمد» قبل النبي ﷺ فبلغوا خمسة عشر، كذا في كتاب «الوسائل إلى معرفة الأوائل» للشيخ الإمام الحافظ المجتهد جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن ابن الإمام كمال الدين السيوطي الشافعي رحمه الله تعالى(٤).

روي عن النبي ﷺ في الصحيحين عن البراء بن عازب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، اللهم نزل نصرك»**(٥).

---

(١) الروض الأنف (٢/ ٩٥)، ويراجع: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء (١/ ١٠٩)، المواهب اللدنية (١/ ٤٤٢)، سبل الهدى والرشاد (١/ ٣٦٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٣٤).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٣٤)، ويراجع: الخصائص الكبرى (١/ ٤١)، سبل الهدى والرشاد (١/ ١١٤).

(٤) الوسائل إلى معرفة الأوائل للسيوطي، (مخطوط)، ويراجع: فتح الباري (٦/ ٥٥٦).

(٥) أخرجه البخاري برقم (٢٨٦٤)، ومسلم واللفظ له برقم (١٧٧٦).

قال يوم حنين حين انهزم أصحابه، كانوا اثني عشر ألفًا فولوا، فما ولى رسول الله ﷺ، وكان راكبًا على بغلة بيضاء، فطفق يُرْكِض بغلته جهة الكفار.

قال الخطابي: إنما خص النبي عبد المطلب بالذكر في هذا المقام تثبيتًا لنبوته، وإزالة للشك لما اشتُهِرَ وعُرِفَ من رؤيا عبد المطلب المبشرة بالنبي ﷺ، فكأنه يقول: أنا ذلك، فلابد مما وُعِدتُ به؛ لئلا ينهزم معاونه، ولا تظنوا أنه مقتول ومغلوب، أو لكون الرسول ﷺ مشهورًا بابن عبد المطلب، ولهذا قال السائل في حديث البخاري[1]؛ لأنه رُبِّي في حجره، لأن والده مات قبل الولادة، أو لكون عبد المطلب مذكورًا بالخصال الجميلة ومشهورًا بها، فذكره مناسب في مقام الافتخار، فإنه جائز في الجهاد، وإن كان الرسول ﷺ ينهى عن الافتخار بالآباء[2]، ويحمل ذلك على غير الجهاد[3].

قال الكواشي[4] في تفسير «سورة الفيل»:..

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٣) وفيه: «بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد، دخل رجل على جمل، فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكئ. فقال له الرجل: يا ابن عبد المطلب فقال له النبي ﷺ: **قد أجبتك**».

(٢) أخرج أبو داود في السنن برقم (٥١١٦)، بسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن**»، وقال محققه: «صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن»، والترمذي، برقم (٣٢٧٠) وقال: «حسن صحيح»، وأحمد في المسند برقم (٨٧٣٦)، وقال محققه: «إسناده حسن».

(٣) يراجع: الروض الأنف (٧/ ٢٨٥)، شرح المواهب للزرقاني (٣/ ٥٢٥)، ويراجع: معالم السنن للخطابي (١/ ١٤٦).

(٤) أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع بن الحسين بن سويدان الشيباني الموصلي، موفق الدين، أبو العباس الكواشي: عالم بالتفسير، مقرئ، من فقهاء الشافعية، ولد بكواشة (قلعة بالموصل) ودخل دمشق وأخذ عن السخاوي وغيره، وحج وزار بيت المقدس، ثم عاد إلى بلده. وقد كف بصره بعد بلوغه السبعين،

لما دنا[1] أبرهة من مكة، ذهب إليه عبد المطلب وكان وسيماً جسيماً، أكرمه أبرهة وأجلسه معه على البساط، لأنه عرف بمكانته، وقيل [له]: إنه يطعم الناس في السهل، والوحوش في رؤوس الجبال، فقال للترجمان: قل له: ما حاجتك؟ قال: حاجتي أن ترد عليَّ مئتي بعير أصابها قومك. فقال لترجمانه: قل له: إني جئتُ لهدم بيت هو دينك ودين آبائك لم تكلمني فيه، وتكلمني في مئتي بعير أصبتها منك! فقال: أنا رب إبلي، ولهذا البيت رب يمنعه منك. فأمر بإبله فردت عليه، ثم جاء عبد المطلب مكة وأمر أهلها في التفرق في الجبال، وأخذ بحلقة باب الكعبة قائلًا:

يا رب لا أرجو لهم سواكا ... يا رب فامنع منهم حماكا

إن عدو البيت من عاداكا ... امنعهم أن يخربوا قراكا

وكان هذا عام مولد النبي ﷺ، فهلكوا ولم ينجُ إلا أبرهة، فوصل إلى النجاشي وأخبره الخبر، وتبعه طائر فألقى عليه حجرة فمات لدى النجاشي[2].

***

من كتبه «تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر» (مخطوط) «تفسير القرآن» قال صاحب «كشف الظنون»: ثم لخصه في مجلد وسماه «التلخيص»، توفي سنة: ٦٨٠هـ. معجم المفسرين (١/ ٨٣)، ويراجع: طبقات المفسرين للداودي (١/ ١٠٠)، طبقات المفسرين للأدنه وي (ص٢٥١)، كشف الظنون (١/ ٣٣٩)، الأعلام (١/ ٢٧٤).

(١) في تفسير الكواشي: «فلما دنا من مكة». تفسير الكواشي= التلخيص في تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٨٦).

(٢) تفسير الكواشي (٤/ ٥٨٦).

من جملة إرهاصات النبي ﷺ

قال السهيلي في «الروض الأنف»: فأري عبد المطلب في منامه أن احفر طيبة، أي: زمزم، وإنما سميت طيبة لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل. وقيل له: احفر بَرَّة، وهو اسم صادق عليها؛ لأنها فاضت للأبرار، وغاضت عن الفجار. وقيل: احفر المضنونة، قال وهب بن منبه: «سميت زمزم بالمضنونة لأنها ضن بها عن غير المؤمنين»[١]. وقيل لعبد المطلب في زمزم: لا تنزف أبدًا ولا تذم[٢]، وهذا برهان عظيم، لأنها لم تنزف إلى اليوم قط.

وقصة حفر زمزم مشهورة، ولقد رُوِيَ عن عبد المطلب حِكَمٌ بثبوت المعاد الجسماني، وما كان هذا إلا بشرف نور النبوة المتلألأ في وجهه، المنشرح في صدره، مع أنه نشأ بين معطلة العرب. وهذا من الإلهامات الربانية والإلقاءات الرحمانية بملابسة نور نبينا ﷺ أيامًا.

ويُقَال: أول من خضب بالسواد من العرب عبد المطلب، وأول من جعل باب الكعبة من الحديد، وأول من سن الدية مئة إبل[٣]. قال أبو بكر محمد الزهري: «وأول من حرَّم الخمر على نفسه في الجاهلية عبد المطلب»[٤].

---

(١) الروض الأنف (٢/ ٦٨)، ويراجع: سيرة ابن هشام (١/ ١٤٣)، دلائل النبوة للبيهقي (١/ ٩٣)، الإملاء المختصر في شرح غريب السير لأبي ذر الخشني (ص٤٩).

(٢) يعني لا ينفد ماؤها ولا يقل. يراجع الروض الأنف (٢/ ٧١).

(٣) الروض الأنف (١/ ٢٦)، ويراجع: المواهب اللدنية (١/ ٦٠)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (١/ ١٥٩)، شرح المواهب (١/ ١٣٧).

(٤) يراجع: سبل الهدى والرشاد (١/ ٢٦٧)، كنز الدرر وجامع الغرر (١/ ٣٨٥)، تلقيح فهوم أهل الأثر (ص٣٣٢)، السيرة الحلبية (١/ ٩).

واسم عبد المطلب: شيبة الحمد، وكنيته: أبو الحارث لابن له. وجاء عمه المطلب إلى مكة وهو رديفه على هيئة بذة[1]؛ فكان يُسأل عنه، فيقول: هو عبدي، ثم أظهر أنه ابن أخيه، فلذلك قيل له: عبد المطلب[2].

واسم هاشم عمرو، لُقِّب به لأنه كان يهشم الثريد لقومه في الجدب. قال الإمام الرازي في «الكبير»: «إن قريشًا إذا أصاب واحدًا منهم مخمصة خرج هو وعياله إلى موضع وضربوا على أنفسهم خباء حتى يموتوا، إلى أن جاء هاشم بن عبد مناف، وكان سيد قومه، وكان له ابن يقال له: أسد، وكان له تِرْب[3] من بني مخزوم يحبه ويلعب معه، فشكا إليه الضرر والمجاعة، فدخل أسد على أمه يبكي، فأرسلت إلى أولئك بدقيق وشحم، فعاشوا فيه أيامًا، ثم أتى تِرْب أسد إليه مرة أخرى وشكا إليه من الجوع، فقام هاشم خطيبًا في قريش فقال: إنكم أجدبتُم جدبًا تَقِلُّون فيه وتَذِلُّون، وأنتم أهل حرم الله وأشراف ولد آدم والناس لكم تبع. قالوا: نحن تبع لك، فليس عليك منا خلاف، فجمع كل بني أب على الرحلتين في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام للتجارات، فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم، فجاء الإسلام وهم على ذلك، فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالًا ولا أعز من قريش»[4].

---

(١) في الأصل (نزلهـ)، وفي المواهب اللدنية: «إن عمه المطلب جاء به إلى مكة رديفه- وهو بهيئة بذة-» (١/ ٥٩)،أي: سوء الهيئة، جمهرة اللغة، بذذ (٢/ ٩٩٩)، لسان العرب، بذذ (٣/ ٤٧٧).

(٢) يراجع: المواهب اللدنية (١/ ٥٩)، شرح الزرقاني على المواهب (١/ ١٣٧)، ووسائل الوصول إلى شمائل الرسول (ص٤٧).

(٣) ترب: أي صاحب له، في سن واحدة. يراجع: الطبري (٣/ ١٢٤)، الهداية لمكي (١٢/ ٨٠٠٧).

(٤) تفسير الفخر الرازي (٣٢/ ٢٩٧)، ويراجع: التفسير البسيط (١٤/ ٣٤٨)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٠٥).

وقال الشاعر:

قل للذي طلب السماحة والندى   هلا مررت بآل عبد مناف

وعن سعيد بن جبير قال: «مر رسول الله ﷺ بملأ ومعه أبو بكر وهم ينشدون:

قل للذي طلب السماحة والندى   هلا مررت بآل عبد الدار

فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**أهكذا قال الشاعر؟**» قال: لا، والذي بعثك بالحق، بل قال: بآل عبد مناف»[1].

وقال أبو طالب يوصي أبا لهب برسول الله ﷺ:

ولا تتركه ما حييت بمعظم   وكن رجلًا ذا نجدة وعفاف

يزود العدى عن عصبة هاشمية   إيلافهم في الناس خير إلاف

كذا في تفسير «التيسير»[2].

قال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢١٩]، قال علي كرم الله وجهه: قال رسول الله ﷺ: «**من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبيًّا**» كذا في «الشفا»[3]. وقال عكرمة: «في الساجدين: في أصلاب الرجال»[4].

---

(١) يراجع: سيرة ابن هشام (١/ ١٧٨)، أعلام النبوة للماوردي (ص١٩٢)، شرف المصطفى للخركوشي (١/ ٣٢٤)، تاريخ الخميس (١/ ١٥٦)، سبل الهدى والرشاد (١/ ٢٦٩)، السيرة الحلبية (١/ ١١).

(٢) التيسير في التفسير للنسفي (١٥/ ٤٩٥)، ويراجع: تفسير البغوي (٥/ ٣١١)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٨/ ٢٤٧)، سيرة ابن إسحاق (ص٢٠٨).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ١٥)، والحديث أخرجه الطبراني بسنده إلى ابن عباس (١١/ ٣٦٢)، وابن عساكر في التاريخ (٣/ ٤٠١)، وأورده الهيثمي في المجمع وقال: «رواه البزار والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح غير شبيب بن بشر وهو ثقة» (٧/ ٨٦).

(٤) تفسير مقاتل (٤/ ٣٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٢٨)، تفسير الثعلبي (٢٠/ ١٣٧)، تفسير الماوردي (٤/ ١٨٩)، الوسيط للواحدي (٣/ ٣٦٥).

وعن ابن عباس : ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ نبي بعد نبي، كذا في تفسير النسفي(١).
قال ابن عباس في رواية عطاء: «يريد في أصلاب الموحدين، من نبي إلى نبي حتى أخرجك» في هذه الأمة، كذا في تفسير الواحدي(٢). وعن النبي ﷺ: «**لم أزل أُنقَل من أصلاب الطاهرين إلى الأرحام الطاهرات**»(٣).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[التوبة:٢٨] وكذا المدينة لا يُمَكَّن من دخولها كافر، ثبت بالحديث الصحيح(٤).

والخلاف في غير قبره ﷺ(٥)، أما هو فأفضل البقاع بالإجماع، نبه على ذلك القاضي

---

(١) التيسير في التفسير للنسفي (١١/ ٣١٤)، ويراجع: تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٢٨)، وتفسير الثعلبي (٢٠/ ١٣٧)، والأثر أخرجه الطبراني (١١/ ٣٦٢)، وأورده الهيثمي في كشف الأستار عن زوائد البزار (٣/ ٦٢)، وفي المجمع وقال: «رواه البزار والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح غير شبيب بن بشر وهو ثقة» (٧/ ٦٦).

(٢) التفسير البسيط (١٧/ ١٤١)، ويراجع: التفسير الوسيط (٣/ ٣٦٥).

(٣) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة بلفظ: «لم يلتق أبواي في سفاح، لم يزل الله عز وجل ينقلني من أصلاب طيبة إلى أرحام طاهرة، صافيًا مهذبًا، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما» (١/ ٥٧)، وذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة (١/ ٢٤٣)، وقال: «موضوع، وضعه بعض القصاص»، والشوكاني في الفوائد المجموعة (ص٣٢٠).

(٤)) قال ابن قدامة: «ولا يجوز لأحد منهم سكنى الحجاز. وبهذا قال مالك، والشافعي. إلا أن مالكا قال: أرى أن يجلوا من أرض العرب كلها؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «**لا يجتمع دينان في جزيرة العرب**».
وروى أبو داود، بإسناده عن عمر، أنه «سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، فلا أترك فيها إلا مسلما**». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح». المغني (٩/ ٣٥٧).

(٥) سياق الكلام يشير إلى الحديث عن بيان المفاضلة بين مكة والمدينة، وأن المدينة أفضل تبعاً للمالكية وبعض الشافعية لوجود الجسد الشريف بها، وفي ذلك إشارة من الشيخ إلى علو قدره عليه الصلاة والسلام علواً يجعل قبره المدفون فيه أفضل من كل البقاع حتى العرش، وفي ذلك أبلغ رد على الذين

عياض وغيره[١].

وقال بعضهم:

جـــزم الـجـمـيـع بـأن خـيـر الأرض ... مـا قـد حـاط ذات الـمصطفى و حـواها
ونعم لقد صدقوا بساكنه علت ... كالنفس حين زكت زكا مأواها[٢]

وقد فضل إسماعيل عليه السلام على إسحاق عليه السلام لكون النبي ﷺ من ذريته، مع كثرة الأنبياء جدًّا من ولد إسحاق، ولا يعرف من ذرية ولد إسماعيل نبي غيره عليه السلام.

***

يؤذونه بالقول بعدم إيمان والديه وأنهما من أهل النار، قال ملا علي القاري الحنفي في «المسلك المتقسط في المنسك المتوسط»: «أجمعوا على أنّ أفضل البلاد مكّة والمدينة زادهما الله شرفًا وتعظيمًا، ثم اختلفوا بينهما أي في الفضل بينهما، فقيل مكة أفضل من المدينة، وهو مذهب الأئمة الثلاثة وهو المرويُّ عن بعض الصحابة، وقيل المدينة أفضل من مكة، وهو قول بعض المالكية ومن تبعهم من الشافعية، وقيل بالتسوية بينهما.... إلى أن قال والخلاف أي الاختلاف المذكور محصورٌ فيما عدا موضع القبر المقدس، قال الجمهور فما ضمّ أعضاءه الشريفة فهو أفضل بقاع الأرض بالإجماع حتى من الكعبة ومن العرش» المسلك المتقسط في المنسك المتوسط ص ٣٥١ – ص ٣٥٢، ويراجع: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وعبارته: «ولا خلاف أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض» (٢/ ٩١)، ويراجع: نسيم الرياض (٣:٥٣١)، الدر المختار (٢/ ٦٨٩)، منح الجليل شرح مختصر الخليل (٥/ ٤٨١).

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وعبارته: «ولا خلاف أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض» (٢/ ٩١)، ويراجع: نسيم الرياض (٣:٥٣١)، الدر المختار (٢/ ٦٨٩)، منح الجليل شرح مختصر الخليل (٥/ ٤٨١)، المسلك المتقسط في المنسك المتوسط لملا علي القاري (ص٣٥١ - ص٣٥٢).

(٢) يراجع: فتاوي السبكي (١/ ٢٧٩)، بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل (١/ ٢٨)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، وعزاها للعارف بالله أبي محمد البكري (٤/ ٢٢٩)، سبل الهدى والرشاد (٣/ ٣٥١)، شرح الزرقاني على المواهب (١٢/ ٢٣٤).

أول من نزل بمكة من خزيمة بن مدركة

عن ابن عباس رضي الله عنه: كان قصي بن كلاب أول ولد كعب بن لؤي، وأول من جعل بالأبطح سقاية للحاج قصي قبل حفر زمزم، وهو أول من نال الملك من ولد نضر بن كنانة، وهو الذي بنى دار الندوة لما استوت إمارة مكة له، وأول ما تحرك أمر قريش وأخذ شأنهم يرتفع حين قدم قصي مكة[١].

وقيل: أول من سُمِيَ باسم قريش قصي، كذا قال المبرد[٢].

وقال الشعبي: نضر بن كنانة. وإنما سُمِيَ قريشًا لأنه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسدها بماله، والتقريش: التفتيش[٣].

وأول من أخذ الإيلاف لقريش هاشم بن عبد مناف، أخذ كتاب أمان من قيصر لتأتي قريش إلى الشام للتجارة.

وأول من عظم أمر قريش وسميت «آل الله» حين خرج إليهم جيش الفيل. وكانت قريش تسمى «العالمة» في الجاهلية لفضلهم وعلمهم. من كتاب «الوسائل»[٤].

وفي «الملل والنحل» للشهرستاني: كانت العرب على قسمين: معطلة ومحصلة.

---

(١) يراجع: سيرة ابن هشام (١/ ١٢٥)، أعلام النبوة للماوردي (ص١٨٩)، الروض الأنف (٢/ ٣٥)، سبل الهدى والرشاد (١/ ٢٧٥).

(٢) يراجع: الطبقات الكبرى (١/ ٥٩)، تاريخ الطبري (٢/ ٢٦٤)، فتح الباري لابن حجر (٦/ ٥٣٤).

(٣) يراجع: تاريخ الطبري (٢/ ٢٦٩)، الإشارة إلى سيرة المصطفى لمغلطاي (ص٥١)، سبل الهدى والرشاد (١/ ٢٨٣)، معجم قبائل العرب لكحالة (٣/ ٩٤٧).

(٤) يراجع: سيرة ابن هشام (١/ ١٣٠)، الروض الأنف (٢/ ٥٥).

فالمعطلة أصناف:

منهم من أنكر الخالق والبعث والإعادة، وقالوا: الطبع المحيي، والدهر المفني، وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

ومنهم من أقر بالخالق والابتداء والإبداع، وأنكر البعث والإعادة، وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

ومنهم من أقر بالخالق ونوع من الإعادة وأنكر الرسل، وزعم أن الأصنام شفعاء له عند الله، وهم الدهماء من العرب إلا شرذمة منهم.

وأما المحصلة فكانوا على ثلاثة أنواع من العلوم:

علم الأنساب والتواريخ والأديان، ويعدونه نوعًا شريفًا، خصوصًا معرفة أجداد النبي ﷺ، والاطلاع على ذلك النور من صلب إبراهيم إلى إسماعيل وتواصله في ذريته، إلى أن ظهر بعد الظهور في أسارير عبد المطلب، وببركة ذلك النور أُلْهِمَ النَّذرَ. وببركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيات الأمور. وببركته قال لأبرهة: إن لهذا البيت ربًّا يحفظه، وفيه قال وقد صعد أبا قبيس[1]:

---

(١) جبل أبي قبيس، وهو الجبل الّذي يشرف على الصفا إلى السويداء إلى الخندمة، وكان يسمَّى في الجاهلية الأمين. قال الزبير بن بكّار: وإنّما سمِّي الأمين لأنَّ الركن [الأسود] كان مستودعًا فيه من الطوفان، فلمَّا بنى إبراهيم وإسماعيل عليهما الصّلاة والسّلام البيت ناداهما أنَّ الركن في موضع كذا وكذا، وسمِّي أبا قبيس لأنّ أوّل من نهض للبناء فيه رجل من مذحج- ويقال من إياد- يقال له أبو قبيس، ويقال لأنَّ الركن اقتبس منه. المسالك والممالك للبكري (١/ ٤٠١)، ويراجع: المسالك والممالك للإصطخري (ص١٦)، الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري (ص٢٧).

لاهم إن العبد يمنع رحله فامنع حلالك[١]
لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدرًا محالك[٢]

وببركة ذلك النور كان يقول في وصاياه: «إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم ويصيبه عقوبة» إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة، فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال: «والله إن وراء هذه الدار دارًا يُجزى فيها المحسن بإحسانه، ويُعاقَب فيها المسيء بإساءته».

ومما يدل على إثباته المعاد والمبدأ أنه كان يضرب بالقداح على عبد الله ابنه ويقول: ربِّ أنت الملك المحمود، ولأنت ربي الملك المعيد، من عندك الطارف والتليد[٣].

ومما يدل على معرفته بحالة الرسالة وشرف النبوة أن أهل مكة لما أصابهم الجدب أمر أبا طالب أن يحضر النبي ﷺ وهو صغير، فاستسقى به، وأنشد ذلك أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل[٤]

والنوع الثاني من العلم: علم الرؤيا.

---

(١) الحِلة: بالكسر، البلدة أو مكان حلول الناس وسكناهم، وجمعها حلال، بكسر أوله. تاج العروس (١/ ٩٨٦)، المعجم الوسيط (١/ ١٩٤).

(٢) المحال: بكسر الميم مصدر ماحل، الكيد وروم الأمر بالحيل والتدبير والمكر والقدرة. يراجع: الفائق في غريب الحديث (١/ ٣١٣)، النهاية (٤/ ٣٠٣).

(٣) التلاد كل مال قديم يرثه الرجل عن آبائه أو مال استخرجه كالدابة ينتجها أو الرقيق يولدون في ملكه وما أشبه ذلك، الطارف والطريف فهما جميعا من استفادة الإنسان حديثا ليس بقديم. غريب الحديث للقاسم بن سلام (٤/ ٣٠٩)، ويراجع النهاية في غريب الحديث (١/ ١٩٤).

(٤) ثمال القوم: غياثهم الذي يقوم بأمرهم. عصمة الأرامل: يدفع عنهم المكروه، ويحفظهم ويمنعهم من الأذى، يراجع: غريب الحديث لابن قتيبة، ثمل (٢/ ٤٢)، الدلائل في غريب الحديث (١/ ٣٦٣)، غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ١٢٨، ٢/ ١٠١)، النهاية في غريب الحديث، مادة: ثمل (١/ ٢٢٢، ٣/ ٢٤٩).

والثالث: علم الأنواء، وهو علم الكهنة والقافة.

ومن العرب من يؤمن بالله واليوم الآخر وينتظر النبوة، وكانت لهم سنن وشرائع، فممن كان يعتقد الدين الحنفي: زيد بن عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة الأيادي، وعمرو بن الطَرِبِ بن العدواني(١). إلى هنا كلام «الملل»(٢).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهو أنه يُبعَث من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا إلى القرن الذي كان فيه، وهو معنى حديث البخاري، فهذا دال على أن كل أصل من أصوله كان مسلمًا، لأن في كل قرن وُجِدَ مسلم، وإلا لزم أن يكون الكافر خيرًا من المسلم، وهو باطل.

فإن قيل: كانوا مجتمعين على الكفر في زمن إبراهيم عليه السلام، وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنه، وهو قول الحسن في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣]؟ **قلت**: يراد به الغالب، فإن الصحيح أن الله تعالى لا يخلي الدنيا من داعٍ إلى الحق -كذا في تفسير عمر النسفي(٣)- كما يقال لمشركي العرب أميون، لأنهم ليسوا من أهل القراءة والكتابة، وهذه صفة عامتهم، وإن كان فيهم من يكتب فنادر بينهم. كذا في «الكبير»(٤).

في تفسير البيضاوي: «قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، واستُدِلَ به على صحة الإجماع، لأن المراد منه أن في كل

(١) في الملل والنحل (٣/ ٨٧): (عامر بن الظرب العدواني).

(٢) الملل والنحل (٣/ ٧٩-٨٦) بتصرف.

(٣) التيسير في التفسير (٣/ ١٦٧)، ويراجع تفسير البغوي (١/ ٢٤٣)، زاد المسير (١/ ١٧٧)، تفسير القرطبي (٣/ ٣٠).

(٤) تفسير الرازي (٧/ ١٧٥).

قرن طائفة بهذه الصفة، إذ لو اختص بعهد الرسول أو غيره لم يكن لذكره فائدة، فإنه معلوم»(١).

أخرج أبو نعيم في «دلائل النبوة» من طريق الزهري عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها قالت: «شهدت آمنة أم رسول الله ﷺ في علتها التي ماتت فيها ومحمد غلام يفع له خمس سنين عند رأسها، فنظرت إلى وجهه ثم قالت:

بارك فيك الله من غلام	يا ابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الله الملك المنعام	فودي غداة الضرب بالسهام
بمئة من إبل سوام	إن صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام	تبعث في التحقيق والإسلام
دين أبيك النبي إبراهام	فالله أنهاك عن الأصنام
أن لا تواليها مع الأقوام	....

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة وذكري باق، وقد تركتُ خيرًا، وولدتُ طهرًا، ثم ماتت، فكنا نسمع نوح الجن عليها، فحفظنا من ذلك:

نبكي الفتاة البرة الأمينة	ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد الله والقرينة	أم نبي الله ذي السكينة
وصاحب المنبر بالمدينة	صارت لدى حفرتها رهينة(٢)

(١) تفسير البيضاوي (٣/ ٤٣)، ويراجع: درج الدرر في تفسير الآي والسور (٢/ ٧٨)، السراج المنير للشربيني (١/ ٥٤٠)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٢/ ٢٨٦)، الوسيط في التفسير لطنطاوي (٥/ ٤٤٣).

(٢) الخصائص الكبرى للسيوطي (١/ ١٣٦)، ويراجع: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢/ ١٢١)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (١/ ٢٣٧)، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١/ ٣١٠)، مستعذب الإخبار بأطيب الأخبار (ص٩٠).

قال جلال الدين السيوطي في كتاب «الفوائد الكامنة في إيمان السيدة آمنة»: «هذا القول من أم النبي ﷺ صريح في أنها موحدة، إذ ذكرت دين إبراهيم وبعثة ابنها ﷺ بالإسلام من عند ذي الجلال والإكرام، ونهيه عن الأصنام وموالاتها مع الأقوام، وهل التوحيد شيء غير هذا التوحيد والاعتراف بالله وإلهيته وأنه لا شريك له، والبراءة من عبادة الأصنام ونحوها؟ وهذا القدر كافٍ في التبري عن الكفر، وثبوت صفة التوحيد في الجاهلية قبل البعثة»(١).

وقال: كتب ابن الجوزي بسنده إلى جعفر بن محمد عن أبيه عن علي مرفوعًا: «هبط جبريل عليَّ فقال: الله يقرؤك السلام ويقول: إني حرمتُ النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحِجر كفلك، أما الصلب فعبد الله، وأما البطن فآمنة بنت وهب، وأما الحِجر فعمه يعني به أبا طالب، وفاطمة بنت أسد»(٢).

قال جلال الدين السيوطي: فاطمة بنت أسد بن هاشم: آمنت وصحبت وهاجرت رضي الله عنها، ذكر الحافظ ابن حجر في «زهر الفردوس» عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد رضي الله عنها خلع رسول الله ﷺ قميصه وألبسه إياها، واضطجع في قبرها، فلما سوَّى التراب قال بعضهم: يا رسول الله، رأيناك صنعتَ شيئًا لم تصنعه بأحد، قال: «إني ألبستها قميصي لتلبس ثياب الجنة، واضطجعت معها في قبرها لأخفف عنها ضغطة القبر، إنها كانت أحسن خلق الله صنعًا إليَّ بعد أبي طالب»(٣).

---

(١) التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله في الجنة ﷺ؛ للسيوطي (ص٢٦)، تح: الشيخ محمد حسنين مخلوف، ط: دار جوامع الكلم، ٢٠٠٠م.

(٢) أورده الجوزقاني في الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير (١/ ٣٧٥)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٨٣)، وابن عراق في تنزيه الشريعة المرفوعة (١/ ٣٢٢).

(٣) الغرائب الملتقطة أو زهر الفردوس لابن حجر؛ حديث رقم (٩٦٢)، والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٦٩٣٥)، وذكره صاحب كنز العمال برقم (٣٧٦١١)؛ وعزاه لأبي نعيم في معرفة الصحابة

قال صاحب «جامع الأصول»: «وأهل البيت يزعمون أن أبا طالب مات مسلمًا»[١].

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري في باب الاستسقاء حين ذكر البخاري بيت أبي طالب في حق رسول الله ﷺ:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل، ومعرفة أبي طالب بنبوة رسول الله ﷺ كثيرة في الأخبار، وتمسك بها الشيعة في أنه كان مسلمًا، ورأيتُ لعلي بن حمزة البصري[٢] مجلدًا في شعر أبي طالب وكتب في أوله «كان مسلماً ومات على الإسلام، وإن كانت الحشوية تزعم أنه مات كافرًا، ولذلك كانوا يستجيزون لعنه، ثم بالغ في سبهم والرد عليهم»، واستدل لدعواه[٣].

قال جلال الدين في الدليل على أن أبوي النبي ﷺ وأجداده إلى إبراهيم عليه السلام كانوا على الحنيفية دين إبراهيم: ولم يكونوا على ما كانت عليه العرب من عبادة الأصنام: «أخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] قال: فاستجاب الله

برقم (٢٨٩)، وقال: «وسنده حسن».

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول (١٢/ ١٠٩).

(٢) علي بن حمزة البصري النحوي اللغوي أبو نعيم، قال ياقوت: أحد الأعلام الأئمة في الأدب وأعيان أهل اللغة الفضلاء المعروفين، له ردود على جماعة من أئمة اللغة، وعنده نزل المتنبي لما ورد بغداد، صنف: الرد على أبي زياد الكلابي، الرد على أبي عمرو الشيباني في نوادره.. مات سنة خمس وسبعين وثلاثمئة. بغية الوعاة للسيوطي (٢/ ١٦٥)، ويراجع: معجم الأدباء (٤/ ١٧٥٤)، الأعلام (٤/ ٢٨٣)، معجم المؤلفين (٧/ ٨٣).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٢/ ٤٩٦)، ويراجع: ديوان أبي طالب، أبو هفان عبد الله بن أحمد المهزمي، وعلي بن حمزة البصري التميمي، (ص٢٦، ٢٧)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت، دار الهلال، ٢٠٠٣ م.

لإبراهيم دعوته، فلم يعبد أحد من ولده صنمًا بعد دعوته»(١).

وعن سفيان بن عيينة أنه سُئِلَ: (هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام، فقال: لا، ألم تسمع قوله: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾(٢).

عن ابن جريج في قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠] قال: فلن يزال من ذرية إبراهيم عليه السلام ناس على الفطرة يعبدون الله. ويحمل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩](٣).

قال الزمخشري في «الكشاف»: «وسئل ابن عيينة: كيف عبدت العرب الأصنام؟ فقال: ما عبد أحد من ولد إسماعيل صنمًا، واحتج بقوله: ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾، إنما كانت أنصاب حجارة لكل قوم، قالوا: البيت حجر، فحيثما نصبنا حجرًا فهو بمنزلة البيت، فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار، فاستحب أن يقال: طاف بالبيت، ولا يقال: دار بالبيت»(٤).

أقول: قال الحماسي:

فلئن عقدت علي ألف تميمة ونذرت نذرًا دائمًا ودوارًا

---

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٦٨٧)، ويراجع: تفسير الرازي (١٩/ ١٠٢)، تفسير النيسابوري (٤/ ١٩٨)، فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٣٤).

(٢) ذكره صاحب الكشاف (٢/ ٥٥٨)، ويراجع: تفسير البيضاوي (٣/ ٢٠٠)، البحر المحيط (٦/ ٤٤٥)، الدر المنثور (٥/ ٤٦)، مسالك الحنفا للسيوطي (ص٣٢)، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) الدر المنثور للسيوطي، وعزاه لابن المنذر (٥/ ٤٩).

(٤) الكشاف (٢/ ٥٥٨)، ويراجع: تفسير البيضاوي (٣/ ٢٠٠)، السراج المنير للخطيب الشربيني (٢/ ١٨٤).

لأوافـــين مــواعــدًا مــحتومــة رد المــودي مــا يــكــون مــعــارًا[١]

قال الشارح: «التميمة: المعاذة، والدوار: نصب كانوا يطوفون حوله، أي إن علقت عليَّ التمائم وطفتِ حول الدوار تدعين الله لي لم يكن بد من الموت ومما قدر لي»[٢].

في «غاية البيان شرح الهداية»: قال أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي في كتاب الأصنام: «ما كان معمولًا من خشب أو ذهب أو فضة صورة إنسان فهو صنم، وإن كان من الحجارة فهو وثن»[٣]. قال الإمام في «الكبير»: «إن النصب غير الصنم، وأثبته بالدليل، وقال مجاهد: ما عبد أحد من ولد إبراهيم صنمًا»[٤]. قال الإمام في «الكبير»: «من الناس من قال: الأنصاب هي الأوثان، وهذا بعيد، وقال ابن جريج: النصب ليست بأصنام، فإن الأصنام أحجار مصورة منقوشة، وهذه النصب أحجار كانوا ينصبونها حول الكعبة، وكذا في صحيح البخاري بلفظ النصب»[٥].

قال الشهرستاني في «الملل والنحل»: وكانوا في الجاهلية يحرمون أشياء نزل القرآن بتحريمها كنكاح الأمهات والبنات والخالات والعمات، وكانوا يطوفون ويسعون ويلبون ويقفون المواقف كلها، ويهدون الهدي ويرمون الجمار، ويحرمون الأشهر

---

(١) كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، تح: الطناحي (ص٣٦١)، ونسبه للنمر بن تولب، وقال محققه: «ليس في شعر النمر، ط بيروت، ولا في شعره المطبوع في بغداد».

(٢) شرح الأبيات المشكلة الإعراب (ص٣٦١)، وجاء في شرح المعلقات السبع للزوزني: «الدوار: حجر كان أهل الجاهلية ينصبونه ويطوفون حوله تشبيهًا بالطائفين حول الكعبة إذا نأوا عن الكعبة» (ص٧٠).

(٣) غاية البيان نادرة الزمان في آخر الأوان في شرح الهداية (مخطوط للإمام أمير كاتب الإتقاني الحنفي (ت:٧٥٨هـ)، ويراجع: كتاب الأصنام للكلبي (ص٥٣).

(٤) يراجع: تفسير الرازي (١٩/ ١٠٢).

(٥) تفسير الرازي (١١/ ٢٨٥).

الحرم، ويغتسلون من الجنابة، ويغسلون موتاهم ويكفنونهم، وكانوا يداومون على طهارات الفطرة العشرة التي ابتلي بها إبراهيم عليه السلام، ويوفون بالعقود، ويكرمون الضيف، ويقطعون يد السارق، وكان دين إبراهيم قائمًا والتوحيد شائعًا في صدر العرب، وأول من غيره عمرو بن لحي.

قال ابن الجوزي في «التلقيح»: «ممن رفض عبادة الأصنام في الجاهلية: أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، زيد بن عمرو بن نفيل، عبيد الله بن جحش عثمان بن الحويرث، ورقة بن نوفل، رياب بن البراء الشمني، أمية بن أبي الصلت، أسعد بن كرب الحميري، قيس بن ساعدة الإيادي، أبو قيس بن صرمة»(١).

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة: «وأبو بكر ما زال بعين الرضا منه، قال بعضهم: إن الأشعري يقول: إن أبا بكر الصديق كان مؤمنًا قبل البعثة. وقال البعض يعلم الله بأنه سيؤمن ويصير من خلاصة الأبرار»(٢).

قال الشيخ تقي الدين السبكي: لو كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة فيه، فالصواب أن يقال: إن الصديق لم يثبت عنه حالة كفر بالله، كما لزيد بن عمرو وأقرانه، فلهذا خصص بالذكر عن غيره من الصحابة. قال الشيخ جلال الدين السيوطي: «وهذا الذي قاله السبكي في الصديق نقوله نحن في أبوي النبي ﷺ»(٣).

وقال أبو عمر النسفي في تفسير ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ [المائدة: ٩٠]: وروي أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: إن الله شكر لجعفر الطيَّار أربع خصال كان عليها في الجاهلية،

---

(١) تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير لابن الجوزي (ص٣٣٣)، وفي الأصل: (أبو قبيس بن حرمة)، ولعله خطأ من الناسخ، ويراجع: سبل الهدى والرشاد (٢/ ١٢٦)، السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (١/ ٣٨٥).

(٢) يراجع: تشنيف المسامع بجمع الجوامع للزركشي (٤/ ٧٢٧).

(٣) التعظيم والمنة في أن أبوي النبي في الجنة للسيوطي (ص٥٨).

وهو عليها في الإسلام، فسأل النبي ﷺ جعفرًا عن ذلك، فقال: «**لولا أن الله تعالى أطلعك عليها لما أخبرتُك بها: ما شربت خمرًا قط؛ لأني رأيتها تزيل العقل، وإني إلى أن أزيد فيه أحوج مني إلى أن أزيله، وما عبدت صنمًا قط؛ لأني رأيته لا يضر ولا ينفع، وما زنيت قط لغيرتي على أهلي، وما كذبت لأني رأيته دناءة**»(١).

وقال في تفسير: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]، «أي: واجعل من أولادنا جماعة مخلصة لك بالعبادة والطاعة، وإنما خص البعض بالدعاء لأن الله تعالى قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣] فأجيبا إلى ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨] فكانت في ولد إسحاق وهم بنو إسرائيل إلى أن صرفوا، ثم في ولد إسماعيل وهو محمد ﷺ وأمته إلى قيام الساعة»(٢).

وقال: «قال عطاء: (أمة قائمة) هم أربعون رجلًا من أهل نجران من العرب، واثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من الروم، كانوا على دين عيسى عليه السلام، وصدَّقوا بالنبي ﷺ. وكان من الأنصار فيهم عدة قبل قدوم النبي ﷺ منهم: أسعد بن زرارة، والبراء بن معرور، ومحمد بن مسلمة، ومحمود بن مسلمة، وأبو قيس صرمة بن أنس، وكانوا موحدين مسلمين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية، حتى جاءهم النبي ﷺ، فصدَّقوه واتبعوه ونصروه، فوصفهم بقوله: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ويأمرون بالمعروف وبتوحيد الله وينهون عن الشرك بالله، ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ في كل ما لله رضا فيه من صلة الأرحام وخلع الأنداد، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤]»(٣).

---

(١) يراجع تفسير روح البيان للبروسوي (١/ ٣٣٩).

(٢) التيسير في التفسير (٢/ ٤٥١).

(٣) التيسير في التفسير (٤/ ٢١٧)، ويراجع: تفسير الثعلبي (٩/ ١٧٩)، تفسير البغوي (٢/ ٩٣)،

أول من أظهر التوحيد بمكة وما حولها

أول من أظهر التوحيد بمكة وما حولها قس بن ساعدة، وورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل.

قس بن ساعدة بن خذامة بن زهير بن إياد بن نزار بن معد بن عدنان، كان من حكماء العرب، ومن أعقل من سُمِعَ منهم، وهو أول من كتب: «من فلان بن فلان»، وأول من أقر بالبعثة من غير علم، وأول من قال: «البينة للمدعي واليمين على من أنكر» وأول من خطب بالعصا[١]. وأورد ابن شاهين قسًا في الصحابة[٢].

قال هشام بن محمد الكلبي المفسر: عاش قس ثلاثمئة وثمانين سنة، وأدرك النبي ﷺ، وسمع النبي ﷺ حكمته بسوق عكاظ، عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «يرحم الله

تفسير الرازي (٨/ ٣٣١)، تفسير الخازن (١/ ٢٨٧).

(١) يراجع: المعمرون لابن أبي حاتم (ص٢٧)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٥/ ٤١٣).

(٢) قال الزرقاني في شرح المواهب: وروى اليعمري عن ابن عباس مرفوعًا: «رحم الله قسًا، إني أرجو أن يبعثه الله أمة وحده»، وصرح العلماء بأن الرجاء من الله ومن نبيه واقع. وروى الطبراني في كبيره وأوسطه بسند رجاله ثقات عنه ﷺ: «رحم الله قسًا»، قيل: يا رسول الله! تترحم على قس، قال: «نعم، إنه كان على دين أبي إسماعيل بن إبراهيم». وأخرج البزار عن جابر، قال: سألنا رسول الله ﷺ عن زيد بن عمرو بن نفيل، فقلنا: يا رسول الله! إنه كان يستقبل القبلة ويقول: ديني إبراهيم، وإلهي إله إبراهيم، قال: «ذاك أمة وحده، يحشر بيني وبين يدي عيسى ابن مريم»، وقد عُدَّا في الصحابة، لكن قال الذهبي: فتأكد من أورد قسًا في الصحابة كعبدان وابن شاهين، وأما زيد فذكره ابن منده والبغوي وغيرهما في كتب الصحابة، قيل: وإيراد البخاري يميل إليه ورده البرهان، بما حاصله: أن الثابت أنه رأى النبي ﷺ قبل البعثة ومات قبلها، فلم ينطبق عليه حد الصحابي. وقال في الإصابة: فيه نظر؛ لأنه مات قبل البعثة بخمس سنين، ولكنه يجيء على أحد الاحتمالين في تعريف الصحابي، وهو من رأى النبي ﷺ مؤمنًا به، هل يشترط كون رؤيته بعد البعثة، فيؤمن به حين يراه أو بعد ذلك، أو يكفي كونه مؤمنًا بأنه سيبعث؛ كما في قصة هذا وغيره، انتهى. شرح المواهب (١/ ٤٣٧)، ويراجع: الإصابة لابن حجر (١/ ٩).

قسًا إني لأرجو أن يأتي يوم القيامة أمة واحدة وحده»(١).

قال الواقدي: «كان أبو الهيثم بن تيهان يكره الأصنام في الجاهلية؛ ويقول بالتوحيد هو وأسعد بن زرارة، وكان من أول من أسلم من الأنصار بمكة»(٢).

قال الشيخ جلال الدين في الفوائد الكامنة في إيمان السيدة آمنة: «أفتيت بأن المختار أن أم النبي عليه الصلاة والسلام موحدة، وحكمها حكم من تحنف في الجاهلية، وكان على دين إبراهيم وترك عبادة الأصنام؛ كزيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه، وبأن الحديث الوارد في أن الله تعالى أحياها له ليس بموضوع كما ادعاه جماعة من الحفاظ، بل هو من قسم الضعيف الذي يتسامح بروايته في الفضائل؛ خصوصاً في مثل هذا الموطن، فتضمن هذا الإفتاء أمرين يحتاجان إلى بيان المستند لكل منهما، ثم استدل على الوجهين بأمور شتى، وقال في آخر الكتاب: ثم رأينا الإمام فخر الدين جنح إلى ما جنحت إليه من [أن] آباء النبي ﷺ كانوا على التوحيد، فقال في كتابه «أسرار التنزيل»: «بأن آزر لم يكن والد إبراهيم عليه السلام، بل كان عمه، وبأن آباء النبي ﷺ ما كانوا كفارًا، ويدل عليه وجوه: منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩] معناه: أنه كان ينقل روحه من ساجد إلى ساجد، وبهذا التقدير فالآية دالة على أن جميع آباء محمد ﷺ كانوا مسلمين، وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين.

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ١١٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/ ٤٣٦)، ويراجع: البداية والنهاية لابن كثير: حيث قال: وهذا الحديث غريب جدا من هذا الوجه وهو مرسل إلا أن يكون الحسن سمعه من الجارود. والله أعلم، وقد رواه البيهقي والحافظ أبو القاسم ابن عساكر من وجه آخر من حديث محمد بن عيسى بن محمد بن سعيد القرشي الأخباري (٣،٣١٠).

(٢) وذلك في بيعة العقبة، يراجع: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (٢/ ١٧٧)، ويراجع: البداية والنهاية (٣/ ١٨٢)، سبل الهدى والرشاد (٣/ ١٩٥).

أقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ على وجوه أخر، وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل، ومتى صح ذلك ثبت أن والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان، ومما يدل على أن آباء محمد ما كانوا مشركين قوله ﷺ: «**لم أزل أُنقَل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات**».

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركًا»، هذا كلام الإمام بحروفه[١].

قال الشيخ جلال الدين: «كيف ينسب إلى والدي الرسول الامتناع عن الإسلام وقد بشرا بنبوة ابنهما، وسمعا من أهل الكتاب والكهان وغيرهم، وبُشِرَا به قبل ولادته وصدقا بذلك، وبُشِرَت به أمه قبل ولادته، وعند ولادته، وبعد ولادته، وصدقت بذلك وفرحت، وقالت الأبيات السابقة عند موتها، وهل ينسب إليهما شرك وقد أُخبِرَا عن ولدهما بأنه يبعث رسولًا عن الله بالتوحيد وكسر الأصنام، وقد صدقا بذلك، وهل الإسلام شئ من غير هذا التصديق، بل ندعي أنهما كانا من أول أمرهما على الحنفية دين إبراهيم، وأنهما لم يعبدا صنمًا قط»[٢].

أخرج أبو بكر الخطيب في كتاب «السابق واللاحق» وأبو حفص عمر بن شاهين في كتاب «الناسخ والمنسوخ» له في الحديث بإسنادهما عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ذهبتُ لقبر أمي آمنة، فسألت الله تعالى أن يحييها، فأحياها فآمنت بي، أو قال: آمنت وردها الله عز وجل**» لفظ الخطيب[٣].

---

(١) تفسير الرازي (١٣/ ٣٣).

(٢) التعظيم والمنة في أن أبوي النبي في الجنة (ص٥٢).

(٣) أخرجه الخطيب في السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد (ص٣٤٤)، وابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه (ص٤٨٩).

وقد ذكر السهيلي في «الروض الأنف» بإسناده: «إن الله تعالى أحيا له أباه وأمه وآمنا به»(١).

قال الإمام حافظ الدين صاحب «جامع الفتاوى»(٢) في شرح مناقب الإمام أبي حنيفة(٣): من تقرر أنه مات على الكفر يباح لعنه إلا والدي رسول الله ﷺ فإنه ثبت في الحديث، وأورده في «التذكرة» الإمام القرطبي، وفي تفسيره: «إن الله تعالى أحيا له ﷺ أباه وأمه فآمنا به»(٤).

قال جلال الدين السيوطي: أخبرني بعض الفضلاء أنه وقف على فتيا بخط الحافظ ابن حجر أجاب فيها بهذا، وقال: إنه ﷺ لم يزل يزدد شرفًا، إلا أني لم أقف على هذه

---

(١) الروض الأنف (٤/ ٢٠)، قال صاحب تاريخ الخميس: «أورده السهيلي في شرح السيرة والخطيب في السابق واللاحق وابن شاهين في الناسخ والمنسوخ والدارقطني وابن عساكر كلاهما في غرائب مالك والبغوي في تفسيره، والمحب الطبري في خلاصة السير، وأورده السهيلي في الروض الأنف من وجه آخر بلفظ واسناده ضعيف، وقد مال اليه ابن شاهين والطبري والسهيلي، وكذا القرطبي وابن المنذر ونقله ابن سيد الناس عن بعض أهل العلم، وقال به الصلاح الصفدي في نظم له والحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في أبيات له، وجعلوه ناسخا لما خالفه من الاحاديث لتأخره، ولم يبالوا بضعفه؛ لانّ الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل والمناقب، وهذه منقبة (١/ ٢٣٠).

(٢) محمد بن محمد بن شهاب بن يوسف الكردري البريقيني الخوارزمي الشهير بالبزازي: فقيه حنفي. أصله من (كردر) بجهات خوارزم. تنقل في بلاد القرم والبلغار وحج، واشتهر. وكان يفتي بكفر (تيمورلنك) من كتبه (الجامع الوجيز - ط) مجلدان، فتاوى في فقه الحنفية، و (المناقب الكردرية - ط) في سيرة الإمام أبي حنيفة، و (مختصر في بيان تعريفات الأحكام - خ) و (آداب القضاء - خ)، توفي سنة٨٢٧هـ. الأعلام (٧/ ٤٥)، ويراجع: معجم المؤلفين (١١/ ٢٢٤)، هدية العارفين (٢/ ١٨٥).

(٣) المناقب الكردرية، في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان للبزاز الكردري (مخطوط)، ويراجع: الأشباه والنظائر على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان لابن نجيم المصري (ص٢٤٨)، غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر للحموي (٣/ ٢٣٩).

(٤) تفسير القرطبي (٢/ ٩٣)، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص١٣٨).

الفتيا إلى الآن. وقال: أورد الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين محدث دمشق، من المتأخرين[١] من طريق الخطيب الحديث المذكور في كتابه المسمى بـ «بمورد الصادي في مولد الهادي» وأنشد عقيبه:

حبا الله النبي مزيد فضل على فضل وكان به رؤوفا

فأحيا أمه وكذا أباه لإيمان به فضلًا لطيفًا[٢]

قال الشيخ أبو بكر بن العربي ﷺ في المقالة الثالثة من كتابه المسمى بـ«لب العقول في أبوي الرسول ﷺ»: «إن أبوي الرسول ﷺ من أشراف أهل الجنة. وسُئِلَ عنه في رجل قال: إن أبا رسول الله ﷺ في النار؟ فأجاب بأنه ملعون؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وقال: ولا أذى أعظم من أن يقال إن أباه في النار»[٣]. وذكر القاضي عياض في «الشفا»: «أن كاتب عمر بن عبد العزيز قال بحضرته: كان أبو النبي كافرًا فعزله، وقال: لا تكتب لي أبدًا»[٤].

---

(١) محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقيّ الشافعيّ، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين: حافظ للحديث، مؤرخ. أصله من حماة. ولد في دمشق، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية (سنة ٨٣٧) وقتل شهيدا في إحدى قرى دمشق. من كتبه «افتتاح القاري لصحيح البخاري» و «عقود الدرر في علوم الأثر» و «الرد الوافر» في الانتصار لابن تيمية، و«برد الأكباد عن فقد الأولاد » و«شرح منظومة الاصطلاح» في مصطلح الحديث، وغيرها، توفي سنة٨٤٢هـ. الأعلام (٦/ ٢٣٧)، ويراجع: لحظ الألحاظ (ص٣١٧)، وشذرات الذهب (٧/ ٢٤٣) والضوء اللامع (٨/ ١٠٣).

(٢) يراجع: سبل الهدي والرشاد (١/ ٢٥٩)، المواهب اللدنية (١/ ١١٠)، تاريخ الخميس (١/ ٢٣١)، نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز (ص٣٧).

(٣) يراجع: المعيار المعرب للونشريسي (١٢/ ٢٥٧-٢٦٢)، المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك (١/ ١١٦).

(٤) الشفا بتعريف بحقوق المصطفي (٢/ ٢٤٢).

وكذا في «الحلية» لأبي نعيم[١]. وقال الهروي في «ذم الكلام»: «لما سمع عمر بن العزيز ذلك غضب غضبًا شديدًا وعزله عن الدواوين»[٢].

قال الشيخ محيي الدين بن عربي: إن أبوي الرسول ﷺ من المصطفين الأخيار، ومن أكابر الأبرار، وسنده ما ذكر في مسلم من حديث الاصطفاء[٣]، وفي البخاري من حديث كونه مبعوثًا في خير القرون. والاصطفاء والخيرية يتبعان الإسلام؛ بل يدلان على عدم صدور الذنب، ولهذا أورد الإمام في الأربعين وغيره من تصانيفه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٧] في الاستدلال على عصمة الأنبياء[٤].

قال الشريف الجرجاني في «شرح المواقف»: لا يقال الاصطفاء لا ينافي صدور الذنب، بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢]، فقسم المصطفين إلى الظالم والمقتصد والسابق؛ لأنا نقول الضمير في قوله: (فمنهم) راجع إلى العباد لا إلى المصطفين، لأن عوده إلى أقرب [المذكورين] أولى[٥].

---

(١) حلية الأولياء: وفيه» أن عمر بن عبد العزيز أتي بكاتب يخط بين يديه، وكان مسلماً وكان أبوه كافرًا نصرانيًا أو غيره، فقال عمر للذي جاء به: لو كنت جئت به من أبناء المهاجرين، قال: فقال الكاتب: ما ضر رسول الله ﷺ كفر أبيه، قال: فقال عمر: «وقد جعلته مثلا؟! لا تخط بين يدي بقلم أبدا» (٥/ ٢٨٤).

(٢) ذم الكلام وأهله للهروي (٤/ ٥٩).

(٣) أخرج مسلم في صحيحه برقم (٢٢٧٦)؛ بسنده إلى واثلة ابن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**».

(٤) يراجع: سداد الدين في إثبات النجاة والدرجات للوالدين (ص٩٢)، لمحمد بن رسول البرزنجي، عصمة الأنبياء للرازي (ص٤٤)، ط: مكتبة الثقافة الدينية، الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٥) شرح المواقف للجرجاني مع حاشيتي السيالكوتي والفناري (٨/ ٢٦٧).

فثبت مما ذكر أن أبوي الرسول ﷺ كانا مما ترك الشرك وتمسك بدين إبراهيم وهو التوحيد، كزيد بن عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة، وورقة بن نوفل، فكلهم محكوم بإيمانهم في الحديث ومشهود لهم، وكذلك أبوي الرسول، ولهما فضيلة أخرى هي إحياؤهما بعد حجة الوداع حين تمت الشريعة، ونزل﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣] ليحصل الإيمان بجميع ما أنزل من الشرائع ويكونا من أمة محمد ﷺ. قال الشيخ جلال الدين السيوطي: «هذا معنى نفيس بليغ»، وقال: «قد ألفتُ عدة مؤلفات في نجاة والدي الرسول ﷺ وقصدي بذلك أمور:

أحدها: كف الناس عن التكلم بذلك القول الصعب، لأن الأئمة قد نصوا على أنه ليس لنا أن نقوله، لأنه يؤذي رسول الله ﷺ».

قال الإمام السهيلي في «الروض الأنف» بعد إيراد حديث مسلم وغيره: «وليس لنا أن نقول ذلك في أبوي الرسول ﷺ لقوله ﷺ: «**لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات**»[1]، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧] الآية»[2].

سبب ورود الحديث أنه قدم ابن أبي جهل بعد الإيمان إلى المدينة، فجعل يمر في الطريق فيقول الناس: هذا ابن أبي جهل. فذكر ذلك لأم سلمة، فذكرته لرسول الله ﷺ فخطب الناس فقال: «**لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات**»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي بلفظ: «لا تسبُّوا الأمواتَ فتُؤذوا الأحياءَ»، برقم (١٩٨٢)، وأحمد في المسند، وقال محققه: «حديث صحيح» برقم (٢٧٣٥)، والطبراني برقم (٧٢٧٨)، والصغير برقم (٥٩٠)، وأورده الهيثمي في المجمع، وقال: «رواه الطبراني والصغير وقال: عن النبي ﷺ: «**الكفار الذين أسلم أولادهم**». وفيه عبد الله بن سعيد بن أبي مريم، وهو ضعيف» برقم (١٣٠٣٢).

(٢) نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين للسيوطي (ص٣)، ط: دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن، ١٣١٦هـ، ويراجع: الروض الأنف (٢/ ١٢١).

(٣) أخرج الخرائطي في مساوئ الأخلاق بسنده إلى أم سلمة: قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا الأموات، فتؤذوا الأحياء، ألا إن البذاء لؤم**» برقم (٦٤)، وقد رواه أحمد والترمذي والطبراني من حديث

الثاني: شرح صدور المؤمنين بذلك، لأن من سمع من العلماء من قال بنجاة والدي الرسول ﷺ ودخولهما الجنة، فإنه ينشرح بلا شك صدره، ويفرح قلبه، ويسر خاطره. وإذا كانت المسائل الخلافية في الفقه يجوز للإنسان فيها أن يترك مذهبه ويقلد مذهب غيره، لأن فيه فسحة، فالاقتداء في هذه المسألة بأقوال القائلين بالنجاة أولى بلا شك، وللأولوية وجوه:

أن الانتقال في تلك المسائل المشار إليها إنما هو لغرض نفسه لإزاحة الحرج عنه وجلب التيسير له، والانتقال في هذه المسألة لمجرد السرور بما يقر به عين المصطفى ﷺ ليس فيه غرض للنفس ألبتة.

ومنها أن في ذلك إظهار السرور بما يسر المصطفى، والمساءة بما يشق عليه.

ومنها الإشارة بشرفه وفضيلة لأصوله، ومعجزة وخصيصة له.

ومنها أن فيه شغلًا للناس بهذا القول عن انشغالهم بهذا القول الذي حث العلماء على السكوت عنه.

ومنها أنه ليس فيه ضرر ألبتة ولا فوات ولا ترتب شئ في الذمة، بخلاف تلك المسائل، فإن فيها منع وتحريم عند المذهب المنتقل عنه، ولهذا كان الورع في مسالك الخلاف الأخذ بالأحوط.

الثالث: التقرب إلى رسول الله ﷺ وطلب مرضاته والتوصل إلى حصول شفاعته بالسعي في تقرير هذه الأمور، وإعمال الجهد في استخراج النقول والأدلة، وضم بعضها إلى البعض، فإن في ذلك أجرًا عظيمًا.

ولا شك أن هذه مسألة اجتهادية الساعي فيها مأجور على كل حال؛ أصاب بالحق في

المغيرة بن شعبة دون قوله: (إلا أن البذاء لؤم).

نفس الأمر أم أخطأ، إن أصاب كان له أجران، وإن أخطأ كان له أجر واحد[١].

قالت عائشة رضي الله عنها: أمر النبي ﷺ بهجو قريش حين هجوه، وأرسل إلى ابن أبي رواحة فهجاهم فلم يرضَ، وأرسل إلى كعب بن مالك فلم يرضَ أبدًا هجوه، ثم أرسل إلى حسان فلما دخل عليه أخرج لسانه قال: لأفرينهم فري الأديم. فقال: لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسبًا حتى يخلص لك نسبي، فأتاه حسان ثم رجع فقال: يا رسول الله، قد بين نسبك لي أبو بكر[٢].

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «استأذن حسان بن ثابت رسول الله ﷺ في هجاء المشركين، فقال رسول الله ﷺ: «**فكيف بنسبي؟**» فقال حسان: لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين»[٣].

قال السهيلي في «الروض الأنف»: تزوج كنانة امرأة أبيه خزيمة، وهاشم أيضًا تزوج امرأة أبيه، ولكن هذا خارج عن عمود نسب[٤] رسول الله ﷺ، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢] من تحليل ذلك قبل الإسلام، وفائدة هذا الاستثناء ألا يعاب نسب رسول الله ﷺ، وليُعلَم أنه لم يكن في أجداده من لِغَيَّة[٥] ولا سفاح، قال عليه الصلاة والسلام: «**إنما أنا من نكاح لا من سفاح**»[٦]. وهذه الفائدة لقنتها من شيخنا الإمام الحافظ

---

(١) نشر العلمين المنيفين (ص٣، ٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٤٩٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٣٥٣١).

(٤) في الأصل: (عمرو نسب)، وهو خطأ من الناسخ، ويراجع الروض الأنف (٢/ ٢٢٩).

(٥) وهي من «غَوَى غَيًّا مِنْ بَابِ ضَرَبَ، انْهَمَكَ فِي الْجَهْلِ، وَهُوَ خِلَافُ الرُّشْدِ، وَالِاسْمُ الْغَوَايَةُ بِالْفَتْحِ وَهُوَ لِغِيَّةٍ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ، كَلِمَةٌ تُقَالُ فِي الشَّتْمِ. المصباح المنير للفيومي، مادة غوى (٢/ ٤٥٧).

(٦) أخرج الطبراني في الأوسط بسنده إلى علي رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال: «خرجت من نكاح، ولم أخرج

أبي بكر محمد بن العربي أرضاه الله[1].

***

من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي» برقم (٤٧٢٨)، وفي الكبير بنحوه برقم (١٠٨١٢)، وعبد الرزاق في مصنفه برقم (١٣٢٧٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٣١٦٤١)، وأبو نعيم في الدلائل برقم (١٤)، والبيهقي في الدلائل (١/ ١٧٤)، وابن عساكر في التاريخ برقم (٧٥٧).

(١) الروض الأنف (٢/ ٢٢٩).

[خصائص النبي ﷺ]

وذكر القاضي عياض بعض خواصه منها:

«أنه لا يقع الذباب على جسده وثيابه، ولا يقع ظل لشخصه في شمس ولا قمر؛ لأنه كان نورًا، ولا ينقض وضوؤه بالنوم؛ إذ لا يقع منه موجب الحدث، ولا يتثاءب. وما ظهر من الآيات عند مولده شاخصًا ببصره إلى السماء، وما رأته[أمه] من النور الذي خرج عند ولادته، وما جرى من العجائب ليلة مولده، ومن إظلاله في السفر بالغمام، واستئذان ملك الموت، وسجود الملائكة على جسده، والنداء عند غسله بأن لا تنزعوا القميص، وما روته حاضنته أم أيمن وقالت: ما رأيته شكا جوعًا ولا عطشًا صغيرًا ولا كبيرًا، ومنها قطع رصد الشياطين ومنعهم عن استراق السمع، ومن بغضه الأصنام، والعفة عن أمور الجاهلية، ومن منعه عن التعري عند بناء الكعبة وقول عمه: ما لك؟ وقوله: «نهيتُ عن التعري»[1]، ومن تعزية الخضر والملائكة أهل بيته عند ارتحاله، إلى ما ظهر من أصحابه من كرامته وبركته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه العباس، وتبرك غير واحد بذريته، ومنها طهارة فضلاته ﷺ»[2].

وقال الشيخ تقي الدين في «السيف المسلول على من سب الرسول»: «وكان ﷺ إذا أراد أن يتغوط انشقت الأرض، فابتلعت غائطه وبوله، وفاحت لذلك رائحة طيبة. وأنا أختار في هذه المسألة قول أبي جعفر الترمذي لحديث المرأة التي شربت بوله وهو

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده برقم (٢٧٨١)، وأورده السيوطي في الجامع الصغير، برقم (١١٧٣٠).

(٢) الشفا (١/ ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨)، ويراجع: مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ١٨٨)، فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٦١٣)، الخصائص الكبرى للسيوطي (١/ ١١٢)، سبل الهدى والرشاد (٩/ ٣٦٧).

صحيح، ولم يأمرها بغسل فمها»[١]. قال القاضي عياض: «وحديث المرأة صحيح، واسم هذه المرأة بركة، وقيل: أم أيمن، قال لها: «لن تشتكي وجع بطنك أبدًا»[٢].

وعن أمه قالت: ولدته نظيفًا ما به قذر[٣].

عن ابن عباس: أنه ﷺ نام ولم يتوضأ[٤]، قال عكرمة: لأنه كان محفوظًا.

يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحًا، ويضع يده على رأس الصبي فيُعْرَف من بين الصبيان بريح يده، وإذا سلك طريقًا يُعرَف من طيبه. وذكر إسحاق بن راهويه: أن رائحته بلا طيب ﷺ، إلى هنا من «الشفاء»[٥].

---

(١) السيف المسلول (ص٤٦٨)، ويراجع: الشفا (١/ ٦٣، ٦٦)، الخصائص الكبرى (١/ ١٢١، ١٢٢)، المجموع شرح المهذب للنووي (١/ ٢٣٤)، ويقصد طهارة بوله ﷺ، وأبو جعفر الترمذي من كبار فقهاء الشافعية ممن قال بذلك.

(٢) الشفا (١/ ٦٥)، والحديث أخرجه بنحوه الحاكم برقم (٦٩١٢) وذكره الدارقطني في العلل برقم (٤١٠٦) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٦٧)، والدلائل برقم (٣٦٥)، ومعرفة الصحابة (٦/ ٣٤٦٦) وذكر السيوطي في الخصائص وعزاه للحسن بن سفيان في مسنده وأبي يعلى والحاكم والدارقطني وأبو نعيم عن أم أيمن قالت: (قام النبي ﷺ من الليل إلى فخارة في جانب البيت فبال فيها، فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها، فلما أصبح أخبرته فضحك، وقال: إنك لن تشتكي بطنك بعد يومك هذا أبدا) (١/ ١٢٢).

(٣) الطبقات الكبرى (١/ ٨٢)، ويراجع: شرف المصطفى (١/ ٣٥٨)، الشفا (١/ ٦٦)، الخصائص الكبرى (١/ ٧٩)، وسائل الوصول إلى شمائل الرسول للنبهاني (ص٢٧٧)، منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول (٣/ ١٢٩).

(٤) أخرج البخاري في صحيحه برقم (١٣٨) بسنده إلى ابن عباس قال: «نمت عند ميمونة والنبي ﷺ عندها تلك الليلة فتوضأ، ثم قام يصلي، فقمت على يساره، فأخذني فجعلني عن يمينه، فصلى ثلاث عشرة ركعة، ثم نام حتى نفخ، وكان إذا نام نفخ، ثم أتاه المؤذن، فخرج، فصلى ولم يتوضأ»، ومسلم برقم (٧٦٣).

(٥) الشفا (١/ ٦٥، ٦٦).

فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبًا بارئ النسم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم(١)

ﷺ وعلى آله وأصحابه، والحمد لله الذي جعل نسب رسوله خير الأنساب، كما جعل عقبه خير الأعقاب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب المنبر والمحراب، وعلى آله وأصحابه خير الآل وخير الأصحاب.

***

(١) بردة المديح= الكواكب الدرية في مدح خير البرية للبوصيري (ص٥)، شرح شيخ الإسلام إبراهيم الباجوري، ط: مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩١م.

دفع الشبه عن بعض الأحاديث والآيات والأخبار؛ بالأجوبة المنقولة عن العلماء الكبار لتطمئن قلوب المؤمنين

وينشرح بكمال الانشراح صدور المسلمين، وإن كان التخلية تقدَّم على التحلية، لكن لتوقف ما يذكر في الفصل الثاني على ما ذكر في الفصل الأول، اختير هذا الترتيب، وعلى الله توكلي في كل الأمور، فإني معترف بالعجز والتقصير، وهو الملهم للصواب، والمتفضل الكريم الوهاب.

إن الأقوال المنقولة من الأمة في آباء الرسول عليه الصلاة والسلام ثلاثة:

[الأول]: أنهم كانوا مسلمين على ملة إبراهيم، ومعصومين عن الشرك وسائر أفعال الجاهلية، وهو مذهب أهل البيت والعترة الطاهرة المنزَّل في حقهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] ظاهره يدل على حصر إرادة إزالة الرجس في أهل البيت، وهو غير مراد، فيحمل على زوال الرجس حملًا للسبب على المسبب، وإذا زال كل رجس منهم لزم عصمتهم من الخطأ[١]. قال أبو بكر الوراق: «الرجس: الأهواء والبدع والضلالات، ويطهركم من دنس الدنيا والميل إليها»[٢]. وقال رسول الله ﷺ: «**إني تارك فيكم الثقلين؛ إن تمسكتموهما فلن تضلوا: كتاب الله وعترتي**»[٣]. وفي بعض الروايات: (وسنتي)[٤]

---

(١) قد يفهم من عبارة المصنف القول بعصمة أهل البيت، ولكن فسرها بما جاء بعد من قول أبي بكر الوراق، فلعله يقصد عدم تعمد الأهواء والبدع والضلالات.

(٢) يراجع: تفسير السلمي = حقائق التفسير (٢/ ١٤٥)، لطائف الإشارات (٣/ ١٦٠)، تفسير السمعاني (٤/ ٢٨٢)، البحر المحيط (٨/ ٤٧٨).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٣٧٨٦)، وقال: «حسن غريب»، والطبراني في الصغير؛ برقم (٣٦٧).

(٤) أخرجه البزار في مسنده برقم (٨٩٩٣)، والدارقطني في السنن برقم (٤٦٠٦)، والحاكم برقم (٣١٩)،

لأن السنة تعلم منهم، لأنهم مهبط الوحي، والنبي ﷺ منهم وفيهم، وهم أعلم بأفعاله وأقواله. قال ابن عطية في تفسيره: روي عنه ﷺ في آخر خطبة خطبها وهو مريض قال: «**أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين**» إلى آخر الحديث[1]. قال الإمام أحمد بن حنبل: يُروَى في الحديث: «إن الله يمن على أهل دينه كل مئة سنة برجل من أهل بيتي يبين لهم دينهم»[2].

قال المعين في تفسير سورة قريش: قال النبي ﷺ: «**الأئمة من قريش**»[3] لأن طيب العنصر يؤدي إلى محاسن الأخلاق، وحسن الأخلاق يؤدي إلى صفاء القلب، وصفاء القلب عون على إدراك العلوم، أراد من قريش الأئمة السادة لا غيرهم، إنما الاقتداء بالأئمة وبهذا كان عمر رضي الله عنه يأخذ بقول علي رضي الله عنه عند مشورة الأصحاب ويقول: «أقرؤنا أُبيٌّ، وأقضانا علي»[4].

وكان علي فارهًا في علم الحساب. جاء نصراني إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وقال: في كتابكم: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥] وفي كتابنا ثلاثمئة سنين، وقال: علي «كتابنا على حساب العرب وكتابكم على حساب اليونانيين» فتعجب

والبيهقي في السنن برقم (٢٠٣٣٧).

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٣٦)، ونص الحديث: «أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين، إنه لن تعمى أبصاركم، ولن تضل قلوبكم، ولن تزل أقدامكم، ولن تقصر أيديكم، كتاب الله سبب بينكم وبينه، طرفه بيده، وطرفه بأيديكم، فاعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، ألا وعترتي، وأهل بيتي، هو الثقل الآخر، فلا تسبوهم فتهلكوا».

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ٩٧)، وعزاه للإمام أحمد بن حنبل.

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٢٣٠٨)، وقال محققه: «حديث صحيح بطرقه وشواهده»، والنسائي في السنن الكبرى، برقم (٥٩٠٩)، والطبراني برقم (٧٢٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٤٤٨١).

النصراني وآمن. ولهذا قيل: إن عليًّا كرم الله وجهه كان معجزة من معجزاته؛ لأنه مع تبحره في العلوم وشجاعته في الحروب كان منقادًا ومطيعًا له ومقرًّا بنبوته[١]، وهذا كما قيل: كان أبو حنيفة معجزة من معجزاته، كذا في «شرح الأصل» بخواهر زاده[٢].

قال الإمام في «الكبير»: القول الثالث: الكوثر أولاده، قالوا لأن هذه السورة إنما أُنزِلَت ردًا لمن عابه بعدم الأولاد؛ فالمعنى: أنه يعطيه نسلًا على مرور الزمان، فانظر كم قُتِلَ من أهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كيف كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا والنفس الزكية وأمثالهم. ولهذا رجع الإمام الرازي إلى مذهبهم في «أسرار التنزيل»[٣]، واختار الشيخ جلال الدين هذا المذهب وألّف عدة مؤلفات في نصرة هذا القول شكر الله سعيه وأعلى درجته.

الثاني: أنهم كانوا على مذهب الجاهلية، لكن الله تعالى أحيا أباه وأمه وأسلما، وهو قول القرطبي ومن تبعه، على مذهب هؤلاء التوفيق بين الآيات والأحاديث المتخالفة الظواهر بحمل بعضها على زمان الكفر.

الثالث: قول الأكثرين وهم ينكرون حديث الإحياء ويحكمون بالكفر بالآيات والأحاديث الموهمة بالكفر، لعدم التأمل كما قال الإمام في «الكبير»: «وأما أصحابنا

---

(١) شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل للمرعشي (١/ ٢).

(٢) محمد بن الحسين بن محمد، أبو بكر البخاري، المعروف ببكر خواهر زاده، أو خواهر زاده: فقيه، كان شيخ الأحناف فيما وراء النهر، مولده ووفاته في بخارى، له «المبسوط» و «المختصر» و «التجنيس» في الفقه، وهو كما في «الإعلام» لابن قاضي شهبة، بخطهـ): ابن أخت القاضي أبي ثابت محمد بن أحمد البخاري، ولهذا قيل له بالعجمي خواهر زاده، وتفسيره: ابن أخت عالم. الأعلام (٦/ ١٠٠)، ويراجع: الجواهر المضية (٢/ ٤٩)، تاج التراجم لابن قطلوبغا (ص٢٥٩).

(٣) يراجع: تفسير الرازي (٣٢/ ٣١٣).

فقد زعموا أن والد رسول ﷺ كان كافرًا»(١)، وينكرون الإحياء والإسلام، حتى قال بعضهم بأن حديث الإحياء موضوع، وقد أثبت الشيخ جلال الدين حديث الإحياء بطرق كثيرة، وردَّ أقوال المنكرين في مؤلفاته بطريق أصول علم الحديث، ولا يحتاج إلى ذكر تلك المباحث.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩] قرأ نافع ويعقوب بفتح التاء، وجزم الإمام على صيغة النهي(٢).

وقيل: سبب نزول الآية: قال رسول الله ﷺ: «**ليت شعري ما فعل أبواي فنزل**»(٣).

قال الإمام في «الكبير»: «فيه وجهان:

الأول: روي أنه ﷺ قال: «**ليت شعري ما فعل أبواي**» فنُهِيَ عن السؤال عن أحوال الكفرة، وهذه الرواية بعيدة، لأنه ﷺ كان عالمًا بأن الكافر يُعذَّب، فمع هذا العلم كيف يمكن أن يقول: ليت شعري ما فعل أبواي؟

الثاني: معنى هذا النهي تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب، كما إذا سألت عن إنسان واقع في بلية فيُقَال لك: لا تسأل عنه»(٤).

قال جلال الدين السيوطي: وأما حديث: «ليت شعري ما فعل أبواي» فإنه معضل

---

(١) تفسير الرازي (١٣/ ٣٣).

(٢) تفسير الرازي (٤/ ٢٨)، ويراجع: السبعة في القراءات (ص١٦٩)، جامع البيان في القراءات السبع (٢/ ٨٨٤)، النشر (٢/ ٢٢١).

(٣) أسباب النزول للواحدي (ص٣٩)، ويراجع: العجاب في بيان الأسباب (١/ ٣٦٨)، لباب النقول (ص١٨).

(٤) تفسير الرازي (٤/ ٢٨، ٢٩).

ضعيف لا تقوم به حجة، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

اختلف المفسرون في سبب نزول هذه: قيل: في حق أبي طالب، وقيل: في حق آمنة. قال صاحب «الكشاف»: «وهذا أصح لأن موت أبي طالب كان قبل الهجرة، وهذا آخر ما نزل بالمدينة»(١).

قال الواحدي: «وقد استبعده الحسين بن الفضل، لأن هذه السورة من آخر القرآن نزولًا، ووفاة أبي طالب كانت بمكة في أول الإسلام»(٢).

قال الإمام في «الكبير»: «أقول: هذا الاستبعاد مستبعد؛ فأي بأس أن يقال: إنه ﷺ يستغفر لأبي طالب في هذا الوقت إلى وقت نزول هذه الآية». انتهى قول الإمام(٣).

أقول: قال الإمام في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]: «إنه ﷺ استأذن جبريل عليه السلام في أن يدعو الله تعالى في ذلك، أي تحويل القبلة، فأخبره جبريل بأن الله تعالى قد أذن لك في ذلك الدعاء، وذلك لأن الأنبياء لا يسألون الله شيئًا إلا بإذن منه، كي لا يسألوا ما لا صلاح فيه فلا يجابون إليه، فيفضي ذلك إلى تحقير شأنهم، فلما أذن الله تعالى في الدعاء، عُلِمَ أنه يُستجَاب إليه، فكان يقلب

---

(١) الكشاف (٢/ ٣١٦)، وفيه «وقيل: لما افتتح مكة سأل: أي أبويه أحدث به عهدًا؟ فقيل: أمك آمنة، فزار قبرها بالأبواء، ثم قام مستعبرًا فقال: إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي، فنزلت. وهذا أصح لأنّ موت أبى طالب كان قبل الهجرة، وهذا آخر ما نزل بالمدينة».

(٢) التفسير البسيط للواحدي (١١/ ٧٤)، يراجع: تفسير الرازي (١٦/ ١٥٧).

(٣) تفسير الرازي (١٦/ ١٥٧)، اللباب في علوم الكتاب (١٠/ ٢٢١).

وجهه في السماء ينتظر الوحي»[١].

قال الإمام في «الكبير»: «أجمع المتكلمون على أن دعاء الأنبياء لا يرد»[٢].

قال عمر النسفي في تفسير هذه الآية: «وقال الإمام أبو منصور رحمه الله تعالى: لا يصح حديث استغفار النبي ﷺ لعمه وأمه وقد علم بكفرهما وموتهما عليه، ولا يخفى عليه أن الله لا يغفر للمشرك أن يشرك، إذ في العقل والحكم تعذيب الكافر أبدًا وأن لا يغفر له، إذ في ذلك تسوية بين الولي والعدو وهو ليس بحكمة، وجائز أن يكون استغفر للمنافقين قبل أن يتبين له نفاقهم، فلما تبين له ذلك كف عنه، والاستغفار للمشرك حال حياته يجوز على معنى سؤال الإسلام له والمغفرة بسببه؛ فأما مع قيام الكفر فلا.

أقول: فيه رد لكلام صاحب «الكشاف» فتأمل.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]: لا تقدر أن تدخله في الإسلام، ولكن الله يهدي من يشاء فيدخله في الإسلام، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ بالمستعدين لذلك» كذا في القاضي[٣].

وفي الكشاف: «قال الزجاج: أجمع المسلمون أنها نزلت في أبي طالب، وذلك أن أبا طالب قال عند موته: يا معشر بني هاشم، أطيعوا محمدًا وصدِّقوه، تفلحوا وترشدوا، فقال النبي ﷺ: «**يا عمي، تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك؟**» قال: فما تريد يا ابن أخي؟ قال: «**أريد منك كلمة واحدة، فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول:**

---

(١) تفسير الرازي (٤/ ٩٥).

(٢) يراجع: تفسير الرازي (٨/ ٢٠٩).

(٣) التيسير في التفسير (١١/ ٤٤٨)، ويراجع: تفسير البيضاوي (٤/ ١٨١).

لا إله إلا الله، أشهد لك بها عند الله»، قال يا ابن أخي: لقد علمتَ أنك لصادق، ولكن أكره أن يقال: جزع عند الموت، ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتُها ولأقررتُ بها عينيك عند الفراق، لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك، ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف»[١].

أقول: يفهم منه أن أبا طالب صدَّق وأقرَّ، لكن لم يتدين ولم يسلم، كما يشعر به عبارة القاضي، وهو لا ينافي الإيمان، وعدم الاهتداء لا يوجب الكفر، بل يشعر بالإيمان.

في البخاري: قال رسول الله ﷺ: «**أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنك**»[٢]. والاستغفار للكافر بعد علم الكفر غير مُسلَّم، كما قال شيخنا أبو منصور. وفي البخاري عن ابن عباس: «أهون الناس عذابًا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه»[٣].

قال القاضي عياض في شرح حديث مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها: قالت: «يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ قال رسول الله ﷺ: «**لا ينفعه، لأنه لم يقل يومًا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»[٤].

---

(١) الكشاف (٣/ ٤٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٣٦٠).

(٣) أخرج البخاري بسنده إلى أبي سعيد الخدري ﷺ، أنه سمع النبي ﷺ، وذكر عنده عمه، فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه**». برقم (٣٨٨٥).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢١٤).

انعقد الإجماع على أن الكفار لا ينفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا يخفف عذابهم، ولكن بعضهم يكون أشد عذابًا من بعض بحسب جرائمهم[1]، قال الله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ [آل عمران: ٨٨].

عن العباس أنه قال: «يا رسول الله، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل ينفعه ذلك؟ قال: نعم، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[2].

قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] والقول بأن تلك الشفاعة مختصة به منافٍ لعموم الآية، ولا دليل على التخصيص، والخطبة التي أنشأها أبو طالب في نكاح خديجة للرسول ﷺ أقوى شاهد في تصديقه للرسول ﷺ قبل البعثة.

ومن أبياته:

[بِكَفَّيْ فَتىً مِثْلُ الشِّهابِ سَمَيْدَعِ][3] أَخِي ثِقَة حامِي الحَقيقَةِ باسِلِ

وَمـا تَـرْكُ قَـوم لا أبا لـكَ سَيِّدًا [يحوطُ الذِّمارَ غَيْرَ ذَرْب مُواكِلِ][4]

وأبـيض يـستسقى الـغمام بـوجـهه ثـمال اليـتامى عصمة للأرامل

حـكـيـم رشـيـد عـادل غـيـر طـائش يـوالي إليها ليس بغافل

أعبـد مـناف أنـتـم خـير مـلـة فـلا تـشركوا في أمركم غير واغل

أعـوذ بـرب الـنـاس مـن كـل طاعن عليـه بسوء أو بملحق باطـل

كـذبـتم وبـيـت الله نُـبْزى محمدًا ولـما نـطـاعـن حولـه ونـناضل

(١) يراجع: إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٥٩٧)، و شرح النووي على مسلم (٣/ ٨٧)، فتح الباري (٩/ ١٤٥)، عمدة القاري (٢٠/ ٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٣٨٨٣)، ومسلم في صحيحه، برقم (٢٠٩).

(٣) ساقط من الأصل.

(٤) ساقط من الأصل.

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ومنه:

إذا اجتمعت يومًا قريش بمفخر فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت أنساب عبد مناف بنو هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يومًا فإن محمدًا هو المصطفى من سرها وكريمها[١]

قال جلال الدين السيوطي: قال الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس في سيرته: كذا في رواية ابن إسحاق: «إن أبا طالب أسلم عند الموت»[٢]، ورأيت في بعض التفاسير أن عباسًا روى إيمان أبي طالب.

قال القرطبي في «التذكرة»: «وقد سمعت أن الله أحيا له عمه أبا طالب وآمن به»[٣].

قال الواحدي: «وأما كفر المعاندة فهو أن يعرف بقلبه ويقر بلسانه ولا يقبل ولا يتدين ككفر أبي طالب حيث يقول:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينًا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحًا بذاك مبينا»[٤]

قال عمر النسفي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]: قال ابن عباس: كان النبي ﷺ حريصًا على إسلامه لتكفله في صباه، وذبه عنه في

---

(١) ديوان أبي طالب للمهزومي (ص٧١)، وأسنى المطالب (ص ١١)، وسيرة ابن هشام (١/ ٢٧٥)، وطبقات ابن سعد (١/ ١٨٦)، وتاريخ الطبري (٢/ ٢١٨)، والروض الأنف (١/ ١٧١)، والبداية والنهاية (٢/ ١٢٦).

(٢) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (١/ ١٥٢)، ويراجع: سيرة ابن إسحاق (ص٢٣٧).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص١٤٠).

(٤) التفسير البسيط للواحدي (٢/ ٩١)، ويراجع: الوسيط في تفسير القرآن المجيد (١/ ٨٤)، أسباب النزول للواحدي (ص٢١٥).

كبره، حتى قال أبو طالب لقريش حين هموا بقتله:

كذبتم وبيت الله لا تقتلونه ولما نطاعن حوله ونقاتل
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وكان يقول لقريش: صدقوا ابن أخي وآمنوا به، ترشدوا وتفلحوا. وقال النبي ﷺ: تأمرهم بالنصيحة وتتركها لنفسك! وحضره عند موته، فقال أبو طالب: ما تريد يا ابن أخي؟ قال: «**أريد أن تشهد بشهادة الحق أشفع لك بها عند الله**» وكان عنده أبو جهل وجماعة من كفار قريش، فقالوا: يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقصي؟ وقام النبي ﷺ «**من عنده باكيًا فنزلت هذه الآية**»[1].

قال الإمام في «الكبير»: «هذه الآية لا دلالة في ظاهرها على كفر أبي طالب»[2].

وقال في تفسير: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة:٣]: «فإن قال قائل: هاهنا صورتان:

الصورة الأولى: من عرف الله تعالى بالدليل والبرهان، ولما تم العرفان مات ولم يجد من الزمان والوقت ما يتلفظ فيه بكلمة الشهادة. فههنا إن حكمتم أنه مؤمن، فقد حكمتم بأن الإقرار اللساني غير معتبر في تحقيق الإيمان، وهو خرق للإجماع، وإن حكمتم بأنه غير مؤمن فهو باطل، لقوله عليه السلام: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**»[3]، وهذا قلب طافح بالإيمان، فكيف لا يكون مؤمنًا؟

الصورة الثانية: من عرف الله تعالى بالدليل ووجد من الوقت ما أمكنه أن يتلفظ بكلمة الشهادة، ولكنه لم يتلفظ بها، فإن قلتم: إنه مؤمن فهو خرق للإجماع، وإن قلتم ليس بمؤمن فهو باطل، لقوله عليه السلام: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من**

(١) التيسير في التفسير للنسفي (١١/ ٤٤٨، ٤٤٩).

(٢) تفسير الرازي (٢٥/ ٥).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه برقم (٢٥٩٨)، وقال: «حسن صحيح».

الإيمان»، ولا ينتفي الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق.

والجواب: أن حجة الإسلام الإمام الغزالي منع من هذا الإجماع في الصورتين، وحكم بكونهما مؤمنين، وأن الامتناع عن النطق يجري مجرى المعاصي التي يؤتى بها مع الإيمان»[١].

وقال الإمام في محل آخر من «الكبير»: «من عرف الله بدليله ثم إنه لم يأت بالإقرار، فهذا محل البحث، وميل الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أنه مؤمن، لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان**»، وهذا الرجل قلبه مملوء من نور الإيمان، فكيف لا يخرج من النار؟»[٢]. وقد ثبت الإقرار من أبي طالب على ما ذكر فكيف يحكم بكفره؟

قال القرطبي: ذكر الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية أن الحديث في إيمان أبيه موضوع يرده القرآن العظيم والإجماع، قال الله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨]. وقال فيمن مات وهو كافر: فمن كان كافرًا لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة؛ بل لو آمن عند معاينة العذاب لم ينفع، فكيف بعد الإعادة؟ وفي التفسير أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ليت «**شعري ما فعل أبواي**» فنزل: ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩][٣].

قال القرطبي: وفيما ذكره ابن دحية نظر، وذلك أن فضائل النبي ﷺ وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع إلى حين مماته، فيكون هذا مما فضَّله الله تعالى وأكرمه به.

وليس إحياؤهما وإيمانهما بممتنع عقلًا ولا شرعًا، فقد ورد في الكتاب إحياء قتيل

(١) تفسير الفخر الرازي (٢/ ٢٧٣).

(٢) تفسير الرازي (٢/ ٣٠٠).

(٣) أسباب النزول للواحدي (ص٣٩)، ويراجع: العجاب لابن حجر (١/ ٣٦٩) وضعفه، لباب النقول للسيوطي (ص١٨).

بني إسرائيل وإخباره بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى، وكذلك نبينا عليه الصلاة والسلام أحيا الله تعالى على يديه جماعة من الموتى، وإذا ثبت هذا فما يمنع من إيمانهما بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته؟ مع ما ورد من الخبر في ذلك، ويكون ذلك من خواصه.

وقوله: «ومن مات كافرًا» إلى آخر كلامه، مردود بما روي في الخبر أن الله تعالى رد الشمس على نبيه عليه السلام بعد مغيبها حتى صلى، على ما ذكره الطحاوي وقال: إنه حديث ثابت[١]. فلو لم يكن رجوع الشمس نافعًا، وأنه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه، فكذلك يكون إحياء أبوي النبي ﷺ نافعًا لإيمانهما وتصديقهما بالنبي ﷺ.

وقد قبل الله إيمان قوم يونس وتوبتهم مع تلبسهم بالعذاب كما هو أحد الأقوال وهو ظاهر القرآن.

وأما الجواب عن الآية فيكون ذلك قبل إيمانهما وكونهما في العذاب[٢].

قال الشيخ جلال الدين: «قلتُ: استدلاله على عدم تجدد الوقت في غاية الحسن، ولهذا حكم بكون الصلاة أداءً وإلا لم يكن برجوعها فائدة، إذا كان يصح قضاء العصر بعد المغرب».

قال: وقد ظفرتُ باستدلال أوضح منه، وهو أن أصحاب الكهف يُبْعثَون في آخر الزمان ويحجون ويكونون من هذه الأمة تشريفًا لهم بذلك، وورد عن ابن عباس مرفوعًا: «أصحاب الكهف أعوان المهدي»[٣]، فقد اعتد بما يفعله أصحاب الكهف

---

(١) يراجع: شرح مشكل الآثار للإمام الطحاوي (٣/ ٩٦).

(٢) يراجع: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ١٤٠ - ١٤٢).

(٣) ذكره ابن حجر في الفتح، وعزاه لابن مردويه في التفسير، وقال: «وسنده ضعيف» (٦/ ٥٠٣)،

بعد إحيائهم من الموت، ولا بدع في أن يكون الله تعالى كتب لأبوي النبي عمرًا ثم قبضهما قبل استيفائه، ثم أعادهما لاستيفاء تلك اللحظة الباقية، وآمنا به فيها، فيعتد به، ويكون تأخير تلك البقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الإيمان [من جملة ما أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ، كما أن تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما] أكرموا به، ليحوزوا شرف الدخول في هذه الأمة[١].

وقال جلال الدين: «ثم إن تعليل ابن دحية للحديث بمخالفة ظاهر القرآن ليس على طريقة أهل الحديث، لأن الحفاظ إنما يعللون الحديث من طريق الإسناد الذي هو المرقاة إليه، وهو علل من حيثُ اللفظُ، أخرج أحمد عن أبي رزين العقيلي قال: قلتُ: يا رسول الله، أين أمي؟ قال: أمك في النار. قلت: فأين من مضى من أهلك؟ قال: أما ترضى أن تكون أمك مع أمي»[٢].

قال جلال الدين: «فإن قلتَ: قررتَ أنها كانت موحدة في حياتها ومتحنفة، وهذا الحديث وحديث أنه استأذن في الاستغفار لها فلم يؤذن له منافٍ لما ذكرت فما تقول؛ فإن التعذيب ينفي الموت على التوحيد، قلتُ: أحسن ما يقرر في الجواب أن يُقال: إن

والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٧٩)، والصالحي في سبل الهدى والرشاد (٢/ ١٢٤)، والزرقاني في شرح المواهب (١/ ٣٢٢).

(١) التعظيم والمنة للسيوطي (ص١١)، وما بين المعقوفتين سقط من الأصل، واستكمل من نص السيوطي.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (١٦١٨٩)، وقال محققه: «إسناده ضعيف، وكيع بن عدس سلف الكلام عليه في الرواية برقم (١٦١٨٢)، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح»، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم (٦٣٨)، والطبراني برقم (٤٧١) من طريق محمد بن جعفر، بهذا الإسناد، وأخرجه الطيالسي في مسنده برقم (١١٨٦) عن شعبة به، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» برقم (٤٥٦)، وقال: «رواه أحمد والطبراني في «الكبير»، ورجاله ثقات».

قوله: «أمي مع أمكما» صدر قبل أن يوحى إليه أنها من أهل الجنة، كما قال ﷺ في تبع: «**لا أدري تبعًا أنبيًّا كان أو لا؟**» أخرجه الحاكم وابن شاهين من حديث أبي هريرة[1]، وقال ﷺ بعد أن أوحي إليه: «**لا تسبوا تبعًا، فإنه كان قد أسلم**» أخرجه ابن شاهين من حديث سهل بن سعد وابن عباس[2]، فكان ﷺ لم يوحَ إليه في شأنها شيء، ولم يبلغه القول الذي قالته عند موتها ولا تذكَّره؛ إذ كان في موتها ابن خمس سنين، فأطلق القول بأنها مع أمهما جريًا على قاعدة أهل الجاهلية، ثم أوحي إليه أمرها بعد ذلك. ويؤيد ذلك أنه قال في آخر الحديث: «ما سألتهما ربي» فهذا يدل على أنه لم يكن بعد وقت بينه وبين ربه مراجعة في أمرهما، ثم وقع بعد ذلك.

وأما حديث عدم الإذن في الاستغفار فلا يلزم منه الكفر، بدليل أنه ﷺ كان ممنوعًا في أول الإسلام من الصلاة على المديون وهو من المسلمين، وأم النبي ﷺ مع كونها متحنفة كانت محبوسة في البرزخ عن الجنة لأمور أخرى غير الكفر، ولذلك لم يؤذن له إلى أن تكمل الشريعة، ولذلك تأخر إحياؤهما إلى حجة الوداع، إذ يجوز أن تكون موحدة ولم يبلغها شأن البعث والنشور». هذا كلام السيوطي[3].

أخرج البزار في مسنده والطبراني في «المعجم الكبير» بسند رجاله رجال الصحيح عن سعد بن أبي وقاص أن أعرابيًّا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «**في النار**»، قال: أين أبوك؟ قال: «**حيثما مررتَ بقبر كافر، فبشره بالنار**» هذا حديث

---

(١) أخرجه الحاكم، برقم (١٠٤) وقال: «صحيح على شرط الشيخين، ولا أعلم له علة ولم يخرجاه»، وابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه برقم (٥٦٧).

(٢) ناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين (ص٤٩١، ٤٩٣).

(٣) ذكره السيوطي في التعظيم والمنة في أن أبوي الرسول في الجنة (٢٧، ٢٨)، ويراجع: شرح المواهب للزرقاني (١/ ٣٣٥).

صحيح[١]. كان السائل أعرابيًا وهو مظنة خشية الفتنة والردة، وفي الحديث إيهام وتورية، ولم يصرِّح بأن الأب الشريف في النار، بل أورد جوابًا موهمًا تطييبًا لقلبه، ولم يفصح بحقيقة الحال في مخالفة أبيه لأبيه في المحل الذي فيه خشية ارتداده، إذ عادة الأعراب غلظة القلب والجفاء.

وأما حديث مسلم: قال محمد بن إسحاق بن خزيمة: «ما رأيتُ تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري»، وكان يقول: «حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث»[٢]. وقال البخاري: «أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومئتي ألف غير صحيح»[٣]. وعدم ذكر هذا الحديث دليل على عدم صحته عنده.

قال جلال الدين: « وهذا الحديث تفرد به مسلم عن البخاري، وفي إفراد مسلم أحاديث تكلم فيها يوشك أن يكون هذا منها. وقد وُصِفَت أحاديث كثيرة في مسلم بأنها منكرة» ثم قال: «والذي عنده أن لفظ: «أبي وأباك في النار» ليست مروية باللفظ، بل يروي الراوي بالمعنى الذي توهم فيما قاله بطريق التورية في إسناده وألفاظه، وكذلك: «أمي مع أمكما» وأراد بذلك المعية في البرزخ، أو عبر بذلك إيهامًا وتورية تطييبًا لقلبه»[٤].

---

(١) أخرجه البزار في مسنده برقم (١٠٨٩) والطبراني برقم (٣٢٦)، وذكره الهيثمي في المجمع وقال: «رواه البزار والطبراني، وزاد: فأسلم الأعرابي، فقال: «لقد كلفني رسول الله ﷺ بعناء، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار». «ورجاله رجال الصحيح» برقم (٤٦١).

(٢) تاريخ بغداد (٢/ ١٨)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٤/ ٤٥٤)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٠)، تهذيب التهذيب (٩/ ٥٠).

(٣) تاريخ بغداد (٢/ ٢٥)، تاريخ الإسلام للذهبي (١٩/ ٢٤٥)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٦٦).

(٤) التعظيم والمنة للسيوطي (٤٧ص).

وقال: فيه علتان من حيث الإسناد:

أما الأول: فثابت، وإن كان ثقة ذكره ابن عدي في كامله من الضعفاء، وقال: «إنه وقع في أحاديثه نكارة»، وأورده الذهبي في «الميزان»[١].

وأما الثاني: فحماد بن سلمة وإن كان عالمًا عابدًا فقد تكلم جماعة فيه، وفي رواية: «وسكت البخاري عنه، ولم يُخَرِّج له شيئًا في صحيحه»[٢]. وقال الذهبي: «حماد ثقة، وله أوهام، وله مناكير كثيرة، وكان لا يحفظ، والمناكير في رواية حماد كثيرة»[٣].

قال الإمام ابن فورك في «شرح مشكلات الحديث» في الجواب عن بعض الأحاديث المشكلة: «إن الحديث ضعيف ذكره عن حماد عن ثابت، ولم يروه غيره عنه من أصحابه، وقال بعضهم: إن حمادًا كانت له خرجة إلى عبادان، وابن أبي العوجاء الزنديق[٤] أدخل على أصوله ألفاظًا وأحاديث احتملها في آخر عمره، فرواها بغفلة ظهرت فيه».

---

(١) قال ابن عدي في الكامل: «وما رأيت في حديثه من النكرة فليس ذاك منه إنما هو من الراوي عنه؛ لأنه روى عنه جماعة ضعفاء مجهولون، وأما هو في نفسه إذا روى عمن فوقه من مشايخه فهو مستقيم الحديث ثقة» (٢/ ٣٠٨)، قال الذهبي: «تناكر ابن عدي بذكره في الكامل، وحديثه عن ابن عمر مخرج في صحيح مسلم... قلت: وثابت ثابت كاسمه، ولولا ذكر ابن عدي له ما ذكرته» (١/ ٣٦٢).

(٢) التعظيم والمنة (ص٤٧)، ويراجع: ميزان الاعتدال (١/ ٥٩٠)، وما بعدها، وتهذيب التهذيب (٣/ ١١) والتقريب (ص١٧٨) ترجمة رقم (١٤٩٩)، والكواكب النيرات (ص٤٦٠)، أثر علل الحديث: (٢٠ - ٢١).

(٣) التعظيم والمنة (ص٤٧)، ويراجع: ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٥٩٠) وما بعدها.

(٤) قال الإمام الذهبي: «عبد الكريم بن أبي العوجاء، خال معن بن زائدة زنديق مغتر، قال أبو أحمد بن عدي: لما أخذ لتضرب عنقه قال: لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحلل الحرام، قتله محمد بن سليمان العباسي الأمير بالبصرة». ميزان الاعتدال (٢/ ٦٤٤).

وقال في أول كتابه: والقسم الآخر من هذه الأخبار ما اجتمع أهل النقل على سقوطه وجرح راويه، وإنما رووها ليبينوا كذب روايتها ويدلوا على بطلانها، وذلك نحو ما روى حماد عن أبي المهزم. هذه عبارة ابن فورك بحروفه[١].

قال السيوطي: العجب ممن يقطع بكون أبوي النبي ﷺ في النار ونحوها من الأحاديث ويلغي ما عارضها بالكلية، وللمسألة نظير صحح الناس فيها خلاف ذلك، وهي مسألة أطفال المشركين، فقد ورد في أحاديث كثيرة الجزم بأنهم في النار، وفي الأحاديث القليلة أنهم في الجنة، وصحح الجمهور هذا، منهم النووي، وقال: إنه المذهب المختار الذي صار إليه المحققون لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وإذا كان لا يُعذَّب البالغ لكونه لم تبلغه الدعوة فغيره أولى. وهذا كلام النووي[٢].

وذكر غيره أن أحاديث كونهم في النار منسوخة بأحاديث كونهم في الجنة، ويوضح النسخ ما أخرجه ابن عبد البر عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: «**هم من آبائهم**»، ثم سألت بعد ذلك فقال ﷺ: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**» ثم سألته بعدما استحكم الإسلام، فنزلت: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨] فقال: «**هم على الفطرة**»، أو قال: «**هم في الجنة**»[٣]. وكذا القول في الأحاديث التي وردت في أن أبوي النبي ﷺ في النار منسوخة إما بإحيائهما وإيمانهما، وإما بالوحي في أن أهل الفترة لا يُعذَّبون، وقد وردت الآيات والأحاديث

(١) يراجع: مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (ص٣٦٠).

(٢) يراجع: التعظيم والمنة (ص٣٣)، ويراجع: شرح النووي على صحيح مسلم (٩/ ١٠١)، سداد الدين وسداد الدين في إثبات النجاة والدرجات للوالدين للبرزنجي (ص٢٢٦).

(٣) الاستذكار لابن عبد البر (٣/ ١١٣).

في الهالك في الفترة. ولو كان المراد بها قبل البعثة أن لا يكون بعث رسول في الدنيا أصلًا، [فبعيد] لاستحالة وجود ذلك؛ إذ ما من فترة إلا قبلها نبي، وليس قبل آدم بشر والقرآن ناطق بذلك، قال الله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥] إلخ، وإذا لم يكن أهل الفترة هم الذين لم يبلغهم الدعوة فليت شعري من هم؟ واشتهرت لما بين عيسى ﷺ وبين النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩] فإذا كان الله تعالى أعذر إلى أهل الكتاب بأن بعث إليهم رسوله وبعد الفترة يبين لهم ما بدلوه من الأخبار وكتموه لئلا يحتجوا بقولهم: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾، هذا وهم أهل الكتاب عالمين بشريعة موسى وعيسى عليهما السلام في الجملة، غير أنهم تمسكوا بما لحقه التبديل، لكونهم قلدوا فيه أسلافهم، ولم يكونوا أهلًا لتمييز الحق من الباطل، فما ظنكم بالعرب الأميين ليسوا أهل الكتاب ولا يدرون بالكتاب، ولهذا استنكروا ما جاء به النبي ﷺ وتعجبوا منه، ونسبوه إلى أنه أتى بدين محدث لا يُعرَف، وقالوا: إن هذا لشيء عجيب، ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [ص: ٧]، وقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]. ولو كان عندهم علم بدعوة الأنبياء على ما هي عليه؛ لعرفوا أن دعوة النبي ﷺ من نمط دعوتهم، ولهذا أسلم كثير من العرب لما سمع من أهل الكتاب الشهادة له بالتصديق، وهذا حال العامة.

قال في «الملل والنحل»: «ومن العرب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، وينتظر النبوة، وكانت لهم سنن وشرائع»(١).

---

(١) الملل والنحل (٣/ ٨٦).

أقول: دلت الآيات والأحاديث على أن آباء النبي ﷺ على التوحيد، وكذا أهل بيته وأولاده قبل البعثة.

فإن قيل: إن آزر من أجداد النبي ﷺ وقد عبد الصنم، ولهذا قال الإمام في «الكبير» في ذكر قصة ابن نوح ﷺ: «**ووالد إبراهيم** عليه السلام **كان كافرًا بنص القرآن**»[١]؛ **قلت**: رجع الإمام عن هذا القول، وأثبت أن آزر لم يكن أبًا لإبراهيم عليه السلام، بل كان عمًّا له؛ كما بُيِّن في الفصل.

أجمع أهل التواريخ على أن اسم والد إبراهيم تارخ[٢]. قال صاحب «الكشاف»: «ذكر أهل التواريخ أن اسم أب إبراهيم عليه السلام بالسريانية «تارح» وكذا في التوراة»[٣].

قال الثعلبي: «إن اسم أب إبراهيم الذي سماه به أبوه «تارخ» ضبطه بعضهم بالحاء المهملة، وبعضهم بالخاء المعجمة، و «آزر» اسم صنم عند سعيد ين المسيب ومجاهد، وسمي به لوجهين:

أحدهما: أنه جعل نفسه مختصًا به وبعبادته، فكأنه جعله نفسه.

الثاني: أن يكون عابد آزر، وإنما ذهبا إلى هذا القول لكون اسم والد إبراهيم عليه السلام تارح، ولم ينقل له اسمان، أو اسم ولقب، كيعقوب وإسرائيل»[٤].

قال الواحدي في «الوسيط»: «قال الفراء والزجاج: ليس بين النسابين اختلاف في

---

(١) تفسير الرازي (١٧/ ٣٥٠)، في تفسير الرازي: (ووالد إبراهيم عليه السلام كان كافرا بنص القرآن، فكذلك هاهنا)، فلعل هذه الجملة سقطت من الناسخ سهوا، وبهذا يستقيم الكلام، ويراجع تفسير الرازي (١٣/ ٣١).

(٢) تفسير الرازي (١٣/ ٣١، ٣٢).

(٣) الكشاف (٢/ ٣٩)، ويراجع: تفسير أبي السعود (٣/ ١٥١).

(٤) تفسير الثعلبي (١٢/ ١١٨، ١١٩)، ويراجع: تفسير الكشاف (٢/ ٣٩)، تفسير الرازي (١٣/ ٣٢)،

أن اسم أب إبراهيم عليه السلام تارح، قال محمد بن إسحاق والعباس والضحاك: آزر اسم أب إبراهيم عليه السلام، وهو تارح»[١].

قال الإمام في «الكبير»: قال الزجاج: لا خلاف بين النسَّابين أن اسمه تارح، ومن الملاحدة من جعل هذا طعنًا في القرآن وقال: أليست أخطاء؟[٢].

وقال سليمان التيمي: هو سب وعيب، ومعناه في كلامهم: المعوج، وقيل: معناه الشيخ الهرم، وقيل: إن والد إبراهيم كان اسمه تارخ، وكان آزر عمًا له، والعم يطلق عليه لفظ الأب، كما حكى الله عن أولاد يعقوب: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، ومعلوم أن إسماعيل كان عمًا ليعقوب عليه السلام[٣]. وقال عليه السلام: «ردوا عليَّ أبي»[٤]، فكذا هاهنا[٥].

قال محيي السنة: «وكان إسماعيل عمًا له، والعرب تسمي العم أبًا، كما تسمي الخالة أُمًّا، قال عليه السلام: «[عم] الرجل صنو أبيه»[٦]، وقال في عمه العباس: «ردوا عليَّ أبي، فإني

تفسير ابن جزي (١/ ٢٦٦)، الدر المصون (٤/ ٦٦٩).

(١) التفسير الوسيط (٢/ ٢٨٨)، ويراجع: التفسير البسيط (٨/ ٢٣٥)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٢٦٥)، الكشاف (٢/ ٣٩).

(٢) تفسير الرازي (١٣/ ٣١).

(٣) يراجع: تفسير البغوي (٣/ ١٥٨)، الرازي (١٣/ ٣٢)، الدر المصون (٤/ ٦٩٥)، تفسير أبي السعود (٣/ ١٥١).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب المغازي، حديث فتح مكة (٧/ ٤٠٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٦/ ٢٩٨).

(٥) يراجع: تفسير الطبري (١١/ ٤٧٦)، تفسير العز بن عبد السلام (١/ ٤٤٥)، تفسير القرطبي (٧/ ٢٢)، تفسر ابن كثير (٣/ ٢٨٩).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٩٨٣).

أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود». وذلك أنهم قتلوه[١]»[٢].

قال صاحب «الكشاف»: «وجعل إسماعيل وهو عمه من جملة آبائه، لأنَّ العمَّ أب والخالة أمٌّ، لانخراطهما في سلك واحد، وهو الأخوة لا تفاوت بينهما. ومنه قوله ﷺ: «عمّ الرجل صنو أبيه» أي لا تفاوت بينهما، كما لا تفاوت بين صنوي النخلة.

وقال عليه الصلاة والسلام في العباس: «هذا بقية آبائي»[٣] وقال: «ردُّوا عليَّ أبي؛ فإني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود»[٤].

قال الإمام في «الكبير» في عدة مواضع: «إن الأب حقيقة في العم لا مجاز»[٥].

قال في «الكشاف» في قوله تعالى ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ [هود: ٤٢]: ذهب الحسن البصري إلى أنه ربيبه، قال قتادة: سألته فقال: والله ما كان ابنه، فقلتُ: إن الله تعالى حكى عنه ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود:٤٥] وأهل [الكتاب][٦] لا يختلفون في أنه كان ابنه، قال: فمن يأخذ دينه من أهل الكتاب[٧]؟!

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، برقم (٣٦٩٠٢).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، ط: دار طيبة (١/ ١٥٤، ١٥٥).

(٣) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة برقم (١٧٨١)، والطبراني برقم (١١١٠٧)، والأوسط برقم (٤٢٠٩)، والصغير برقم (٥٧٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه، برقم (٣٢٢١٢).

(٤) الكشاف (١/ ١٩٣).

(٥) تفسير الرازي (٤/ ٦٧).

(٦) سقط من الأصل.

(٧) تفسير الكشاف (٢/ ٣٦٩)، ويراجع: التفسير البسيط (١١/ ٤٣٤)، تفسير القرطبي (٩/ ٤٦)، البحر المحيط (٦/ ١٥٨).

ويعضده قراءة علي ﷺ «ابنها»[1]، والضمير لامرأته، واستدل الحسن بقوله: «من أهلي» ولم يقل: «مني»، وقال مجاهد: كان ابن امرأته، كذا في «التيسير»[2].

وقال أبو جعفر الباقر: كان ابن امرأته[3]، واستدلُّوا بقول نوح الطَّيْلاِ، ولذلك قال «من أهلي»، ولم يقل: «مني».

فإن قلتَ: ما تقول في حق آزر وقد عبد الصنم بنص القرآن، وقال إبراهيم في حقه: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦]، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤]؟ **قلتُ**: الكفر: عدم تصديق الرسول بما علم مجيؤه بالضرورة، وما جرى بين إبراهيم وآزر قبل البلوغ عند أكثر المفسرين، يقال: يوم ألقي في النار له ستة عشر سنة، وعلى تسليم كفره لم يثبت موته على الكفر.

قال الإمام في «الكبير»: قال آزر: إني مؤمن موحد وأخاف من نمرود في إظهاره، وقال إبراهيم: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾، والضلال لا يستلزم الكفر، وإن استلزم فلم يقل: من الضالين، بل قال: ﴿كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ (كان من الضالين) أي: في الماضي، كذا في التفسير، وقد دعا له إبراهيم بالمغفرة، ودعاء الأنبياء غير مردود، وخصوصًا في حق إبراهيم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤]، على قراءة أبي

---

(١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (١/ ٣٢٢)، ويراجع: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص٦٥).

(٢) التيسير في التفسير للنسفي (٨/ ٢١٠).

(٣) يراجع: تفسير الطبري (١٥/ ٣٤١)، تفسير الثعلبي (١٤/ ٣٧٥)، وعزاه له ابن كثير في التفسير (٤/ ٣٢٦).

حنيفة رحمه الله تعالى برفع إبراهيم[١]، ومن جملة كلماته «رب اغفر لأبي»، كما ذكر في «التيسير»[٢].

وبعد هذه الأدلة الحكم بالكفر مشكل، فإن أورد الأحاديث الدالة على تعذيبه، قلنا: التعذيب لا يستلزم الكفر، قال الله تعالى في حق أبي لهب: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣]. قال القاضي: «سفيان: يريد نار جهنم، وليس فيه ما يدل على أنه لا يؤمن، لجواز أن يكون صليها للفسق»[٣].

قال في «التيسير»: «وقال مجاهد: الصابئون بين المجوس واليهود، لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم، وهو قول الحسن البصري، وبه أخذ أبو يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقالوا: وهم يعبدون الكواكب فكانوا كعبدة الأصنام، وقال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ هم كأهل الكتاب في حل ذبائحهم ونكاح بناتهم، لأنهم يقرؤن الزبور ويعظمون الكواكب تعظيم القبلة لتوجههم إليها في صلاتهم»[٤].

فإن قلتَ: الكفر عدم الإيمان بما علم مجيءُ الرسول ﷺ به بعدم عبادة الأصنام، وشذ الزنا وليس من ذلك. قلتُ: جعل الشارع هذه الأفعال علامات ومعرِّفات للكفر، لا أنها في أنفسها كفر، فهذا هو الكلام الملخص في هذا الباب، والله أعلم. كذا

---

(١) يراجع: الكامل في القراءات العشر والأربعين (ص٤٩١)، مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (ص١٧)، شواذ القراءات للكرماني (ص٦٨)، البحر المحيط (١/ ٣٧٤).

(٢) التيسير في التفسير (٢/ ٤٣٤).

(٣) تفسير البيضاوي (٥/ ٣٤٥).

(٤) التيسير للنسفي (٢/ ٢٢٩)، ويراجع: تفسير الطبري (٢/ ١٤٦)، المحرر الوجيز (١/ ١٥٧)، تفسير الرازي (٣/ ٥٣٦)، الاختيار لتعليل المختار (٣/ ٨٨)، درر الحكام شرح غرر الأحكام (١/ ٣٣٣)، رد المحتار على الدر المختار (٣/ ٤٦)، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ (٢/ ١١٠).

قال الإمام في «الكبير» في أول سورة البقرة[١].

روى مسلم عن عمر قال: «لما كان يوم خيبر قالوا: فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا شهيد. وقال ﷺ: «**كلا إني رأيته في النار في بُرْدَةٍ غلَّها**»[٢]، فقال ﷺ: يا ابن الخطاب، اذهب فناد في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون»[٣].

المراد من المؤمنين: الكاملون في الإيمان، المتقون من الذنوب، والمراد من الدخول الدخول بلا عذاب. وفي الحديث دليل على أن من يُعذَّب في النار قد يدخلها قبل يوم القيامة، ولما فهم النبي ﷺ من قولهم: فلان شهيد أن روحه في الجنة قال ردعًا لزعمهم، لا لكونه غير مؤمن حقيقة.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه اتفق الصحيحان في الرواية عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**يا سعد، ارم فداك أبي وأمي، قال يوم أحد**»[٤]. قيل: كره بعض العلماء تفدية المسلم بأبويه المسلمين، قالوا: إنما فداه ﷺ بأبويه لأنهما كافرين[٥].

قال النووي: «الصحيح أنه جائز مطلقًا؛ لأنه ليس فيه حقيقة الفداء، وإنما هو تلطف في الكلام وإعلام بمحبته»[٦].

---

(١) يراجع: تفسير الرازي (٢/ ٢٨٠).

(٢)) الغلول: الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة. النهاية لابن الأثير، مادة غلل (٣/ ٣٨٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (١١٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٢٩٠٥)، ومسلم في صحيحه، برقم (٢٤١١).

(٥) هكذا في الأصل (٤٠ب)، والصحيح (لأنهما كافران).

(٦) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٨٤)، ويراجع: فتح الباري (٣/ ١١٥).

قال الزركشي في شرح البخاري: والتفدية من النبي ﷺ دعاء، وأدعيته مستجابة. وقيل: إنما فداه أبويه مما ماتا عليه[١]. وقال ابن الزملكاني[٢]: الحق كلمة التفدية نقلت بالعرف عن وضعها وصارت علامة على الرضا، فكأنه قال: ارم مرضيًا عنك. قال الشيخ ابن حجر: «المراد من التفدية لازمها، وهو الرضا، أي ارم مرضيًا عنك»[٣]، و«فداك أبي وأمي» كلمة يقولها العرب على الترحيب، أي: لو كان إلى الفداء سبيل لفديتك أبوي الذين هما يكبران عندي[٤].

وقيل: رمى سعد في ذلك اليوم ألف سهم، وما رمى من سهم إلا قال عنه: ارم يا سعد فداك أبي وأمي، وكان سعد جيد الرمي، وهو أول من رمى في سبيل الله.

وكما جمع ﷺ لسعد أبويه في التفدية جمعهما للزبير. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «ما سمعت رسول الله ﷺ جمع أبويه إلا لسعد بن مالك». يعني: ابن أبي وقاص، إذ اسم أبي وقاص مالك، ولا منافاة؛ لأن عليًا لم ينفِ سماع غيره.

---

(١) يراجع: أعلام الحديث شرح صحيح البخاري للخطابي (٢/ ١٣٩٧)، الإفصاح عن معاني الصحاح للوزير ابن هبيرة (١/ ٢٥٢).

(٢) محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري، كمال الدين، المعروف بابن الزملكاني: فقيه، انتهت إليه رياسة الشافعية في عصره. ولد وتعلم بدمشق. وتصدر للتدريس والإفتاء، وولي نظر ديوان (الأفرم) ونظر الخزانة ووكالة بيت المال، وكتب في ديوان الإنشاء ثم ولي القضاء في حلب فأقام سنتين، وطلب لقضاء مصر، فقصدها، فتوفي في بلبيس ودفن بالقاهرة. له رسالة في الرد على ابن تيمية في مسألتي (الطلاق والزيارة) وتعليقات على (المنهاج) للنووي، وكتاب في (التاريخ)، وغيرها، توفي سنة ٧٢٧هـ. الأعلام (٦/ ٢٨٤)، ويراجع: وطبقات السبكي (٥/ ٢٥١ - ٢٥٩)، والبداية والنهاية (١٤/ ١٣١)، وحسن المحاضرة (١/ ١٧٦)، والدرر الكامنة (٤/ ٧٤).

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٥/ ٩٦).

(٤) يراجع: شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١٨٤)، فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي (٣/ ٢١٠)، زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم (٣/ ٣١٠).

عن سعد بن أبي وقاص قال: «رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين، عليهما ثياب بيض ما رأيت مثلهما قبل ولا بعد»[1]، يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام.

أقول: قد تبين لك مما ذكر أنه لا دليل في ذلك الحديث على الكفر في أبوي النبي ﷺ، ولا يصدر ذلك القول منهم.

قال في «المجموع»[2]: وأجازوا أنكحة الكفار، قال الشارح: وقال مالك: لا يجوز لأن في نكاحهم شروط الجواز منتفية، ولنا قوله ﷺ: **«إنما ولدت من نكاح لا من سفاح»**، ولا صحة عندهم لما قال[3]. كذا أقول: قال محيي السنة في تفسير آخر سورة التوبة: «روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح كنكاح الإسلام»**[4]»[5]. وقال جعفر بن محمد الصادق: لم يصبه

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد (٤/ ١٨٠٢).

(٢) لعله يقصد المجموع شرح المهذب للنووي، والكلام موجود بفحواه في المجموع، لأن الشيخ غلب عليه التصرف فيما ينقل.

(٣) يراجع: المجموع شرح المهذب (١٧/ ٣٤٢)، المهذب في فقه الإمام الشافعي للشيرازي (٣/ ٣١٧)، المغني لابن قدامة (٧/ ١٧٢).

(٤) أخرجه الطبراني برقم (١٠٨١٢)، والبيهقي في السنن، برقم (١٤٠٧٦)، وابن عساكر في التاريخ برقم (٧٥٣)، وذكره صاحب البدر المنير وقال: «هذا الحديث له طرق: أحدها: من طريق ابن عباس، رواه البيهقي في «سننه»،... ورواه الطبراني في «معجمه الكبير» عن (علي) بن عبد العزيز ثم قال: المديني هو عندي فليح بن سليمان. كذا قال، ويحتمل أن يكون إبراهيم بن أبي يحيى الضعيف، أو عبد الله بن أبي جعفر (والد) علي بن المديني، وهو ضعيف أيضا، وأبي الحويرث (اسمه:) عبد الرحمن بن معاوية، مختلف فيه، قال مالك، والنسائي: ليس بثقة، وقال يحيى والرازي: لا [يحتج] بحديثه (وقال مرة: ثقة)، وقال (أحمد): روى عنه: سفيان، وشعبة، وأنكر قول مالك». إلى أن ساق له خمس طرق. (٧/ ٦٣٤-٦٣٧).

(٥) تفسير البغوي، ط: طيبة (٤/ ١١٥)، ويراجع: تفسير الطبري (١٤/ ٥٨٥)، تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩١٧)، تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤١).

شيء من ولادة الجاهلية من زمان آدم عليه السلام[١].

أقول: قد عُلِمَ من هذا الحديث وهذين الأثرين [أن] نكاحهم كنكاح الإسلام، أي كان نكاحهم في زمن الجاهلية الماضية كنكاح هذا الزمان، الذي هو زمان الإسلام، فعلم أن آباء النبي ﷺ كانوا على ملة إبراهيم التي هي ملة الإسلام، ولم يخرجوا منها كأكثر أهل الجاهلية.

فإن قلتَ: قال الإمام في «الكبير»: والذي عليه الأكثرون راجح على الأقل[٢]؛ **قلتُ**: عن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه إلى النبي ﷺ: «**ليس الجماعة بكثرة الناس، من كان معه الحق، فهو الجماعة وإن كان وحده**»[٣]. قال الثوري: «العلم هو الجماعة، ولو كان رأس جبل»[٤]. قال تقي الدين السبكي: «الفتوى بقول الأكثر شاع في الأمصار، وسألتُ تلميذ النووي عن سببه فقال: نقل المذهب من باب الرواية فرجح بالكثرة».

قال تقي الدين: «ليس بجيد، لأن الأكثر إذا كان في مسألة على حكم والإمام على خلافه، فلا يلتفت إلى قول الأكثر». قال: «هذا نافع في كثير من المواضع، لأنا وجدنا أشياء كثيرةً أهملوها، فربما سها أو طغى القلم في الإنسان، فإنه محل السهو والنسيان، والمعصوم من عصم الله، فقال: وقد يحصل بطول المدة والتأني في الفكر

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ١١٥)، وسبق تخريجه (ص٣٥).

(٢) وعبارة الرازي في التفسير: «كيف؟، والذي عليه الأكثرون أن آباء محمد عليه الصلاة والسلام كانوا كفارًا» (٢٥/ ١٣٦).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من حديث طويل وفيه: (قال عمرو بن ميمون: قيل لعبد الله بن مسعود: «وكيف لنا بالجماعة؟» فقال لي: «يا عمرو بن ميمون، إن جمهور الجماعة هي التي تفارق الجماعة، إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك») (١/ ١٢١).

(٤) جاء في شرح السنة للبغوي: «وقال سفيان في تفسير الجماعة: لو أن فقيها على رأس جبل لكان هو الجماعة» (١/ ٢٧٩).

الزيادةُ والنقصان ما دمنا والحياة معترفين بالتقصير وإهمال الكثير، وهكذا حال العلم الذي يقتضيه الخبر.

نُقِلَ عن أوحد الزمان في الإنقال من المتأخرين وهو الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى رآه بعض تلامذته ذات يوم حزينًا باكيًا في غاية الحيرة والحسرة، فسأل عن سبب تلك الحالة، فقال: أبكي وأحزن وأتحسر على هباء عمري بلا حاصل طائل! قيل: وكيف ذاك وأنت إمام أئمة العصر وأفضل الأمة في الدهر؟ فقال: آه على ما فاتني من العمر ضائعًا! فإني قد فكرتُ في مسألة كذا ونقلتُها وحكمتُ فيها وأحكمتُها صحة عندي منذ عشرين سنة، واليوم قد سنح لي دليل واضح على بطلان حكمي المتقدم، ولم آمن أن يكون جميع أحكامي ودليلي مثل هذا في صدد البطلان، فهل يكون منا أخسر صفقة في مثل هذا الحال؟!»[١].

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: لما قدمتُ من بغداد كنت أدرِّس في جامع نيسابور، وأشرح القول في أن الروح مخلوقة، وكان الشيخ أبو القاسم النصرابادي قاعدًا يصغي إلى كلامنا، ثم قال بعد أيام لمحمد الغزالي: إني أسلمتُ على يد هذا الرجل! وهذا الكلام منه تواضع ورجوع إلى الحق مع جلال قدره، فإنه كان شيخ وقته، وكتب للشيخ أبي عثمان المغربي من بغداد إلى أهل الحرم بعد أن كان مجاورًا مكة ثلاثين سنة، قال شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري: - لم يَبل في الحرم لحرمة الحرم-: إني أسلمت جديدًا، وكنت أعتقد أشياء من حديث الجهة فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي فكتبت إلى أصحابنا بمكة: إني أسلمت جديدًا[٢].

(١) يراجع: منتهى المدارك في شرح تائية ابن الفارض للشيخ عبد الله الفرغاني (٢/ ٢١٦).

(٢) يراجع: الرسالة القشيرية (١/ ٢٧)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٧/ ١٠٧).

كتب أبو شامة في «الباعث على إنكار البدع والحوادث»(١): «قد وقع في دمشق أن الشيخ تقي الدين ابن الصلاح أفتى بعدم المنع عن صلاة الرغائب(٢)، ثم لما قدم الشيخ عز الدين بن عبد السلام فأفتى بالمنع عند معارضة ابن الصلاح ورجع عما أمر به أولًا وألف كراسة في الرد عليه، وضرب له المثل بقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [العلق: ٩-١٠]، وقال: إنما نهيت عن شيء نهى عنه رسول الله ﷺ»، وقال أبو شامة: إن الناس ضربوا لابن الصلاح المثل بقول عائشة رضي الله عنها في حق سعد بن عبادة كان قبل ذلك رجلًا صالحًا ولكن أخذته الحمية حين قال النبي ﷺ: «**من يعذرني من رجل بلغ أذاه في أهلي؟**» فقال سعد: أنا أعذِرُك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من الخزرج فما أمرتنا فعلنا، فقام سعد بن عبادة سيد الخزرج وقال لسعد بن معاذ: كذبت، والله لا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ وقال: كذبت، والله لنقتلنه، وإنك منافق، فثار الحيان ورسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا(٣).

فإن قلتَ: ما تقول في قول الإمام في «الفقه الأكبر»: «ووالدي رسول الله ﷺ ماتا في

(١) يراجع: الباعث لأبي شامة (ص٤٣).

(٢) نقل ذلك عنه أبو شامة فقال: بأن «حديثها موضوع على رسول الله ﷺ وهي بدعة حدثت بعد أربعمائة سنة من الهجرة ظهرت بالشام وانتشرت في سائر البلاد، ولا بأس بأن يصلها الأنسان بناء على أن الأحياء فيما بين العشائين مستحب كل ليلة، ولا بأس بالجماعة في النوافل مطلقا، أما أن تتخذ الجماعة فيها سنة وتتخذ هذه الصلاة من شعائر الدين الطاهرة فهذه من البدع المنكرة ولكن ما أسرع الناس الى البدع والله أعلم»الباعث (ص٤٤)، ويلاحظ أنه أجازها بشرط أن لا تصلى جماعة، ولا تتخذ شعارًا من شعائر الدين.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (٢٦٦١)، ومسلم، برقم (٢٧٧٠). ويلاحظ أن الشيخ نقل هذه النقول على أنه ليس بعيب أن يرجع الإنسان عن رأيه ما دام يخالف المجموع كما في حال الإمام الرازي، وذلك ما يؤيده كلام تقي الدين السبكي، وموقف الشيخ عز الدين بن عبد السلام مستدلًا على ذلك بهذا الحديث الوارد في الصحيحين.

زمن الكفر»؟[١]؛ قلتُ: قال الإمام فخر الإسلام أبو الحسن علي بن محمد البزدوي[٢] رحمه الله تعالى: «قد صنف أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ في علم التوحيد والصفات كتاب «الفقه الأكبر» وذكر فيه إثبات الصفات، وإثبات تقدير الخير والشر من الله تعالى، وأن ذلك كله بمشيئته، وأثبت فيه الاستطاعة مع الفعل، وأن أفعال العباد مخلوقة بخلق الله تعالى، ورد القول بالأصلح»[٣]. وليس ما ذكره فخر الإسلام في تلك الرسالة بشيء مما ذكر.

وقد طالعتُ «الفقه الأكبر» وهو في الأصل علم الفقه[٤] لا الكتاب، ولما كان ذلك الكتاب في ذلك العلم، سمى فخر الإسلام الكتاب باسم العلم، وتاريخ الكتاب الذي طالعته كان كتابته زائدًا على أربعمئة، وليس فيه من ذلك القول أثر، ولذلك يقال هذه الرسالة لأبي حنيفة محمد بن يوسف البخاري[٥] لا أبي حنيفة النعمان بن

---

(١) وقد حقق الشيخ الكوثري أن العبارة الصحيحة التي جاءت في كتاب الفقه الأكبر «ما ماتا على الكفر»، كما نقل ذلك الشيخ مرتضى الزبيدي في رسالته «الانتصار لوالدي النبي المختار»: أن الناسخ لما رأى تكرر «ما» في «ما ماتا» ظن أن أحداهما زائدة فحذفها، فذاعت نسخته الخاطئة، وذكر الشيخ أنه رأى ذلك في نسختين بدار الكتب المصرية. يراجع: العالم والمتعلم لأبي حنيفة (ص٧) بتحقيق محمد زاهد الكوثري، ط: مطبعة الأنوار بالقاهرة، ١٣٦٨هـ.

(٢) علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم، أبو الحسن، فخر الإسلام البزدوي: فقيه أصولي، من أكابر الحنفية. من سكان سمرقند، نسبته إلى «بزدة» قلعة بقرب نسف. له تصانيف، منها «المبسوط - خ» كبير، و «كنز الوصول - ط» في أصول الفقه، يعرف بأصول البزدوي، و «تفسير القرآن» كبير جدا، و «غناء الفقهاء» في الفقه، توفي سنة ٤٨٢هـ. الأعلام (٤/ ٣٨٢)، ويراجع: الجواهر المضية (١/ ٣٧٢).

(٣) أصول البزدوي - كنز الوصول الى معرفة الأصول (ص٣)، ويراجع: كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (١/ ٧).

(٤) كلمة غير واضحة بالأصل، والمثبت الأقرب للرسم.

(٥) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري، رواية صحيح البخاري عنه، رحل

ثابت الكوفي. وقيل: لأبي حنيفة نعمان بن محمد المغربي، كان قاضي القضاة بمصر، صاحب التصانيف، مات سنة ثلاث وستين وثلاثمئة[1]. وقد رأينا في هذه الرسالة نسخة قديمة لم يكتب فيها هذه الألفاظ الشنيعة إما حذفها صاحبها، وإما أثبتها غير صاحبها.

وعلى تقدير أنها صدرت من الإمام فمعنى كلامه: «ماتا في زمن الكفر» أي الجاهلية، كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي في زمن سليمان، وعلى بمعنى «في»، وتقدير الزمن شائع في كلام العرب، يقال: البرد شهران: أي وقت البرد شهران، ويقال: آتيك خفوق النجم: أي وقت خفوقه، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] أي وقت الحج.

فإن قلتَ: ذكر هذا القائل خلقًا لله سليمًا من الكفر والإيمان، ثم خاطبهم وأمرهم ونهاهم، فكفر من كفر بفعله وإنكاره وجحوده بخذلان الله تعالى إياه، وآمن من آمن بفعله وإقراره وتصديقه بتوفيق الله تعالى إياه ونصرته. وقد مر أن آباء النبي ﷺ لم تبلغهم الدعوة لقوله تعالى: ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ [السجدة:٣]، و﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾

إليه الناس، وسمعوا منه هذا الكتاب. وكانت ولادته في سنة إحدى وثلاثين ومائتين؛ وتوفي في ثالث شوال سنة عشرين وثلثمائة. وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٠)، ويراجع: سير أعلام النبلاء (١٥/ ١٠)، الأعلام (٧/ ١٤٨).

(١) النعمان بن محمد بن منصور، أبو حنيفة بن حيون التميمي، ويقال له القاضي النعمان: من أركان الدعوة للفاطميين ومذهبهم بمصر. كان واسع العلم بالفقه والقرآن والأدب والتاريخ. من أهل القيروان، مولدا ومنشأ. تفقه بمذهب المالكية، وتحول إلى مذهب الباطنية. عاصر المهديّ والقائم والمنصور والمعز (منشئ القاهرة) وخدمهم. وقدم مع المعز إلى مصر، وهو كبير قضاته، وتوفي بها. وصفه الذهبي بالعلّامة المارق. وقال ابن حجر: في كتبه ما يدل على انحلال عقيدته، له «اختلاف أصول المذاهب» يرد فيه على أدلة الاجتهاد وينصر الإسماعيلية، و«دعائم الإسلام، وذكر الحلال والحرام - خ» مجلدان، توفي سنة ٣٦٣هـ. الأعلام (٨/ ٤١)، ويراجع: وفيات الأعيان (٥/ ٤١٥)، سير أعلام النبلاء، ط: الرسالة (١٦/ ١٥٠).

[يس:٦]؟ قلتُ: في زمن الجاهلية أكثر أهل الكتاب كانوا كافرين، ولذلك يقال لذلك الزمان زمان الجاهلية باعتبار الأكثر، ومنهم من لم يقلد دين أهل الكتاب، ومن نسل إسماعيل من لم يغير ملة الإسلام، وهي ملة إبراهيم عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف: ٢٨] أي جعل إبراهيم كلمة التوحيد باقية إلى انقراض الزمان. ونسل إسماعيل كان على الإسلام والتوحيد إلى أن جاء عمرو بن لحي وساد قومه وولي أمر البيت الحرام، واتفق له سفر إلى إيلياء، فرأى قومًا يعبدون الأصنام، فسألهم عنها، فقالوا: هذه أرباب يُستنصَر بها فتُنصَر، ويُستشفَى بها فتشفي. فالتمس إليهم أن يكرموه بواحدٍ منها، فأعطوه الصنم المعروف بـ«هُبَل» فصار به إلى مكة ووضعه في الكعبة، ودعا الناس إلى تعظيمه، وذلك في أول شابور ذي الأكناف، ونقله الإمام في «الكبير» عن أهل التاريخ، ثم قال بعد ذلك: وكان قصي جد رسول الله ﷺ نهاهم عن عبادة الأوثان، ويدعوهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل وهو الذي يقول:

أرب واحد أم ألف رب ... أدين إذا تقسمت الأمور

تركت اللات والعزى جميعا ... كذلك يفعل الرجل البصير

وقال الإمام: «اللات بالطائف لثقيف، ومناة بيثرب للخزرج، و«العزى» لكنانة بنواحي مكة، و«إساف» و«نائلة» على الصفا والمروة»(١).

وقال: «واعلم أنه لا دين أقدم من عبادة الأوثان، وذلك لأن أقدم الأنبياء الذين نُقِلَ إلينا تاريخهم هو نوح عليه السلام، وهو إنما جاء بالرد عليهم على ما أخبر الله تعالى عن قومه في قوله: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] فعلمنا أن هذه المقالة كانت موجودة قبل نوح عليه السلام. وهي باقية إلى الآن،

---

(١) تفسير الرازي (٢/ ٣٤٦).

بل أكثر أهل العالم مستمرون على هذه المقالة»[١].

فإن قلتَ: العلم بأن هذا الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس هو الذي خلقني وخلق السماوات والأرض علم ضروري، فيستحيل إطباق الجمع العظيم عليه، فوجب أن يكون لعبدة الأوثان غرض آخر، وشاهد على ما قلنا قولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]؛ **قلتُ**: قال الإمام في «الكبير»: العلماء ذكروا فيه وجوهًا:

أن أهل الهند والصين يعتقدون أن الله تعالى جسم على أحسن الصور وكذلك الملائكة، فصوروا الصور، واعتكفوا على عبادتها تقربًا إلى الله وملائكته، ونقله عن أبي معشر جعفر بن محمد المنجم البلخي.

والثاني: ما ذكره أكثر العلماء أن أحوال العالم لما كانت مرتبطة بأحوال الكواكب[٢]، بالغوا في تعظيم الكواكب، فمنهم من اعتقد أن الكواكب أشياء واجبة الوجود لذاتها، وهي الخالقة لهذا العالم، فالأولون اعتقدوا أنها آلهة في الحقيقة، والفرق الثانية على أنها هي الوسائط بين الله والبشر، واشتغلوا بعبادة الكواكب، ثم لما رأوا أن الكواكب تستتر في أكثر الأوقات عن الأبصار، اتخذوا لها أصنامًا، ثم بطول المدة ألغوا ذكر الكواكب، وتجردوا لعبادة تلك التماثيل.

ورابعها: أن أصحاب الأحكام يعينون وقتًا في الأوقات المتطاولة لصنع طِلَسْم[٣]

---

(١) تفسير الرازي (٢/ ٣٤٤، ٣٤٥).

(٢) يقصد في زعم الكفار عبد الكواكب.

(٣)) (الطلسم) (فِي علم السحر) خطوط وأعداد يزْعم كاتبها أَنه يرْبط بهَا روحانيات الْكَوَاكِب العلوية بالطبائع السفلية لجلب مَحْبُوب أَو دفع أَذَى وَهُوَ لفظ يوناني لكل مَا هُوَ غامض مُبْهَم كالألغاز والأحاجي. المعجم الوسيط، طلسم (٢/ ٥٦٢).

معين يلتفتون إليه ويعظمونه، ثم بطول المدة عبدوه لاعتقادهم أنهم ينتفعون به.

وخامسها: أن رجلًا صالحًا منهم يعتقدون فيه أنه مجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله إذا مات اتخذوا صنمًا على صورته ويعبدونه، دل عليه قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وسادسها: لعلهم اتخذوا الأصنام محاريب لصلواتهم.

وسابعها: أنهم كانوا من المجسمة واعتقدوا حلول الرب فيها.

فهذه هي الوجوه التي يمكن حمل هذه المقالة عليها حتى لا تصير بحيث علم بطلانها بضرورة العقل.

والوجه الرابع والخامس ليس مما يحيله العقل، لكن لما منع الشارع عن عبادة الصنم، وجعلها علامة الكفر وجب الانتهاء عن أمثالها، هذا محصل كلام الإمام[١].

فإن قلت: كان لقصي جد رسول الله أربعة أبناء: عبد العزى، وعبد مناف، وعبد قصي، وعبد الدار، وهي دار الندوة بناها قصي، وكانت قريش لا تفصل أمرًا ذا بال إلا فيها، ويقال: إن اسم أبي لهب «عبد العزى» قد سماه عبد المطلب جد رسول الله ﷺ[٢]؛ أخرج الترمذي عن النبي ﷺ قال: «**لما حملت حواء بات بها[٣] إبليس وكان لا يعيش لها ولد،**

---

(١) تفسير الرازي (٢/ ٣٤٥) بتصرف.

(٢) يراجع تفسير الرازي (١٥/ ٤٢٩)، والشيخ يريد بهذا الكلام أن عبد المطلب لم يقصد من تسمية ولده بـ«عبد العزى» عبودية ولده للأصنام، وهو يقصد بذلك نفي الكفر عبد المطلب، كما أن آدم وحواء لم يقصدا عبادة إبليس عندما سميا ولدهما باسم عبد الحارث، غاية ما هنالك أنه يمكن أن يعد صنيعهما خلاف الأولى.

(٣) في الترمذي (طاف بها).

فقال: سميه عبد الحارث، فسمته عبد الحارث، فعاش»(١). قال الإمام: اعتقد آدم وحواء أنه سلم ببركة دعاء ذلك الشخص المسمَّى بالحارث، وفي المثل: أنا عبد من تعلمتُ منه حرفًا. وكتب بعض الأفاضل على عنوان كتابه: «عبد ود فلان»، وهذا لا يقدح كونه عبد الله من جهة الملك والخلق، إلا أنه حسنات الأبرار سيئات المقربين، ولذلك كان آدم معاتبًا بسبب الاشتراك الحاصل في مجرد لفظ العبد. هذا محصل كلام الإمام(٢).

قال الشريف الجرجاني في شرح المواقف: «**فإن قلتَ**: قد مر امتناع الكفر عن الأنبياء مطلقًا؛ **قلتُ**: إشراكهما بالله أنهما أطاعا إبليس في تسمية ولدهما بعبد الحارث، وكان اسم إبليس حارثًا، فسمته بعبد الحارث ورضي آدم بذلك، وليس ذلك كفرًا، بل ذنبًا يجوز صدوره قبل النبوة»(٣). وكلام الإمام أوجه إذ يؤول إلى ترك الأولى، والحق أن لا يجترأ على الأنبياء بإطلاق اللسان، ويحترز عن شوائب النقص بقدر الوسع والإمكان.

فإن قلت: هذا مذهب الروافض، قال في «المواقف»: «وقال الروافض: لا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة، لا عمدًا ولا سهوًا ولا خطأً في التأويل، بل هم مبرؤون عنها بأسرها»(٤)؛ **قلتُ**: قال تقي الدين السبكي في كتابه المسمَّى بـ«السيف المسلول على من سب الرسول»: «ونحن نوافق القاضي عياض على اختيار أن الأنبياء معصومون من الصغائر والكبائر عمدًا أو سهوًا»(٥). والإمام شكر الله سعيه بالغ في «الكبير» في إتمام

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٠٧٧).

(٢) يراجع تفسير الرازي (١٥/ ٤٢٩).

(٣) شرح المواقف للجرجاني مع حاشيتي السيالكوتي والفناري (٨/ ٢٧٠).

(٤) المواقف للإيجي (٣/ ٤٢٨).

(٥) السيف المسلول (ص٤٩٩)، ويراجع: أصول الدين للبغدادي (ص١٦٧)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرر المضية (ص٣٠٦).

هذا القول والجواب عن الآيات والأحاديث المشعرة بالذنب(١).

قال الكرماني في شرح صحيح البخاري في حديث رسول الله ﷺ: «**إن الله يبعث على رأس كل مئة عام من يصحح لهذه الأمة دينها**»(٢): لا يبعد أن يكون في السادسة الإمام الرازي، فكيف لا؟ ولولاه لامتلأت الدنيا بشبه الفلاسفة، وهو الداعي إلى الله في إثبات العقائد الحقانية، وحجة الحق(٣) على الخلق، ويصحح العقائد الإيمانية(٤).

***

(١) تفسير الرازي (٣/ ٤٥٥)، ويراجع: المسامرة في شرح المسايرة للكمال ابن أبي شريف (٢/ ٨٤).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، برقم (٤٢٩١)، وقال محققه: «إسناده صحيح»، والطبراني في الأوسط برقم (٦٥٢٧)، والحاكم، برقم (٨٥٩٢).

(٣) في «ب»: وحجة الله.

(٤) الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري (١/ ٧٢).

الخاتمة

في تفضيل أهل البيت ومناقبهم الذي يختم الولاية بخاتمهم

صلى الله على جدهم وعليهم وسلَّم تسليمًا

قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

قال ابن عباس وبراء بن عازب ومحمد بن علي ﷺ: «نزلت هذه الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه الكرامة والرضوان، ولما نزلت أخذ بيده رسول الله ﷺ وقال: «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه»، فلقيه عمر فقال: هنيئًا لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)»[1].

قال الإمام في «الكبير»: «قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وإنها نزلت في شأن علي بن أبي طالب عليه الكرامة والرضوان»[2].

في «جامع الأصول»: «أنزل الله هذه الآية ثم أذَّن بلال لصلاة الظهر، فقاموا يصلون، فمن بين ساجد وراكع وسائل، إذا سائل يسأل فأعطاه علي خاتمه وهو راكع، فأخبر السائل رسول الله ﷺ فقرأ عليهم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿هُمْ

---

(١) يراجع: تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٧٢)، وتفسير الثعلبي (١١/ ٤٣٧)، والدر المنثور للسيوطي، وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر (٣/ ١١٧)، والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» برقم (٣٢١١٨)، وأحمد في «المسند» برقم (١٨٤٧٩) وقال محققه: «صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف من أجل علي بن زيد- وهو ابن جدعان»، وابن ماجه في المقدمة، برقم (١٢١)، وقال محققه: «صحيح لغيره»، وابن عساكر في التاريخ (٤٢/ ٢٢٢).

(٢) تفسير الرازي (١٢/ ٣٨٣).

﴿ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]»[١].

قال أنس: «بُعث رسول الله ﷺ يوم الاثنين، وصلى عليٌّ يوم الثلاثاء» أخرجه الترمذي[٢].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «أول من أسلم علي رضي الله عنه»[٣].

قال ابن عمر رضي الله عنه: «لما آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه جاء عليٌّ يدمع عيناه، فقال: يا رسول الله آخيتَ بين أصحابك ولم تؤاخِ بيني وبين أحد. قال: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنت أخي في الدنيا والآخرة**» أخرجه الترمذي[٤].

ولما نزلت هذه الآية: ﴿نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ﴾ [آل عمران: ٦١] دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا رضي الله عنهم فقال: «اللهم هؤلاء أهلي» أخرجه مسلم والترمذي عن سعد بن أبي وقاص[٥].

اتفق البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي، ومسلم والترمذي عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يده، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**» فلما أصبح الناس غدوا على رسول

---

(١) جامع الأصول (٨/ ٦٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٣٧٢٨)، وقال: «وهذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث مسلم الأعور. ومسلم الأعور ليس عندهم بذلك القوي».

(٣) أخرجه الطبراني برقم (١٠٩٢٤)، ومعمر بن راشد في جامعه برقم (٢٠٣٩٢)، وذكره الهيثمي في المجمع، وقال: «رواه الطبراني، وفيه عثمان الجزري ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح» برقم (١٤٦٠٠).

(٤) أخرجه الترمذي، برقم (٣٧٢٠)، وقال: «حسن صحيح».

(٥) أخرجه مسلم، برقم (٢٤٠٤)، والترمذي، برقم (٢٩٩٩)، وقال: حسن صحيح غريب.

الله كلهم يرجو أن يعطيها، فقال ﷺ: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فقالوا: يشتكي عينيه. فأرسلوا إليه فأُتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبريء، حتى كأن لم يكن له وجع، فأعطاه الراية، فقال: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال ﷺ: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه**»[١].

أخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال: كان عند رسول الله ﷺ طير، فقال: «**اللهم ائتني بأحب خلقك إليك فيأكل معي هذا الطير؛ فجاء عليٌّ فأكل معه**»[٢].

وقال رزين: قال: أبو عيسى: في هذا الحديث قصة، وفي آخرها: أن أنسًا قال لعليٍّ: استغفر لي ولك عندي بشارة؛ ففعل فأخبره بقول رسول الله ﷺ.

أخرج الترمذي أنه قال رسول الله ﷺ: «**عليٌّ مني وأنا من عليٍّ، ولا يؤدي عني إلا أنا أو عليٌّ**»[٣].

أخرج أبو منصور الديلمي في «الفردوس» وذكر شيخ الإسلام ابن حجر في «زهر الفردوس» عن ابن عباس رضي الله عنه: جاءت امرأة إلى عليٍّ، فقالت: إني أبغضك. فقال علي: أنت سلقلق، قالت: ما السلقلق؟! قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «**يا عليُّ، لا تبغضك من النساء إلا السلقلق**،، **فقلت: يا رسول الله وما السلقلق؟، قال: التي لا تحيض إلا من دبرها**»(4)، قالت: صدق رسول الله ﷺ، أنا والله أحيض من دبري

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٩٤٢)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٤٠٦).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٣٧٢١) وقال: «حديث غريب، لا نعرفه من حديث السدي إلا من هذا الوجه».

(٣) أخرجه الترمذي، برقم (٣٧١٩)، وقال: «حديث حسن غريب صحيح».

(٤) السَّلَقْلَقِيَة: المرأة الَّتِي تَحِيضُ مِنْ دُبُرِها. لسان العرب (١٠/ ١٦٣)، القاموس المحيط (ص٨٩٤).

وما أعلم أبواي(١).

وفي كتاب «نظم درر السمطين في مناقب السبطين»: روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كنتُ أنا وعلي نورًا بين يدي الله عز وجل من قبل أن يُخلَق آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله تعالى آدم، سلك ذلك النور في صلبه، ولم يزل الله تعالى ينقله من صلب إلى صلب، حتى أُفرِدَ في صلب عبد المطلب، ثم أخرجه من صلب عبد المطلب فقسمه قسمين: قسمًا في صلب عبد الله، وقسمًا في صلب أبي طالب، فعليٌّ مني وأنا منه، لحمه لحمي ودمه دمي، فمن أحبه فبحبي أحبه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه»**(٢).

وكان أبو طالب أخًا لعبد الله من الأبوين دون سائر أعمام النبي ﷺ، وكانت أم عليٍّ كرم الله وجهه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وكان هاشميًا من الأبوين.

أخرج الديلمي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«عليٌّ باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلتُ به من بعدي، حبه إيمان، وبغضه نفاق، والنظر إليه زلفى»**(٣).

قال الصفدي: «ممن جمع الشجاعة والسماحة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه،

---

(١) أورده الديلمي في الفردوس برقم (٨٣١٣)، وابن حجر في زهر الفردوس برقم (٣٢٦٥)، وذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة، وقال: «في سنده مجاهيل» (١/ ٣٩٩)، والسيوطي في الزيادات على الموضوعات (١/ ٢٦٢).

(٢) نظم درر السمطين (ص٧٥)، والحديث أخرجه الإمام أحمد في فضائل الصحابة برقم (١١٣٠)، بلفظ: «كنا أنا وعلي نورا بين يدي الله عز وجل، قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزءين، فجزء أنا، وجزء علي عليه السلام»، وأخرجه بنحوه الديلمي في الفردوس، برقم (٤٨٥١)، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٤)، وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ٥٠٧) في ترجمة الحسن بن علي بن زكريا بن صالح، وذكر فيه أقوال العلماء وأنه كان متروكًا، يضع الحديث، يحدث عن الثقات بالبواطيل.

(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس، برقم (٤١٨١)، وذكره صاحب كشف الخفاء وضعفه جدًا

وشجاعته أشهر من أن تُذكَر، وأغنى عن أن تمدح وتُشكَر، لما دعا عليٌّ رضي الله عنه معاوية إلى المبارزة قال له عمرو بن العاص: لقد أنصفك. فقال معاوية: ما غششتني مذ صحبتني إلا اليوم! أتأمرني بمبارزة أبي الحسن، أراك طمعت في إمارة الشام بعدي!

قال معاوية لقيس بن سعد: كان أبو الحسن هشًا بشًا ذا فكاهة. فقال قيس: نعم، كان رسول الله ﷺ يمدح ويتبسم إلى أصحابه. وقال: والله مع تلك الفكاهة والطلاقة كان أهيب في لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد، كنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه». انتهى كلام الصفدي[١].

عن عليٍّ بن موسى الرضا عن أبيه موسى عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد عن أبيه عليٍّ عن أبيه الحسين عن أبيه عليٍّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله قد غفر لك ولذريتك، ولولدك ولأهلك ولشيعتك، ولمحبي شيعتك، فأبشر فإنك الأنزع[٢] البطين**» أخرج الحديث المذكور بسنده أبو منصور الديلمي في الفردوس، وشيخ الإسلام في «زهر الفردوس»[٣].

وقال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [الأنعام: ٩٠] أي: التبليغ، ﴿أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِى ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ أي في ذي القربى. روي أنه لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله،

(١/ ٢٣٢)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٣٠٧)، وكلهم بلفظ: (والنظر إليه رأفة) خلافًا لما أثبته المصنف.

(١) يراجع: شرح نهج البلاغة (١/ ٢٥)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) الأنزع: الذي ينحسر شعر مقدم رأسه مما فوق الجبين. النهاية (٤/ ١٣٧).

(٣) أخرجه الديلمي في الفردوس برقم (٨٣٣٧)، وابن حجر في زهر الفردوس (ح:٣٢٤٣)، وأورده ابن عراق في تنزيه الشريعة المرفوعة (١/ ٤٠٢)، الزيادات على الموضوعات، ويسمى «ذيل الآلئ المصنوعة» للسيوطي (١/ ٣٧٩).

من قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: عليٌّ وفاطمة وابناهما. وقيل: أهل بيته من حرُمت عليه الصدقة من أقاربهم، وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يفترقوا في جاهلية وإسلام[١].

وعن زيد بن أرقم ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني تارك فيكم ثقلين: أولها كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور؛ فخذوا كتاب الله واستمسكوا به -فحث على كتاب الله ورغب فيه- وأهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**» فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد، أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: ليس نساؤه من أهل بيته، لكن أهل بيته من حرم الصدقة عليه بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل عليٍّ وآل عقيل وآل عباس. رواه مسلم[٢].

ذكر في بعض التفاسير: أن الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتم التشهد في الصلاة، وهو قول المصلي: «اللهم صل على محمد... إلى آخره» وهذا التعظيم لم يوجد في غير الآل، وذلك يدل على أن حب آل محمد واجب.

وأنشده الإمام الشافعي:

يا راكبًا قف بالمحصب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرًا إذا فاض الحجيج إلى منى فيضًا كملتطم الفرات الفائض
لو كان رفضًا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافض[٣]

---

(١) أخرجه الطبراني، برقم (١٢٢٥٩)، والشجري في ترتيب الأمالي الخميسية (١/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم في التفسير، وقال: «بسند ضعيف» (١٠/ ٣٢٧٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٤٨)، والهيثمي في المجمع، وقال: رواه الطبراني من رواية حرب بن الحسن الطحان عن حسين الأشقر عن قيس بن الربيع وقد وثقوا كلهم وضعفهم جماعة، وبقية رجاله ثقات برقم (١١٣٢٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم (٢٤٠٨).

(٣) ديوان الشافعي (ص٧٤)، جمع وتحقيق ودراسة: د: مجاهد مصطفى بهجت، ط: دار القلم دمشق، الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

الروافض هم الذين رفضوا زيد بن علي[1] إذا لم يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[2]، وقال: أثنى عليهما أبي وجدي وأبوه رضوان الله عليهم أجمعين، وإنما خروجي على بني أمية، فإنهم قاتلوا جدي عليًّا وجدي حسينًا. وقُتِلَ زيد ودفن وأخرج وصلب، ثم أُحرِقَ في زمن هشام بن عبد الملك، وهشام مدفون بالرصافة[3]، وأُخرِجَ من قبره في أيام أبي العباس السفاح[4]، فوجدوه صحيحًا فضربه عبد الله بن علي ثمانين سوطًا ثم

(١) زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسين الهاشمي العلوي المدني، أخو أبي جعفر محمد، وعبد الله، وعمر، وعلي، والحسين، وهو ابن أمة،..، روى أبو اليقظان عن جويرية بن أسماء أو غيره أن زيد بن علي وفد من المدينة على يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين الحيرة فأحسن جائزته، ثم رجع إلى المدينة فأتاه ناس من أهل الكوفة فقالوا: ارجع فليس يوسف بشيء فنحن نأخذ لك الكوفة، فرجع فبايعه ناس كثير وخرجوا معه، فعسكر فالتقاه العسكر العراقي فقتل زيد في المعركة، ثم صلب فبقي معلقًا أربعة أعوام، ثم أنزل فأحرق. تاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ٤١٥، ٤١٦)، ويراجع: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية (ص١٣١)، مقاتل الطالبيين (ص ١٢٧- ١٥١)، تاريخ الطبري (٢/ ١٦٦٨- ١٧١٣).

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٢٥)، ويراجع: الكامل لابن الأثير (٤/ ٢٥٦)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٠٦).

(٣) رصافة هشام بن عبد الملك في غربي الرقّة بينهما أربعة فراسخ على طرف البريّة، بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها في الصيف، كذا ذكره بعضهم، ووجدت في أخبار ملوك غسان: ثمّ ملك النعمان بن الحارث بن الأيهم؛ وهو الذي أصلح صهاريج الرصافة وصنع صهريجها الأعظم، وهذا يؤذن بأنّها كانت قبل الإسلام بدهر ليس بالقصير، ولعلّ هشامًا عمّر سورها أو بنى بها أبنية يسكنها. معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/ ٤١)، ويراجع: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٢/ ٦٥٤)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (٢/ ٦١٨).

(٤) بالأصل: السعد. والصواب ما أثبتناه. وهو أبو العباس السفاح - ويقال له المرتضى، والقاسم أيضًا - عبد الله بن محمد بن الإمام علي السجاد ابن عبد الله الحبر بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أمير المؤمنين، بويع له بالخلافة بعد مقتل أخيه في حياة مروان يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول بالكوفة، وتوفي بالجدري بالأنبار يوم الأحد الحادي عشر، وقيل الثالث عشر من ذي الحجة سن ست

أحرقه[1]، مات هشام يوم الأربعاء لست خلون من ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومئة، وله ثلاث وخمسون[2].

روي عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**سيكون في آخر الزمان قوم يقال لهم «الروافض» يرفضون الإسلام، فاقتلوهم، فإنهم مشركون**»[3].

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**يا عليُّ، تكون أنت في الجنة وشيعتك يكونون في الجنة، سيكون بعدك قوم يدعون ولايتك يدعون «الروافض» فإن وجدتهم فاقتلوهم، فإنهم مشركون**»، فقال عليٌّ: وما علامتهم يا رسول الله؟ فقال: «**لا يكون لهم جمعة ولا جماعة، ويشتمون أبا بكر وعمر**»[4].

وقال الإمام الشعبي: «إن الروافض شر من اليهود والنصارى، فإن اليهود إذا

وثلاثين ومائة. البداية والنهاية (١٠/ ٦٣)، ويراجع: تاريخ الإسلام للذهبي، تح: تدمري (٨/ ٤٦٦).

(١) يراجع: الكامل في التاريخ (٥/ ٢٤)، البداية والنهاية، ط: إحياء التراث (١٠/ ٤٩).

(٢) جاء في كتاب الإنباء في تاريخ الخلفاء: «هشام بن عبد الملك، أبو الوليد، ويعرف بهشام الأحول، بويع له بالخلافة في رمضان سنة خمس ومائة وكانت وفاته لعشر خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما» (ص٥١)، ويراجع: تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص١٨٤).

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده برقم (٢٥٨٦)، والبزار برقم (٤٩٩)، والطبراني برقم (١٢٩٧٧)، وأورده الهيثمي في المجمع وقال: «رواه أبو يعلى، والبزار، والطبراني، ورجاله وثقوا، وفي بعضهم خلاف» برقم (١٦٤٣٣).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٦٦٠٥)، بسنده إلى أم سلمة قالت: كانت ليلتي، وكان النبي ﷺ عندي، فأتته فاطمة، فسبقها علي، فقال له النبي ﷺ: «**يا علي أنت وأصحابك في الجنة، أنت وشيعتك في الجنة، إلا أنه ممن يزعم أنه يحبك أقوام يرفضون الإسلام، ثم يلفظونه، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، لهم نبز يقال لهم الرافضة، فإن أدركتهم فجاهدهم، فإنهم مشركون**». فقلت: يا رسول الله، ما العلامة فيهم؟ قال: «**لا يشهدون جمعة ولا جماعة، ويطعنون على السلف الأول**»، وقال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن

سئلوا عن أخيارهم قالوا: أصحاب موسى عليه السلام، فقال النصارى: الحواريون الذين كانوا مع عيسى عليه السلام، وسُئِلت الروافض عن شر هذه الأمة، قالت: أصحاب محمد عليه السلام، فلا جرم أن سيف الحق مسلول عليهم إلى يوم القيامة، ولا يُرَى لهم قدم ثابتة، ولا كلمة مجتمعة، ولا راية منصورة، ولا ينصرهم أحد إلا يصير مخذولًا، بشؤم بدعتهم، والعجب أنهم لا يتأملون كتاب الله تعالى حيث قال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩] فأثنى عليهم كما ترى، وأخبر أنه صفتهم المذكورة في التوراة والإنجيل.

كتبوا إلى أهل السنة:

نحن أناس قد غدا شأننا ... حب علي بن أبي طالب
يعيبنا الناس على حبه ... فلعنة الله على العائب

وأجابوا عنهم:

ما يعيبكم هذا ولكنه ... بغض الذي لقب بالصاحب

وكذب عنه وعن بنته فلعنة الله على الكاذب[1].

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الروافض يهود هذه الأمة**» لأن اليهود نسبوا إليه الولد وقالوا: عزير ابن الله، وأثبتوا له المكان والحد، والنهاية والمجيء والذهاب، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا. إلى هنا من كتاب «التبصرة» في الدين للشيخ الإمام أبو

عطية، عن أبي سعيد، عن أم سلمة إلا سوار بن مصعب»، وأورده الهيثمي في المجمع برقم (١٦٤٣١)، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الفضل بن غانم، وهو ضعيف».

(١) يقصد أبو بكر الصديق والسيدة عائشة رضي الله عنهما، والبيتان الأولان نسبهما صاحب الكواكب السائرة للشاه إسماعيل الصفوي، وقد نسب الأخيرين صاحب شذرات الذهب وصاحب الكواكب السائرة – رداً على ما قاله الشاه إسماعيل الصفوي – لأبي السعود العمادي. يراجع شذرات الذهب لابن العماد (١٠/ ٥٨٦)، الكواكب السائرة (١/ ٢٩٧).

المظفر ظاهر بن محمد الإسفراييني رضي الله عنه في تفصيل الفرق الإسلامية[١].

روي عن النبي ﷺ قال: «**افترقت اليهود إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى اثنين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي ثلاثًا وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا واحدة قيل: يا رسول الله من الفرقة الناجية؟ فقال: ما أنا عليه وأصحابي**»[٢]. وفي رواية أخرى: قال: «**الجماعة**»[٣].

الهوى: ميلان النفس إلى ما يُستلَذ به من الشهوات، وإنما سمُّوا به لمتابعتهم النفس ومخالفتهم السنة كالخوارج والروافض، فإن أصول الأهواء: الجبر والقدر، والرفض والخروج، والتشبيه والتعطيل، ثم كل واحد منهم يفترق اثنتي عشرة فرقة. كذا في شرح الهداية والوقاية[٤].

هم أهل القبلة الذين لا يكون معتقدهم معتقد أهل السنة عند الشافعي لا يقبل شهادتهم لفسقهم، قلنا: لم يقع في اعتقاد الباطل إلا ديانة والكذب عند الجميع حرام.

قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]: «وكان أبو حنيفة: يفتي سرًّا بوجوب نصرة زيد بن عليٍّ رضوان الله عليهما، وحمل المال إليه، والخروج معه على اللص المتغلب المتسمَّى بالإمام والخليفة، كالدوانيقى وأشباهه. وقالت له امرأة: أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله

(١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين (ص٤١، ٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود، وقال محققه: «إسناده صحيح» برقم (٤٥٩٦)، وابن ماجة، وقال محققه: «صحيح لغيره» برقم (٣٩٩٢)، والطبراني (١٨/ ٧٠)، وابن حبان برقم (٦٢٤٧).

(٣) أخرجه ابن ماجة، برقم (٣٩٩٢)، والطبراني برقم (١٨/ ٧٠)، وفي مسند الشاميين برقم (٩٨٨)، وابن أبي عاصم في السنة برقم (٦٣).

(٤) العناية شرح الهداية للبابرتي (٧/ ٤١٥).

بن الحسن حتى قُتِلَ. فقال: ليتني مكان ابنك! وكان يقول في المنصور وأشياعه: لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عدِّ آجره لما فعلتُ»[1].

قال مولانا سعد الدين في شرح الكشاف: «والدوانيقي[2] هو أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني عباس، لُقِب بذلك لأنه زاد دانقًا في الخراج، والياء للإشباع كالصيارف. نُقِلَ أنه أراد أبا حنيفة: على القضاء فأبى وأمر بحبسه ومات في الحبس. وقيل: إنه سقاه السم، لأنه كان يفتي بإمامة إبراهيم ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن رضي الله عنه، وهما اللذان ادعيا الإمامة في زمن الدوانقي. وأما زيد بن علي بن الحسن بن علي رضي الله عنه ادعى الخلافة في زمن هشام بن عبد الملك بن مروان، وكان قبل الدوانقي بمدة، فقتله أمير الكوفة من قبله يوسف بن عمر الثقفي عليه ما يستحق، وعاش أبو حنيفة إلى زمن المنصور[3].

وقال في «الملل والنحل»: وكان أبو حنيفة: على بيعة محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي ومن جملة شيعته حتى رفع الأمر إلى المنصور، فحبسه حبس الأبد حتى مات في الحبس[4].

وروي أن الشافعي حُبِسَ في زمن المأمون[5]، وكتب إلى المأمون:

---

(١) تفسير الكشاف (١/ ١٨٤).

(٢) (والتدنيق): المداقة، ولقب أبو جعفر المنصور وهو الثاني من خلفاء بني العباس (بالدوانقي، وبأبي الدوانيق) لأنه لما أراد حفر الخندق بالكوفة قسط على كل واحد منهم دانق فضة وأخذه وصرفه في الحفر. المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي (ص١٦٩)، ويراجع: المعجم الوسيط (١/ ٢٩٨).

(٣) حاشية التفتازاني على الكشاف (مخطوط).

(٤) يراجع: الملل والنحل (١/ ١٥٨).

(٥) المشهور أن الشافعي حمل إلى بغداد أيام إمارة هارون الرشيد كما ذكر ذلك ياقوت الحموي في معجم

لو كان ذنبًا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني لا أتوب

ثم أُخرِجَ من الحبس وخلي.

قال الحسن بن علي قدسنا الله بروحه: وشيعتنا الفئة الناجية، والفرقة الزاكية، صاروا لنا ردءًا وصونًا، وعلى الظلمة إلبًا وعونًا[1].

قال الكميت[2]:

وما لي إلا آل أحمد شيعة وما لي إلا مشعب الحق مشعب

وطائفة قد أكفروني بحبهم وطائفة قالوا مسيء ومذنب[3]

قال الفرزدق[4] حين حج هشام بن عبد الملك ورأى تعظيم الناس لزين العابدين

الأدباء سنة ١٨٤هـ (٦/ ٢٣٩٦)، وفي هذه الفترة كان المأمون ولياً للعهد بداية من سنة١٨٢هـ وبهذا يمكن الجمع بين ما جاء هنا وما اشتهر في كتب التاريخ، ويراجع بحث رحلات الإمام الشافعي إلى اليمن ونجران دراسة تاريخية (ص٣٦٣)، للباحث حسن الشوكاني. مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية، مجلد (٢) العدد (١)، لسنة ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

(١) يراجع: بحار الأنوار للمجلسي (٧٥/ ٣٧٨)، ط: دار إحياء التراث.

(٢) الكميت بن زيد بن خنس الأسدي، أبو المستهلّ: شاعر الهاشميين. من أهل الكوفة. اشتهر في العصر الأموي. وكان عالما بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها، ثقة في علمه، منحازا إلى بني هاشم، كثير المدح لهم، متعصبا للمضرية على القحطانية. وهو من أصحاب الملحمات، أشهر شعره «الهاشميات - ط» وهي عدة قصائد في مدح الهاشميين، توفي سنة١٢٦هـ. الأعلام (٥/ ٢٣٣)، ويراجع: الشعر والشعراء (٢/ ٥٦٦)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨٨).

(٣) للكميت في شرح هاشميات الكميت (ص٥٠)؛ وخزانة الأدب (٤/ ٣١٤، ٣١٩)، (٩/ ١٣٨)؛ وشرح شذور الذهب (ص٣٤١)؛ وشرح قطر الندي (ص٢٤٦)؛ ولسان العرب (١/ ٥٠٢) (شعب).

(٤) همَّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارميّ، أبو فراس، الشهير بالفرزدق: شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس،... كان شريفًا في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه - وكان أبوه من الأجواد الأشراف، توفي سنة ١١٠هـ. الأعلام (٨/ ٩٣)، ويراجع: الشعر والشعراء (١/ ٤٦٢)، معجم الأدباء (٦/ ٢٧٨٥).

ﷺ وسأل من هو؟

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم[١]

قول أصحابنا أهل السنة والجماعة حبُ العترة والصحابة الجامعين قولي النبي ﷺ: «**مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا**»[٢]، وقوله: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[٣] ركب أصحابنا أهل السفينة، فرجوا من الله أن يفوزوا بالسلامة والسعادة في الدنيا والآخرة.

قال علي بن موسى الرضا: قال حدثني أبو موسى سراج آل رسول الله ﷺ قال: حدثني أبو الباقر علم آل رسول الله ﷺ قال: حدثني أبي زين العابدين وسند الساجدين علي بن الحسين قال: حدثني الشهيد بن الشهيد الحسين بن علي قال: حدثني أبو علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: المعرفة حصني، والتوحيد حصاري، فمن دخل حصني من باب حصاري أمنته من عذابي وعقابي**»[٤].

---

(١) ديوان الفرزدق (ص٥١١)، شرحه وضبطه وقدّم له الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

(٢) أخرجه البزار في المسند برقم (٣٩٠٠)، والطبراني برقم (٨٢٥)، والأوسط برقم (٣٤٧٨)، والصغير برقم (٣٩١)، وذكره الهيثمي في المجمع برقم (١٤٩٧٨) وقال: «رواه البزار، والطبراني في الثلاثة، وفي إسناد البزار: الحسن بن أبي جعفر الجفري، وفي إسناد الطبراني: عبد الله بن داهر، وهما متروكان».

(٣) أخرجه الدارقطني في المؤتلف والمختلف (٤/ ١٧٧٨)، وابن عبد البر في بيان جامع العلم وفضله، وقال: قال أبو عمر: «هذا إسناد لا تقوم به حجة؛ لأن الحارث بن غصين مجهول» برقم (١٧٦٠)، وذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٤١٩)، والفتّني في تذكرة الموضوعات (ص ٩٨).

(٤) أخرجه الديلمي في الفردوس برقم (٨٠٨٢).

قرئ هذا الحديث بهذا الإسناد عند سفيان بن عيينة قال: ما من مريض قرأ هذا الحديث بهذا الإسناد إلا عفا الله تعالى عنه، إلا أن يكون ولد الزنا.

سمي هذا الحديث بهذا الإسناد بسلسلة الذهب بين أهل الحديث، نقلته من خط من اعتمدت عليه من مشايخنا أهل الله المعمورين ظاهرًا وباطنًا رحمهم الله تعالى.

اللهم صل وسلم على حبيبك وصفيك أفضل المرسلين، شفيع يوم العرصات وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين، القاهرين لأعداء الدين، واحشرنا من زمرة عبادك الصالحين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

ختمتُ هذا الكتاب بعون الله الملك المعين في يوم العاشر من شهر صفر ختم بالخير والظفر، يوم الثلاثاء إحدى وثلاثين وتسعمئة، في أيام دولة السلطان ذي العدل والإحسان، إسكندر الزمان، سليمان بن السلطان سليم خان [بن] السلطان أبا يزيد خان مد الله أيام دولته إلى انقراض الزمان، ونشر آثار عدله على وجه الأرض في كل مكان، لا زال ظاهرًا وقاهرًا لأعداء الدين، ومعينًا للفقراء والمساكين، وملجأ وملاذًا للمظلومين، ورحم أسلافه الماضين من الغزاة والسلاطين، في كرس[١] بلاد الإسلام بمدرسة أيا صوفيه في بلدة قسطنطينية حماها الله تعالى بفضله وكرمه عن نكبات الأيام[٢].

تم بحمد الله تعالى

---

(١) قال ابن فارس: «الكاف والراء والسين أصل صحيح يدل على تلبد شيء فوق شيء وتجمعه»، مقاييس اللغة، كرس (٥/ ١٦٩)، ولعله يقصد أنها أصل أو عاصمة بلاد الإسلام.

(٢) جاء في نهاية النسخة الثانية (ولي الدين أفندي): تمت كتابة هذا الكتاب بعون الله الملك الوهاب في أواخر شهر الحجة الحرام، ختام سنة ثمانية وثمانين وألف، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

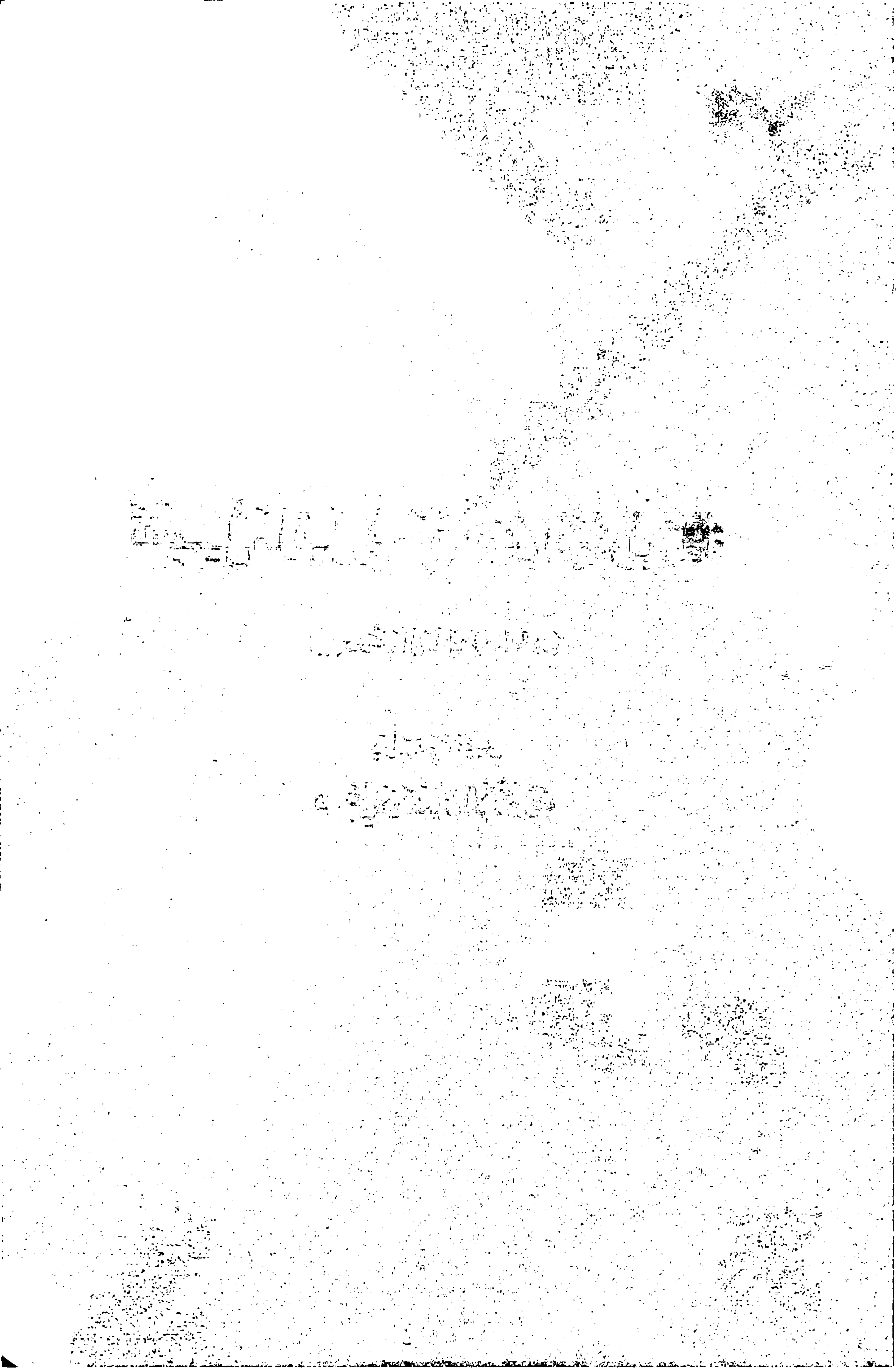
(1) [illegible]
[illegible]
(2) [illegible]
[illegible]
[illegible]

تَفْصِيلُ مَا قِيلَ فِي حَقِّ أَبَوَيِّ الرَّسُولِ ﷺ

ابن كمال باشا (٩٤٠هـ)

دِرَاسَة وَتَحْقِيق

د. عَلِي رَمَضَان الأَزْهَرِيّ



العلامة ابن كمال باشا حياته وآثاره

١- اسمه ونسبه ومولده:

هو أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين: قاض، فقيه حنفي، مفسر، من العلماء بالحديث ورجاله. ولد في طوقات، من نواحي سيواس، وتعلم بأدرنة، ودرس بها وبأسكوب[١].

٢- شيوخه وتلاميذه:

مع أن العلامة ابن كمال باشا نشأ في بيئة مترفة إلا أنه حبب إليه طلب العلم والإقبال عليه، وقد تلقى العلم على أكابر علماء عصره. ومن هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر:

١- سنان الدين يوسف بن المولى خضر بك بن جلال الدين، الملقب المولى سنان بك (المتوفى: ٨٩١هـ).

٢- لطف الله بن حسن التوقادي الرومي الحنفي، الملقب المولى لطفي، (المتوفى: ٩٠٠هـ).

٣- القسطلاني: العالم العامل والكامل الفاضل المولى مصلح الدين مصطفى القسطلاني (المتوفى: ٩٠١هـ).

---

(١) معجم المفسرين (١/ ٣٩، ٤٠)، ومدينة «توكات» هي عاصمة مقاطعة «توكات» (Tokat). تقع جنوب «سامسون» وشرق «أماسيا» وشمال «سيواس». هي مدينة تاريخية تزخر بالمباني القديمة والمعالم الهامة التي يعود معظمها إلى العصور السلجوقية العثمانية. تُعد «توكات» مدينة متوسطة الحجم يبلغ عدد سكانها أكثر من ١٣٠٠٠٠ نسمة، و إليها ينسب شيخ الإسلام مصطفى صبري. موقع صحيفة ترك برس على الشبكة العنكبوتية.

٤- محيي الدين محمد بن إبراهيم الرومي الحنفي الملقب بـ«خطيب زاده» (المتوفى: ٩٠١هـ).

هذا ولقد تولى العلامة ابن كمال باشا التدريس في كبرى المدارس العثمانية وأشهرها فترة طويلة. ولما له من مكانة عالية، فقد قصده للتعلم على يديه طلاب كثيرون، ومن ثم فقد كثر تلاميذه وقصاده، ومن أبرزهم على سبيل المثال:

١- العالم الفاضل المولى محيي الدين محمد بن عبد الله الشهير بمحمد بك، كان من عبيد السلطان بايزيدخان فرغب في العلم والمعرفة، وترك طريق الامارة وسلك طريق العلم، وقرأ على علماء عصره، منهم المولى شيخ مظفر الدين العجمي، والمولى محيي الدين الفناري، والمولى بير أحمد جلبي، ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل ابن كمال باشا، وصار معيدًا لدرسه، ثم صار مدرسًا بمدرسة الوزير مراد باشا بمدينة قسطنطينية، (توفي: ٩٥٠هـ)[١].

٢- المولى هداية الله ابن مولانا بار علي العجمي، قرأ على علماء عصره منهم المولى بير أحمد جلبي، والمولى الوالد والمولى محيي الدين الفناري، والمولى ابن كمال باشا، ثم صار مدرسًا بالمدرسة الأفضلية بمدينة قسطنطينية وغيرها، (توفي سنة: ٩٤٨هـ)[٢].

٣- المولى محيي الدين محمد بن حسام الدين، كان أبوه حسام الدين من أبناء الروم وكان من موالي الوزير محمد باشا من أبناء الروم أيضًا، قرأ المولى حسام الدين على علماء عصره حتى صار قاضيًا بعدة من البلاد، وخلف ولده محيي الدين المذكور، وقرأ على علماء عصره منهم المولى الوالد، والمولى حسام الدين والمولى ابن كمال باشا،

(١) الشقائق النعمانية (ص٢٩٤).

(٢) الشقائق النعمانية (ص٢٩٧).

ثم صار مدرسا بمدرسة عيسى بك بمدينة بروسه وغيرها، (توفي سنة: ٩٦٥هـ)[١].

٣- مكانته العلمية:

لقد حبا الله تعالى العلامة ابن كمال باشا ذهنا حاضرًا، وعقلًا واعيًا، وهمة عالية وثابة في طلب العلم، أهلته لأن يتولى أرفع المناصب في زمانه من التدريس والقضاء وغيرها، يزين ذلك أخلاق حسنة، وأدب تام، وتواضع جم.

قال صاحب «الشقائق النعمانية» مبينًا مكانته العلية: «وكان صاحب أخلاق حميدة حسنة، وأدب تام، وعقل وافر، وتقرير حسن ملخص، وله تحرير مقبول جدًا لا يجارى، مع وضوح دلالته على المراد، وبالجملة أنسى[٢] رحمه الله تعالى ذكر السلف بين الناس، وأحيا رباع العلم بعد الاندراس، وكان في العلم جبلًا راسخًا، وطودًا شامخًا، وكان من مفردات الدنيا، ومنبعًا للمعارف العليا، روَّح الله تعالى روحه، وزاد في غرف الجنان فتوحه»[٣].

ولقد بلغ في العلم مكانة عالية حتى شبهه بعض المؤرخين بالعلامة السيوطي علمًا وتصنيفًا.

يقول صاحب «الطبقات السنية»: «الإمام العالم، العلامة، الرحلة، الفهامة، أوحد أهل عصره، وجمال أهل مصره، من لم يخلف بعده مثله، ولم تر العيون من جمع كماله وفضله.

كان رحمه الله تعالى إمامًا بارعًا، في التفسير، والفقه، والحديث، والنحو، والتصريف، والمعاني، والبيان، والكلام، والمنطق، والأصول، وغير ذلك، بحيث إنه تفرد في إتقان

---

(١) الشقائق النعمانية (ص٢٩٧).

(٢) هكذا في الشقائق، ولعله يقصد أنه نشر ذكر السلف رحمهم الله.

(٣) الشقائق النعمانية (ص٢٢٦-٢٢٨).

كل علم من هذه العلوم، وقلما يوجد فن من الفنون إلا وله مصنف أو مصنفات... وكان رحمه الله تعالى في كثرة التأليف، وسرعة التصنيف، ووسع الاطلاع، والإحاطة بكثير من العلوم، في الديار الرومية، نظيرًا للحافظ جلال الدين السيوطي في الديار المصرية»(١).

٤- مصنفاته ووفاته:

لقد تولى العلامة ابن كمال باشا التدريس والقضاء مدة طويلة من حياته، ومع ذلك لم تشغله هذه الأمور عن التصنيف، بل كان قلمه سيَّالًا، وأوقاته عامرة بالتصنيف في علوم كثيرة بالعربية والتركية والفارسية، حتى زادت مؤلفاته على المئة، مع سهولة في العبارة، ووضوح في الإشارةن وحسن قبول عند الناس، مما حدا ببعضهم أن يلقبه بسيوطي عصره رحمه الله.

يقول صاحب «الشقائق»: «وكان رحمه الله تعالى من العلماء الذين صرفوا جميع أوقاتهم الى العلم، وكان يشتغل بالعلم ليلًا ونهارًا، ويكتب جميع ما لاح بباله الشريف، وقد فتر الليل والنهار ولم يفتر قلمه، وصنف رسائل كثيرة في المباحث المهمة الغامضة، وكان عدد رسائله قريبًا من مئة رسالة، وله من التصانيف: تفسير لطيف حسن قريب من التمام، وقد اخترمته المنية ولم يكمله، وله حواش على الكشاف، وله شرح بعض الهداية، وله كتاب في الفقه متن وشرح سماه بـ«الإصلاح والايضاح» وله كتاب في الأصول متن وشرح أيضًا سماه «تغيير التنقيح» وله كتاب في علم الكلام متن وشرح سماه «تجريد التجريد»، وله كتاب في المعاني متن وشرح أيضًا، وله حواش على شرح المفتاح للسيد الشريف، وله كتاب في الفرائض متن وشرح أيضًا، وله حواش على «التلويح»، وله حواش على التهافت للمولى خواجه زاده، هذا ما شاع بين الناس. وأما

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية (ص١٠٦، ١٠٧).

ما بقي في المسودة فأكثر مما ذكر، وله يد طولى في الإنشاء والنظم بالفارسية والتركية، وقد صنف كتابًا بالفارسية على منوال كتاب كلستان وسماه بنكارستان، وصنف كتابًا في تواريخ آل عثمان بالتركية؛ وأبدع في إنشائه وأجاد، وله كتاب في اللغة الفارسية، وكل تصانيفه مقبولة بين الناس»[1].

وفاته:

بعد حياة حافلة بالأعمال الجليلة الكثيرة ما بين تعلم وتعليم وتدريس وإفتاء وتصنيف توفي العلامة ابن كمال باشا رحمه الله رحمة واسعة سنة أربعين وتسعمئة بمدينة القسطنطينية بعد أن صار مفتيًا عليها[2].

رحم الله العلامة ابن كمال باشا مفتي الثقلين رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته جزاء ما قدم للعلم وأهله.

وسوف يدور الكلام حول:

١- اسم الرسالة:

أورد أصحاب الفهارس والتراجم للرسالة اسمين:

الأول: «رسالة في تفصيل ما قيل في أبوي الرسول ﷺ».

الثاني: «رسالة في إسلام أبوي النبي ﷺ».

فقد وردت بهذين الاسمين في «معجم تاريخ التراث» (١/ ٢٥٤)، «خزانة التراث» (الرقم التلسلي: ٣٧٣٠٩)، ورقم (١٠٦٠٠٨)، «عقود الجوهر» (ص٢٢٢).

---

(١) الشقائق النعمانية (ص٢٢٧)، ويراجع: الأعلام (١/ ١٣٣)، عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفًا فمائة فأكثر (ص٢١٧)، جميل بك العظم، ط: المطبعة الأهلية، بيروت، ١٣٣٦هـ.

(٢) يراجع: الشقائق النعمانية (ص٢٢٧)، الأعلام (١/ ١٣٣).

وعند التحقيق يتبين أنه ليس ثمة فرق كبير بين الاسمين، إلا أن الاسم الأعم والأشمل لهذه الرسالة هو الأول، لأنه يتناول الحديث عن أهل الفترة وإسلام الأبوين وإحيائهما ونحو ذلك.

وأما الاسم الثاني فهو يتحدث عن فحوى ما ورد فيها، لذا أرى أن العنوان الأقرب لما أراده المصنف هو الأول.

وعند التأمل في عنوان هذا الكتاب تتبين لنا عدة أمور منها:

١- أن المؤلف لم يهتم كثيرًا باختيار العنوان كما يفعل غيره من المصنفين، ولكنه في الوقت ذاته لوحظ فيه اتفاقه مع موضوعه.

٢- أنه لم يتأنق في اختيار العنوان، وهذا ما يظهر في بعض كتبه ورسائله الأخرى مثل: «طبقات المجتهدين، رسالة في الجبر والقدر، تغيير التنقيح».

٢- نسبة الرسالة إلى مؤلفها:

يثبت نسبة هذه الرسالة لابن كمال الباشا أمور منها:

١- ما جاء على طرة هذه الرسالة مما يثبت صحة نسبتها للعلامة ابن كمال باشا.

٢- نسبتها إلى مصنفها في كتب التراجم والفهارس، حيث وردت نسبتها إلى المصنف في: «عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون مصنفًا فمئة فأكثر» (٢١٧-٢٢٦)، «معجم تاريخ التراث الإسلامي» (١/ ٢٥٤)، «خزانة التراث» (الرقم التسلسلي: ٣٧٣٠٩) ورقم (١٩١٦)، «معجم ما أُلِّف عن رسول الله ﷺ» (ص٥٢).

٣- مصادره في الكتاب:

رجع العلامة ابن كمال باشا إلى مصادر متنوعة في هذه الرسالة، منها ما صرح

به ومنها ما لم يصرح به، ومن المصادر التي ذكرها صراحة في رسالته مرتبة حسب حروف المعجم:

التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (ت: ٦٧١هـ).

التيسير في التفسير للنسفي (ت: ٥٣٧هـ).

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني (ت: ٤٣٠هـ).

الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام للسهيلي (ت: ٥٨١هـ).

الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ).

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ).

عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس (ت: ٧٣٤هـ).

غنية الفتاوى، محمود بن أحمد بن مسعود بن عبد الرحمن القونوي (ت: ٧٧٧هـ).

مورد الصادي في مولد الهادي لابن ناصر الدين الدمشقي (ت: ٨٤٢هـ).

ناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين (ت: ٣٨٥هـ).

نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين للسيوطي (ت: ٩١١هـ).

ويلاحظ تنوع المصادر ما بين التفسير والحديث والسير والفقه مما يدل على تنوع ثقافة المصنف وثرائها.

٥- وصف نسخ المخطوط:

رجعت في تحقيق هذه الرسالة إلى نسخ أربعة:

النسخة الأولى: وهي نسخة مكتبة حسن حسني باشا بتركيا، وهي تقع ضمن مجموع برقم (٦٥)، وبالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي:

١- تقع هذه النسخة في ٤ لوحات، إذ إنها تبدأ من اللوحة٥٣ب وتنتهي باللوحة ٥٦أ، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة ١٩ سطرًا، في كل سطر ١٣ كلمة في المتوسط، وقد كتبت بمداد أسود، والعناوين بمداد أحمر، بخط نسخ حسن، وهي نسخة كاملة قد خلت من السقط.

٢- اسم الناسخ: لم يذكر في هذه النسخة اسم ناسخها، ولا تاريخ نسخها.

النسخة الثانية: (نسخة مكتبة عاشر أفندي بتركيا، وهي ضمن مجموع برقم: ٤٣٠)، وبالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي:

١- تقع هذه النسخة في ٣ لوحات، إذ إنها تبدأ من اللوحة ١١٨ وتنتهي باللوحة ١٢٠، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة ٢٣ سطرًا، في كل سطر ١٤ كلمة في المتوسط، وقد كتبت بمداد أسود، والعناوين بمداد أحمر، بخط نسخ حسن، وهي نسخة كاملة قد خلت من السقط.

٢- اسم الناسخ: لم يذكر في هذه النسخة اسم ناسخها، ولا تاريخ نسخها.

النسخة الثالثة: (نسخة قيسري راشد بتركيا ضمن مجموع برقم (٦٩٣)، وبالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي:

١- تقع هذه النسخة في ٤ لوحات، إذ إنها تبدأ من اللوحة١٤ وتنتهي باللوحة١٧، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة ٢٢سطرًا، في كل سطر١٠ كلمات في المتوسط، وقد كتبت بمداد أسود، والعناوين بمداد أحمر، بخط نسخ حسن، وهي نسخة كاملة قد خلت من السقط.

٢- اسم الناسخ: لم يذكر في هذه النسخة اسم ناسخها، ولا تاريخ نسخها.

النسخة الرابعة: (نسخة قيسري راشد أفندي بتركيا، ضمن مجموع برقم (١٤١)، وبالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي:

١- تقع هذه النسخة في ٢ لوحة، إذ إنها تبدأ من اللوحة ١٦٨ وتنتهي باللوحة ١٦٩، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة ٢٥سطرًا، في كل سطر١٣ كلمة في المتوسط، وقد كتبت بمداد أسود، بخط نسخ حسن، وهي نسخة كاملة قد خلت من السقط.

٢- اسم الناسخ: لم يذكر في هذه النسخة اسم ناسخها، ولا تاريخ نسخها.

٦- صور من المخطوط، بدايته ونهايته؛ للنسخ التي اعتمدت عليها في تحقيق النص:

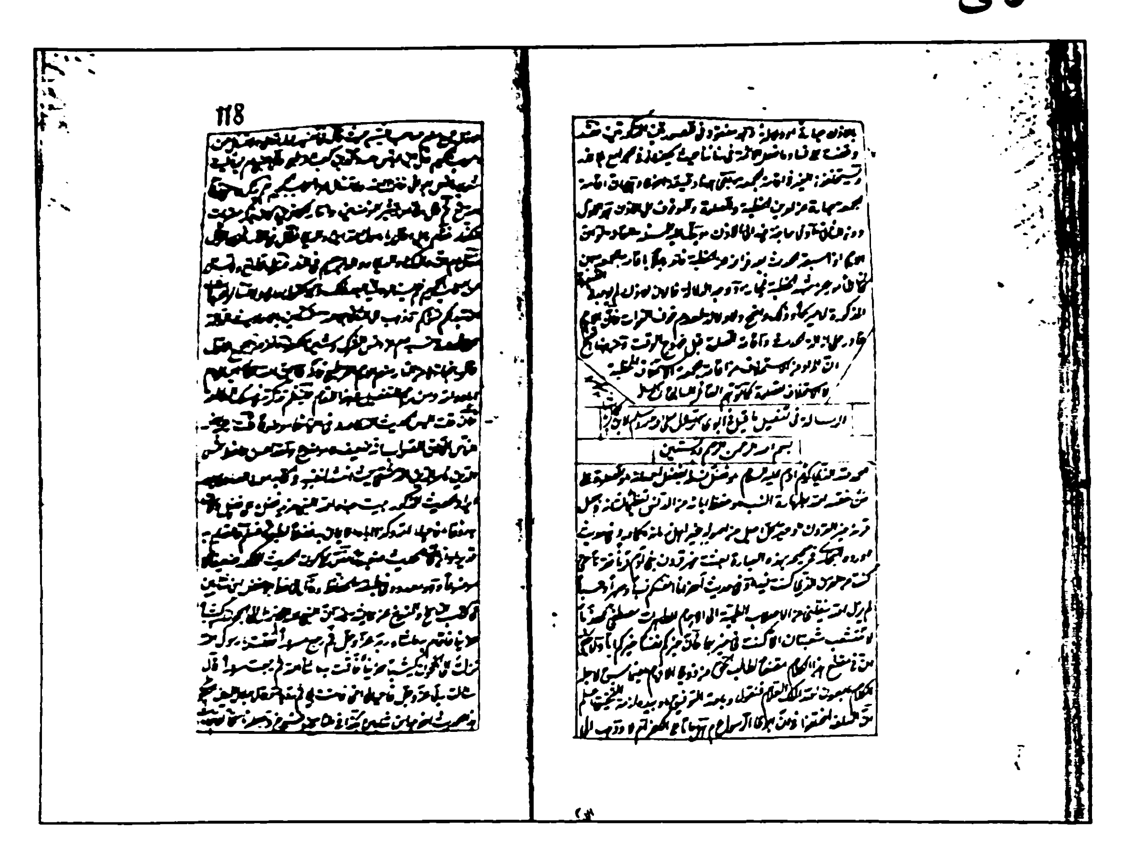
النسخة الأولى: (نسخة مكتبة حسن حسني باشا بتركيا برقم٦٥):

اللوحة الأولى:

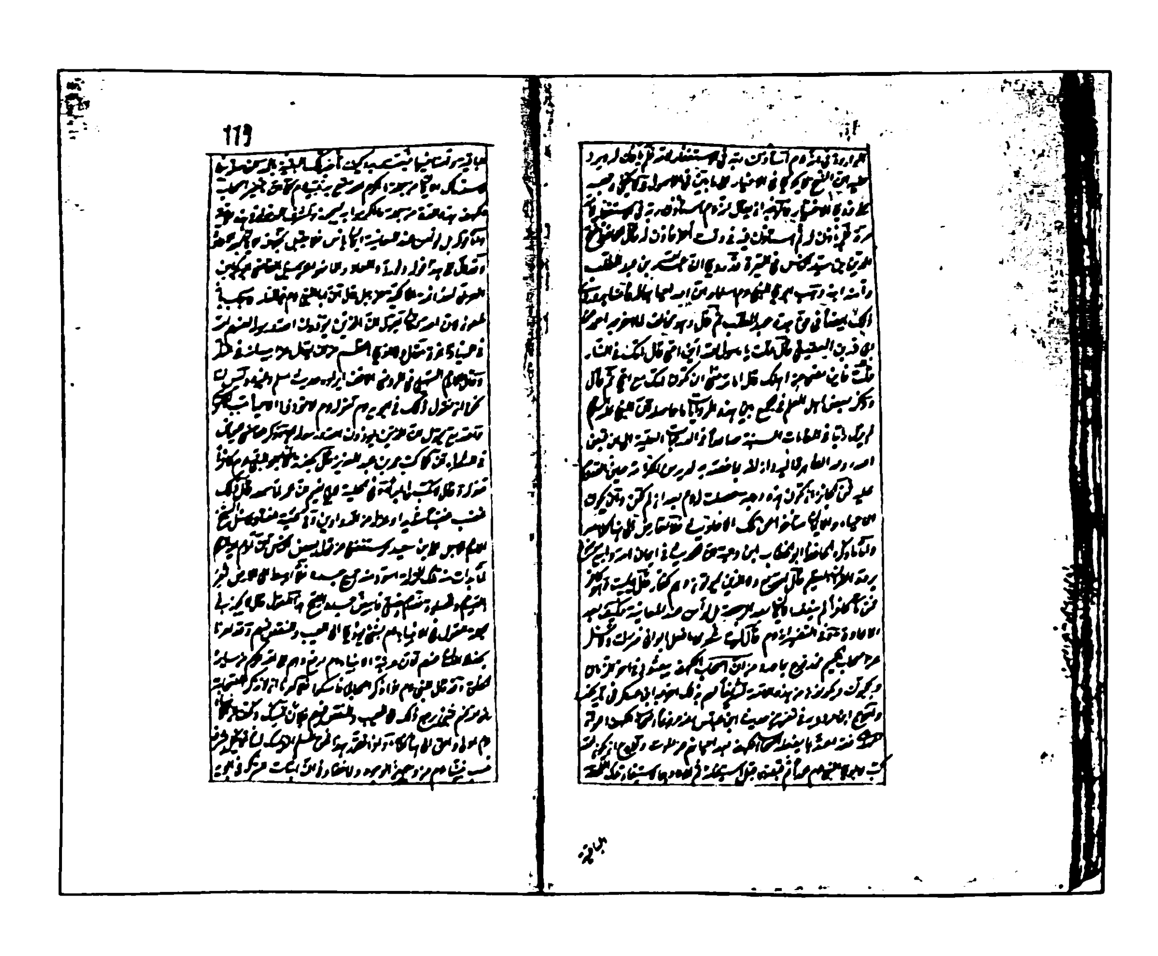
اللوحة الأخيرة:

٢- النسخة الثانية: (نسخة مكتبة عاشر أفندي بتركيا ضمن مجموع برقم: ٤٣٠):

اللوحة الأولى:



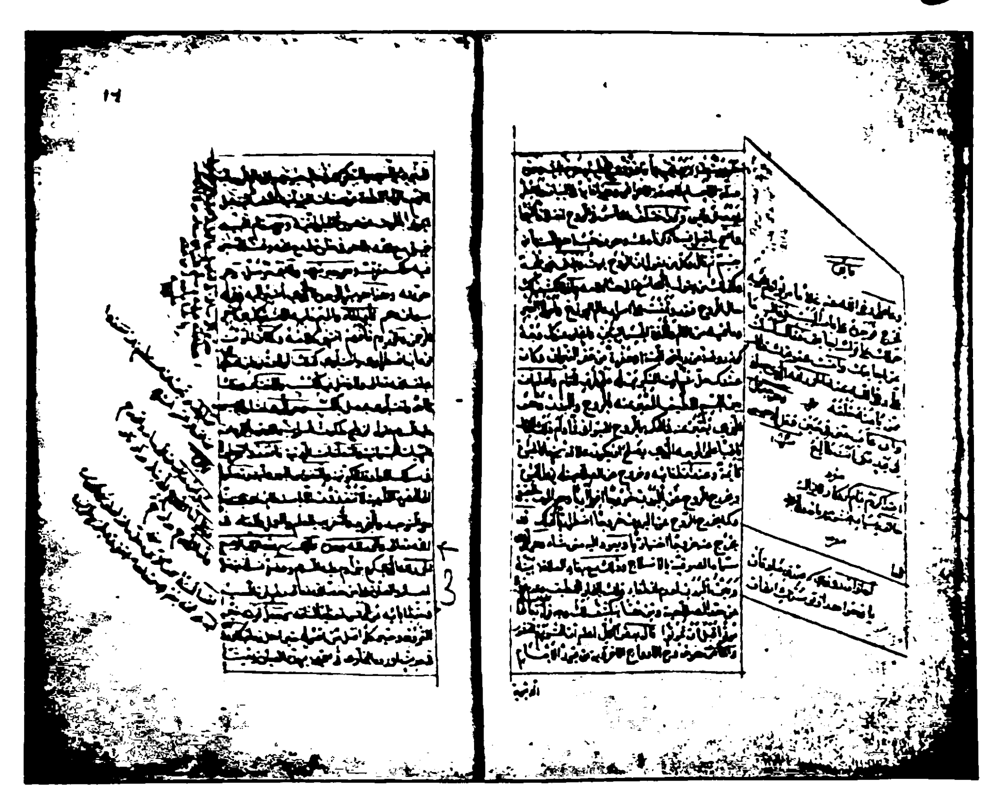
اللوحة الثانية:



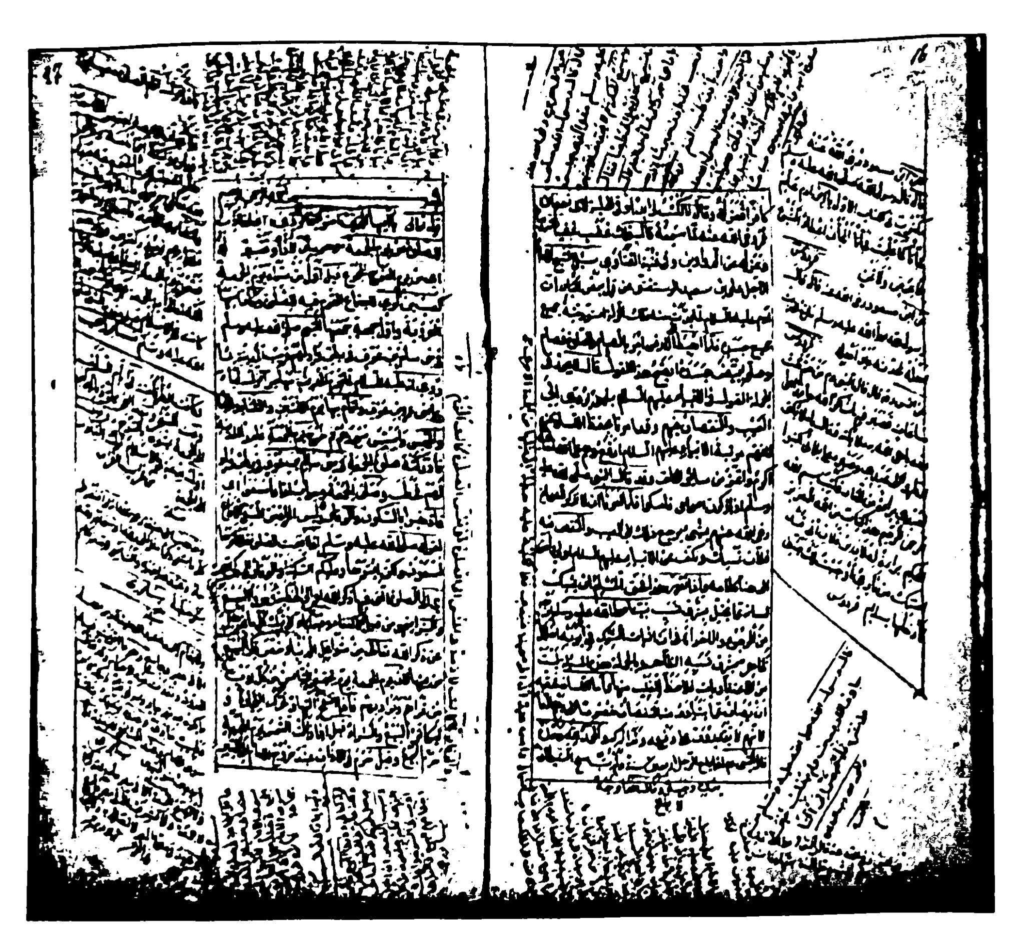
الثالثة والأخيرة:

٣- النسخة الثالثة: (نسخة قيسري راشد بتركيا ضمن مجموع برقم (٦٩٣):

اللوحة الأولى:

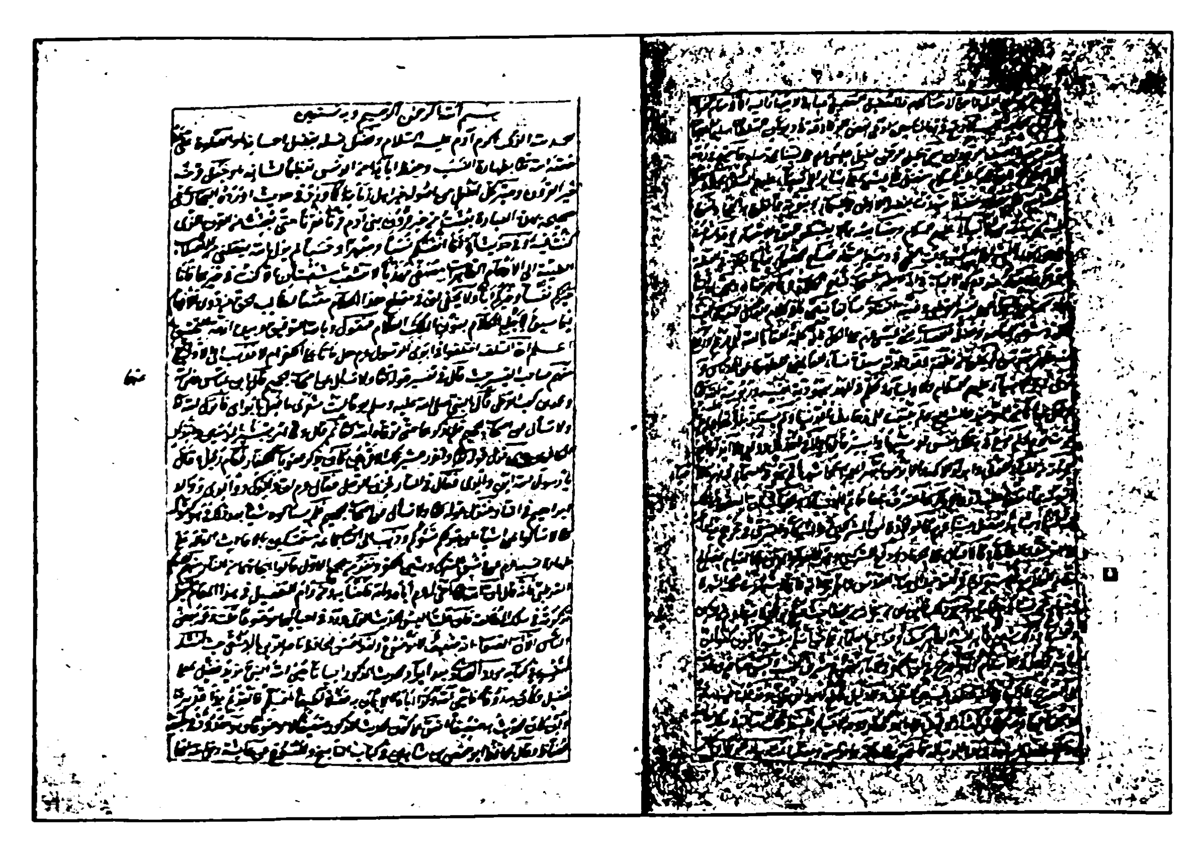


اللوحة الأخيرة:

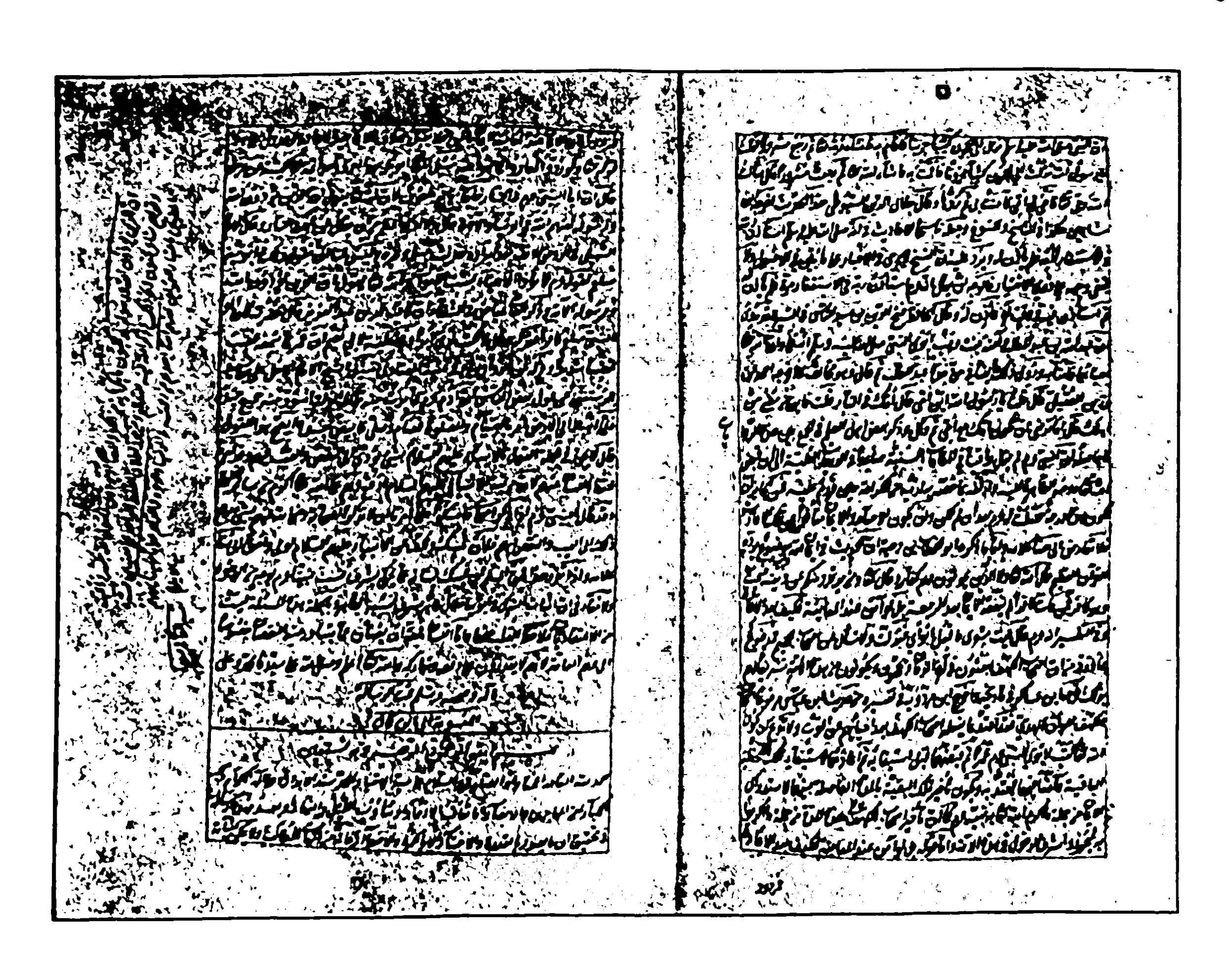


٤- النسخة الرابعة: (نسخة قيسري راشد أفندي بتركيا، ضمن مجموع برقم (١٤١):

اللوحة الأولى:



اللوحة الثانية:



النص المحقق

تفصيل ما قيل في أبوي النبي ﷺ

لابن كمال باشا

[مقدمة المصنف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي كرم آدم عليه السلام، وفضل نسله بفضل إحسانه، والصلاة والسلام على من خصَّه الله تعالى بطهارة النسب، وحفظ آباءه من الدنس، تعظيمًا لشأنه، وجعل قرنه خير القرون، وصيَّر كلَّ أصل من أصوله خير أهل زمانه، كما ورد في حديث أورده البخاري في صحيحه بهذه العبارة: «بُعِثتُ من خير قرون بني آدم قرنًا فقرنًا حتى كنتُ من القرن الذي كنتُ فيه»(١).

وفي حديث آخر: «أنا أنْفَسُكم نسبًا وصهرًا وحسبًا، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرات مصطفىً مهذَّبًا، لا تشتعب شعبتان إلا كنتُ في خيرهما»(٢). «فأنا خيركم نَفْسًا وخيُركم أبًا»(٣).

ولا يخفى أن في مقطع هذا الكلام مَقْنَعًا لطالب الحق من ذوي الأفهام فيما سيق

---

(١) سبق تخريجه (ص٣).

(٢) ذكر أوله السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٢٧)، وعزاه لابن مردويه، وأخرجه أبو نعيم في الدلائل بلفظ: («لم يلتق أبواي في سفاح، لم يزل الله عز وجل ينقلني من أصلاب طيبة إلى أرحام طاهرة، صافيا، مهذبا، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما) برقم (١٥)، وأورده ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢٥٥) وقال: «هذا حديث غريب جدًا من حديث مالك تفرد به».

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/ ١٧٥)، وقال محققه: «حديث غريب جدا من حديث مالك،

لأجله الكلام بعون الله الملك العلام، فنقول وبالله التوفيق، وبيده أَزِمَّة التحقيق:

[أقوال السلف في أبوي الرسول ﷺ]:

اعلم أن السلف اختلفوا في أن أبوي الرسول ﷺ هل ماتا على الكفر أم لا؟

[القول الأول: أنهما ماتا على غير الإسلام]:

فذهب إلى الأول جمع منهم صاحب «التيسير»(١) حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩] قال ابن عباس رضي الله عنه ومحمد بن كعب القرظي، قال النبي ﷺ يومًا: «**ليت شعري ما فعل أبواي**» فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩] فلم يذكرهما حتى توفاه الله تعالى، ثم قال: «ولما أُمِرَ بتبشير المؤمنين وإنذار الكافرين كان يذكر عقوبات الكفار، فقام رجل وقال: يا رسول الله أين والدي؟ فقال ﷺ: «**في النار**» فحزن الرجل، فقال: «**إن والدك ووالدي ووالد إبراهيم** عليه السلام **في النار**». فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]. فلم يسألوه بعد ذلك، وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ لَا تَسْـَٔلُوا عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ١٠١]»(٢).

[القول الثاني: أنهما ماتا على الإسلام]:

وذهب إلى الثاني جماعة متمسكين بالأحاديث الدالة على طهارة نسبه ﷺ من دنس الشرك وشين الكفر. ونفر من الجمع الأول قالوا بنجاتهما من النار منهم الإمام

تفرد به القدامي وهو ضعيف. قاله ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢: ٢٥٥)، وفيه عبد الله بن محمد بن ربيعة القدامي من أهل المصيصة، كان يقلب الأخبار، قلب على مالك أكثر من مائة حديث وخمسين حديثا» ذكره ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٣٩)».

(١) سبق ترجمته (ص٢٩).

(٢) التيسير في التفسير للنسفي (٢/ ٤٢٥).

القرطبي فإنه قال: «إن الله تعالى أحيا له ﷺ أباه وأمه وآمنا به»(١).

ومن رام التفصيل في هذا المقام فلينظم تذكرته في سلك المطالعة.

[إحياء أبوي النبي ﷺ]:

فإن قلت: أليس الحديث الذي ورد في إحيائهما موضوعًا؟

قلتُ: زعمه بعض الناس، إلا أن الصواب أنه ضعيف، ولقد أحسن شمس الأئمة ناصر الدين الدمشقي حيث أنشد لنفسه في كتابه «مورد الصادي» بعد إيراد الحديث المذكور:

حبا الله النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفا

فأحيا أمه وكذا أباه ... لإيمان به فضلًا لطيفا

فسلم فالقديم به قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا(٢)

نص على كون الحديث المذكور ضعيفًا لا موضوعًا، وهو معدود في طبقة الحفاظ.

وقال الحافظ أبو حفص بن شاهين في كتاب «الناسخ والمنسوخ» عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نزل الحجون كئيبًا حزينًا، فأقام به ما يشاء ربه عز وجل، ثم رجع مسرورًا، فقلتُ: يا رسول الله، نزلت إلى الحجون كئيبًا حزينًا، فأقمت به ما شاء الله تعالى عز وجل، ثم رجعت مسرورًا؟ قال: «**سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها**»(٣).

وقال جلال الدين السيوطي: «هذا الحديث أخرجه ابن شاهين هكذا في «الناسخ

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (ص١٣٨).

(٢) سبق توثيقه (ص٩٢).

(٣) ناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين (ص٤٨٩).

والمنسوخ» وجعله ناسخًا للأحاديث الواردة في أنه ﷺ استأذن ربه في الاستغفار لأمه فلم يأذن له. ويرد عليه: أن النسخ لا يجري في الأخبار، فالوجه على ما بُيِّن في الأصول، ولا يخفى وجهه على ذوي الاختيار، فالوجه أن يُقَال: إنه ﷺ استأذن ربه في الاستغفار لأمه مرة، فلم يأذن له، ثم استأذن فيه في وقت آخر فأذن له»(١).

قال الحافظ فتح الدين بن سيد الناس في السيرة: «قد رُوِيَ أن عبد الله بن عبد المطلب وآمنة ابنة وهب أبوي النبي ﷺ أسلما، وأن الله تعالى أحياهما له فآمنا به، ورُوِيَ ذلك أيضًا في حق جده عبد المطلب»، ثم قال: «وهو مخالف لما أخرجه أحمد عن أبي رزين العقيلي، قال: قلتُ: يا رسول الله أين أمي؟ قال ﷺ: «**أمك في النار**». قلتُ: فأين من مضى من أهلك؟ قال: «**أما ترضى أن تكون أمك مع أمي**».

ثم قال: وذكر بعض أهل العلم في الجمع بين هذه الروايات ما حاصله أن النبي ﷺ لم يزل راقيًا في المقامات السنية، صاعدًا في الدرجات العلية إلى أن قبض الله تعالى روحه الطاهرة إليه، وأزلفه بما خصه به لديه من الكرامة حين القدوم عليه، فمن الجائز أن تكون هذه الدرجة حصلت له ﷺ بعد أن لم تكن، وأن يكون الإحياء والإيمان متأخرًا عن تلك الأحاديث فلا تعارض» إلى هنا كلامه(٢).

[الرد على ابن دحية في حديث إيمان الأبوين بأنه موضوع]:

وأما ما ذكره الحافظ أبو الخطاب ابن دحية أن الحديث في إيمان أمه وأبيه موضوع يرده القرآن العظيم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[النساء: ١٨]. قال: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فمن مات كافرًا لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة، بل لو آمن عند المعاينة، فكيف بعد الإعادة؟ وفي التفسير: أنه ﷺ قال: «ليت

(١) نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين للسيوطي (ص٥).

(٢) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (١/ ١٥٤).

شعري ما فعل أبواي». فنزلت ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩] فمرفوع بما ورد من أن أصحاب الكهف يُبْعثُون في آخر الزمان ويحجون، ويكونون من هذه الأمة، تشريفًا لهم بذلك، أخرجه ابن عساكر في تاريخه، وأخرج ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عباس وفيه مرفوعًا: «**أصحاب الكهف أعوان المهدي**»[١]، فقد اعتد بما يفعله أصحاب الكهف بعد إحيائهم من الموت، ولا بدع أن يكون الله تعالى كتب لأبوي النبي ﷺ عهدًا، ثم قبضهما قبل استيفائه، ثم أعادهما الله تعالى لاستيفاء تلك اللحظة الباقية وآمنا فيها فيعتد به، ويكون تأخير تلك البقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الإيمان من جملة ما أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ، كما أن تأخير أصحاب الكهف بهذه المدة من جملة ما أُكرِمُوا به، ليحوزوا شرف الدخول في هذه الأمة، وأما قوله: بل لو آمن عند المعاينة، فكيف بعد الإعادة؟ فمردود بأن الإيمان عند المعاينة إيمان يأس فلا يُقبَل، بخلاف الإيمان بعد الإعادة، وقد دل على هذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨][٢].

[أقوال أكابر العلماء في إيمان أبويه ﷺ]:

سُئِلَ القاضي أبو بكر بن العربي أحد الأئمة المالكية عن رجل قال: إن أبا النبي ﷺ في النار؛ فأجاب بأنه ملعون، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧]. قال: ولا أذى أعظم من أن يُقَال عن أبيه: إنه في النار[٣].

وقال الإمام السهيلي في «الروض الأنف» بعد إيراده حديث مسلم وغيره: «وليس

---

(١) سبق تخريجه (ص١١٣).

(٢) يراجع: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (١/ ١٤٠).

(٣) المعيار المعرب للونشريسي (١٢/ ٢٥٧-٢٦٢)، المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك (١/ ١١٦)

لنا أن نقول نحن ذلك في أبويه ﷺ، لقوله ﷺ: «**لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات**»(١)، والله تعالى يقول: ﴿وَأَعَدَّ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧]»(٢).

وذكر القاضي عياض في «الشفا»: أن كاتب عمر بن عبد العزيز قال بحضرته: كان أبو النبي ﷺ كافرًا، فعزله وقال: لا تكتب لي أبدًا(٣). وفي «الحلية» لأبي نعيم: «أن عمر لما سمعه قال ذلك، غضب غضبًا شديدًا وعزله عن الدواوين»(٤).

وفي «غنية الفتاوي»: «سُئِلَ الشيخ الإمام الأجل علي بن سعيد الرستغفني(٥) عن قول بعض الناس: إن آدم عليه السلام لما بدت منه تلك الزلة اسوَدَّ منه جميعُ جسده، فلما أُهبِطَ إلى الأرض أُمِرَ بالصيام والصلاة، فصام وصلى حتى ابيض جسده، أيصح هذا القول أم لا؟ قال: لا يجوز في الجملة القولُ في الأنبياء عليهم السلام بشيء يؤدي الى العيب والنقص فيهم، وقد أُمِرنا بحفظ اللسان عنهم، لأن مرتبة الأنبياء عليهم السلام أرفع، وهم على الله تعالى أكبر من سائر الخلق. وقد قال رسول ﷺ: «**إذا ذُكِرَ أصحابي فأمسكوا**»(٦) فلما أمرنا أن لا نذكر الصحابة رضي الله عنهم بشئ يرجع ذلك إلى العيب

---

(١) سبق تخريجه (ص٩٥).

(٢) الروض الأنف (٢/ ١٢١).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢٤٢).

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم (٥/ ٢٨٤).

(٥) علي بن سعيد أبو الحسن الرستغفني من كبار مشائخ سمرقند له كتاب إرشاد المهتدي وكتاب الزوائد والفوائد في أنواع العلوم وهو من أصحاب الماتريدي الكبار، من تصانيفه: ارشاد المهتدي في أصول الدين، الزوائد والفوائد في أنواع العلوم، والفتاوى، والرستغفني بضم الراء وسكون السين المهملة وضم التاء ثالث الحروف وسكون الغين المعجمة وفى آخرها النون بعد الفاء نسبة إلى قرية من قرى سمرقند. الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١/ ٣٦٢)، ويراجع: الأعلام (٤/ ٢٩١)، معجم المؤلفين (٧/ ٩٩).

(٦) أخرجه الطبراني عن ابن مسعود وعن ثوبان برقم (١٤٢٧)، وابن عدي في الكامل عن ابن عمر

والنقص فيهم، فلأن نمسك ونكف عن الأنبياء عليهم السلام أولى وأحق» إلى هنا كلامه[١].

وإذا تقرر هذا فحق المسلم أن يمسك لسانه عما يخل بشرف نبينا ﷺ بوجه من الوجوه. ولا خفاء في أن في إثبات الشرك في أبويه إخلالًا ظاهرًا بشرف نسبته الطاهرة.

وبالجملة هذه المسألة: ليست من الاعتقاد، فلا حظ القلب منها. وأما اللسان فحقه أن يُصَان عما يتبادر منه النقصان، خصوصًا إلى وهم العامة، لأنهم لا يقدرون على دفعه وتداركه، [والحمد لله وحده][٢].

تمت

***

(٧/ ٣٥٧)، وذكره الهيثمي في المجمع برقم (١١٨٥٠، ١١٨٥١) وقال: «وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(١) غنية الفتاوى لمحمود بن أحمد بن مسعود القونوي (مخطوط).

(٢) نسخة قيسري راشد لوحة (١٧أ).

[illegible]

[illegible]

[illegible]

تَحْقِيقُ آمَالِ الرَّاجِينَ بِأَنَّ وَالِدَيِّ المُصْطَفَى مِنَ النَّاجِينَ

عَلِي بن الجزَّار المِصْرِيّ الحَنَفِيّ (٩٨٤هـ)

دِرَاسَة وَتَحْقِيق

د. عَلِي رَمَضَان الأَزْهَرِيّ

العلامة

علي بن محمد الجزار المصري الحنفي حياته وآثاره

١- اسمه ونسبه ومولده:

علي بن محمد بن الجزار المصري، الحنفي، نور الدين أبو الحسن، عالم مشارك في بعض العلوم(١).

هذا ولم تشر المصادر التي ترجمت له إلى تاريخ مولده من قريب أو بعيد.

٢- شيوخه وتلاميذه:

لم تسعفنا المصادر التي بأيدينا - والتي تحدثت بإيجاز شديد - بالكثير من المعلومات عن الشيخ علي بن محمد وعن شيوخه وتلاميذه، ولكن عند الاطلاع على المؤلفات التي خلفها لنا والفترة التي عاش فيها يتضح كثرة شيوخه، فقد صنف في التاريخ واللغة والفقه والأصول، وبالاطلاع على رسالته «تحقيق آمال الراجين» (موضوع الدراسة) تتضح ثقافة الشيخ الموسوعية وامتلاكه ناصية الموضوع، فقد حفلت بالكثير من العلوم، كما تتضح فيها ملكة الأخذ والرد والمناقشة عند الشيخ.

٣- مكانته العلمية:

ذكر مترجمو الشيخ أنه كان عالمًا مشاركًا في بعض العلوم مما يلقي بعض الضوء على مكانة الشيخ ومنزلته العلمية، ومن خلال الاطلاع على بعض مصنفاته يتبين أن الشيخ كان مهمومًا بقضايا عصره والحوادث التي وقعت في زمانه، فقد صنف كتابه «تحصين المنازل من هول الزلازل» بمناسبة وقوع زلزلة بمصر عام ٩٨٤ هـ، ورسالته

---

(١) تراجع ترجمته في إيضاح المكنون (١/ ٢٦٥)، معجم المؤلفين (٧/ ٥١، ١٨٨)، هدية العارفين (١/ ٧٤٨).

التي معنا «تحقيق آمال الراجين» يبدو كذلك أنها صنفها لأنها كانت مثار بحث وأخذ ورد في زمانه، وذلك ما يفيده كلامه في المقدمة.

٤- مصنفاته:

المطالع لما سطره بنان العلامة ابن الجزار يتبين له تنوع معارفه وثقافته والعلوم التي برع فيها من فقه، وتاريخ، وعقيدة، ولغة وغيرها، وأنه كان متأثرًا بالعلوم التي ذاعت وشاعت في القرن العاشر الهجري، ومن ثم فقد تعددت وتنوعت مصنفات العلامة ابن الجزار في التاريخ والسيرة والعقيدة والفقه غيرها، وهاهي أسماء بعض مؤلفاته:

تحصين المنازل من هول الزلازل؛ ألفه بمناسبة وقوع زلزلة بمصر عام ٩٨٤ هـ.

تحقيق آمال الراجين في أن والدي المصطفى ﷺ بفضل الله تعالى في الدارين من الناجين.

قمع الواشين في ذم المبشرين.

تحقيق الفرج والأمان والفرح لأهل الايمان بدولة السلطان سليم خان.

تحقيق السؤل والمنى في الكلام على أولاد الزنى.

القول الجلي في أخبار مصر - في التاريخ

القول الحق في أن سيدنا محمد ﷺ أفضل الخلق - في العقائد.

السر المصطفوي في الطب النبوي[١].

---

(١) يراجع: معجم المؤلفين (٧/ ١٨٨)، كشف الظنون (١/ ٣٦٠)، هدية العارفين (١/ ٧٤٨)، المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع (٢/ ٥٦)، معجم تاريخ التراث (٣/ ٢١٢٣)، خزانة التراث (الرقم التسلسلي: ٤٦٦٩١، ٤٦٦٩٢، ٤٩٨٠٥).

٥- وفاته:

بعد أن عاش العلامة ابن الجزار حياة حافلة بالتعلم والتعليم والتصنيف توفي في الربع الأخير من القرن العاشر الهجري، ويبدو لمن يطالع ترجمته أن المترجمين له قد أجمعوا على وفاته سنة ٩٨٤هـ[1].

***

(١) يراجع: معجم المؤلفين (٧/ ١٨٨)، هدية العارفين (١/ ٧٤٨)، معجم تاريخ التراث (٣/ ٢١٢٣).

رسالة ابن الجزار اسمها ونسبتها

وسوف يدور الكلام حول:

١- اسم الرسالة:

وردت هذه الرسالة في كتب التراجم والفهارس باسم: «تحقيق آمال الراجين بأن والدي المصطفى من الناجين»، فقد وردت بهذا الاسم في معجم المؤلفين (٧/ ٥١)، هدية العارفين (١/ ٧٤٨)، وفي كشف الظنون (١/ ٣٧٧)، ومعجم تاريخ التراث الإسلامي (٣/ ٢١٢٤).

٢- نسبة الرسالة إلى مؤلفها:

يثبت نسبة هذه الرسالة للعلامة علي بن محمد بن الجزار أمور منها:

١ – ما جاء على طرة هذه الرسالة مما يثبت صحة نسبتها للعلامة ابن الجزار.

٢– نسبتها إلى مصنفها في كتب التراجم والفهارس، حيث وردت نسبتها إلى المصنف في: «معجم المؤلفين» (٧/ ٥١)، «هدية العارفين» (١/ ٧٤٨)، «معجم تاريخ التراث» (٣/ ٢١٢٤)، «معجم ما أُلِّف عن رسول الله» (ص٥١)، «معجم ما كتب عن رسول الله وآل بيته» (١/ ٣٥٨).

٣– أنه لم يرد ما ينفي صحة نسبتها له رحمه الله تعالى.

٣- مصادره في الرسالة:

رجع العلامة ابن الجزار إلى مصادر متنوعة في هذه الرسالة، منها ما صرح به ومنها ما لم يصرح به، ومن المصادر التي ذكرها صراحة في رسالته مرتبة حسب حروف المعجم:

الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ).

إكمال إكمال المعلم لفوائد كتاب مسلم، محمد بن خلفة الأبي (ت: ٨٢٧هـ).

البداية والنهاية، لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ).

تحقيق الآمال في قمع أهل البغي والضلال، لابن الجزار (ت: ٩٨٤هـ).

التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي (ت: ٦٧١هـ).

تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ).

تفسير ابن مردويه (ت: ٤١٠هـ).

تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ).

الجامع الصغير للسيوطي (ت: ٩١١هـ).

خادم الرافعي والروضة، للزركشي (ت: ٧٩٤هـ).

دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ).

ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، للمحب الطبري (ت: ٦٩٤هـ).

الروض الأنف بشرح سيرة ابن هشام، للسهيلي (ت: ٥٨١هـ).

السابق واللاحق، للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ).

سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت: ٣٨٥هـ).

شرح النووي على صحيح مسلم، للإمام النووي (٦٧٦هـ).

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ).

العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير، للرافعي (ت: ٦٢٣ هـ).

عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس (ت: ٧٣٤هـ).

غرائب مالك بن أنس، للدارقطني (ت: ٣٨٥هـ).

فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العقلاني (ت: ٨٥٢هـ).

فوائد تمام، أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر الرازي ثم الدمشقي (ت: ٤١٤هـ).

القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ).

كفاية النبيه في شرح التنبيه، أحمد بن محمد بن علي الأنصاري، أبو العباس، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة (المتوفى: ٧١٠هـ).

مسالك الحنفا في والدي المصطفى، للسيوطي (ت: ٩١١هـ).

المستخرج على المستدرك للحاكم (أملاها العراقي في مجالس)، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت: ٨٠٦هـ).

المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم (ت: ٤٠٥ هـ).

مسند إسحاق بن راهويه، أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه (ت: ٢٣٨هـ).

مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ).

مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار (ت: ٢٩٢هـ).

معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ).

المقنع في فقه الإمام أحمد لموفق الدين ابن قدامة (ت: ٦٢٠هـ).

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني (ت: ٩٢٣هـ).

ناسخ الحديث ومنسوخه لأبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين (ت: ٣٨٥هـ).

٤- وصف نسخ المخطوط:

رجعت في تحقيق هذه الرسالة إلى نسختين خطيتين:

النسخة الأولى: وهي نسخة المكتبة التيمورية برقم (٥٢٨ عقائد)، وبالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي:

١- تقع هذه النسخة في ٢٨ لوحة، وفيها لوحات مكررة، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة ١١ سطرًا، في كل سطر ١١ كلمة في المتوسط، وقد كتبت بمداد أسود، والعناوين بمداد أحمر، بخط نسخ حسن، وهي نسخة كاملة قد خلت من السقط.

٢- اسم الناسخ: لم يذكر في هذه النسخة اسم ناسخها، ولا تاريخ نسخها.

النسخة الثانية: نسخة المكتبة التيمورية برقم (٥٣٠ عقائد)، وبالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي:

١- تقع هذه النسخة في ١٥ لوحة، وفيها لوحات مكررة، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة ١١ سطرًا، في كل سطر ١١ كلمة في المتوسط، وقد كتبت بمداد أسود، والعناوين بمداد أحمر، بخط نسخ حسن، وهي نسخة سقط منها جزء ألحقه المصنف بالنسخة الأولى في آخرها، وهو عبارة عن ثلاثة أحاديث نقلها المصنف من الجامع الصغير للسيوطي تتحدث عن الأمر بعدم إيذاء النبي ﷺ في عمه وابن عمه علي ﷺ

وعدم إيذاء شعرة منه ﷺ.

٢- اسم الناسخ: لم يذكر في هذه النسخة اسم ناسخها، ولا تاريخ نسخها.

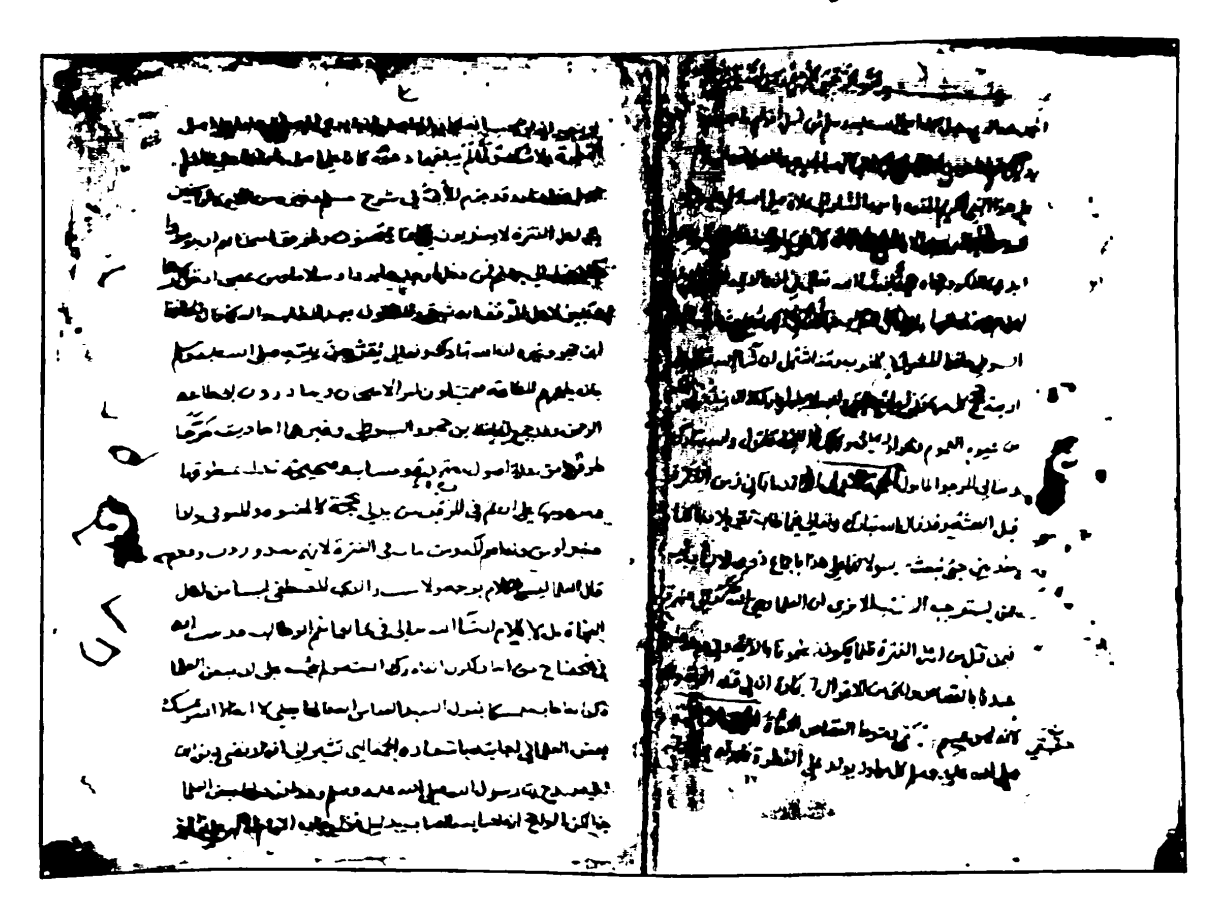
٦- صور من المخطوط، بدايته ونهايته؛ للنسخ التي اعتمدت عليها في تحقيق النص.

النسخة الأولىٰ:

اللوحة الأولىٰ: بداية المخطوط

اللوحة الثانية: نهاية المخطوط:

اللوحة الأولى: بداية المخطوط:



اللوحة الثانية: نهاية المخطوط:



النص المحقق

الحمد لله الذي جعل محمدًا ﷺ من نسل أقوام ماجدين، بدليل قوله عز من قائل: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾، والصلاة والسلام على هذا النبي الكريم المنوه باسمه، المشار إلى علاه ﷺ وأصحابه ومن والاه، أما بعد:

فهذه أوراق لطيفة، وكلمات طريفة، أبدعها الفكر وحجاه، حجة إن شاء الله تعالى في أن والدي المصطفى ﷺ من أهل النجاة، لخصتُها بالبيان المعرِب[1] مما أَلَّف في ذلك شيخ مشايخنا الجلال السيوطي حافظ المشرق والمغرب.

وقد اشتملت إن شاء الله تعالى على أربع حجج، كل منها قدر مئة حجة، والله أرجو ببركته أن ينقذني ويخلصني من غيوم الغموم والهلكات وتلك اللجة، فأقول والله المرجو المأمول:

الحجة الأولى:

أنهما قد ماتا في زمن الفترة قبل البعثة، وقد قال الله تبارك وتعالى فيما طاب تنزيلًا: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] فهما على هذا بإجماع ذوي الألباب ليسا ممن يستوجب العذاب، ألا ترى أن العلماء رضي الله تعالى عنهم قالوا فيمن قُتِلَ من أهل الفتْرة ظلمًا يكون مضمونًا بالدية، بل وفي وجه ضعيف عندنا بالقصاص. والحق من الأقوال المختارة أن في قتله الدية والكفارة.

***

(١) جاء في المعجم الوسيط: « (أعرب) فلان كان فصيحا في العربية وإن لم يكن من العرب والكلام بينه وأتى به وفق قواعد النحو وطبق عليه قواعد النحو وبمراده أفصح به ولم يوارب وعن حاجته أبان» (٢/ ٥٩١).

الحجة الثانية:

قوله ﷺ: «**كل مولود يُولَد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه**»[(١)]، فكان الحاصل أن أبوي المصطفى وُلِدَا على أصل الفطرة بلا شك ولما لم تبلغهما دعوة، كانا على أصل ما وُلِدَا عليه، إذ لم يحصل منهما عناد.

وقد جزم الأبي[(٢)] في شرح مسلم، وغيرُه من الأئمة الراسخين بأن أهل الفترة لا يُعذَّبون، وإنما يُمتحَنون. وطريق امتحانهم أن يؤمروا بالدخول إلى جهنم، فمن دخلها وجدها بردًا وسلامًا، ومن عصى أُدْخِلَها كرهًا، وتبين لأهل الموقف أنه شقي، والمظنون بعبد المطلب وآله كما قال الحافظ ابن حجر وغيره: «أن الله تبارك وتعالى يقر عين نبيه ﷺ بأن يلهمهم الطاعة، فيمتثلون أمر الامتحان، ويبادرون إلى طاعة الرحمن»[(٣)].

وقد جمع الحافظ ابن حجر والسيوطي وغيرهما أحاديث خرَّجا طرقها من عدة أصول معتمدة، ومسانيد صحيحة تدل بمنطوقها ومفهومها على أن ثَمَّ في الموقف من يدلي بحُجَّة كالمعتوه والمتوفى ولدًا صغيرًا، ومن وُلِدَ أصم أكمه، ومن مات في الفترة؛ لأنهم معذورون، وقد قال العلماء ليس للكلام وجه ولا سبب بأن والدي المصطفى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٣٨٥)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٥٨).

(٢) محمد بن خلفة بن عمر الأَبِيِّ الوشتاني المالكي: عالم بالحديث، من أهل تونس. نسبته إلى (آبَه) من قراها. ولي قضاء الجزيرة، سنة ٨٠٨هـ له (إكمال إكمال المعلم، لفوائد كتاب مسلم – ط) سبعة أجزاء، في شرح صحيح مسلم، جمع فيه بين المازري وعياض والقرطبي والنووي، مع زيادات من كلام شيخه ابن عرفة، و (شرح المدونة) وغير ذلك، مات بتونس سنة ٨٢٧هـ. الأعلام (٦/ ١١٥)، ويراجع: البدر الطالع (٢/ ١٦٩)، شجرة النور الزكية (١/ ٣٥١).

(٣) إكمال إكمال المعلم لفوائد كتاب مسلم (١/ ٣٦٩)، مع شرحه مكمل إكمال المعلم للسنوسي، ط: دار الكتب العلمية، ويراجع: الحاوي (مسالك الحنفا) (٢/ ٢٤٥).

ليسا من أهل النجاة، بل لا كلام إن شاء الله في نجاتهما.

نعم أبو طالب قد ثبت أنه في ضحضاح من النار، لكون أنه أدرك البعثة ولم يُجِبْ. على أن بعض العلماء ذكر أنه أجاب متمسكًا بقول السيد العباس أنه قالها، يعني: لا إله إلا الله. وتمسك بعض العلماء في إجابته بأشعاره الجمة التي تشير إلى أنه ارتضى دين ابن أخيه، ومدح بها رسول الله ﷺ، وقد أفرد لها بعض العلماء جزءًا، ولكن الراجح أنه أصابه ما أصاب، بدليل قول ولده الإمام الأكبر ﷺ لما هلك: يا رسول الله، إن عمك الشيخ الضال قد مات. فقال له رسول الله ﷺ: «**اذهب فواره**»[١]. وبدليل ما رويناه في عوالينا الصحاح من قول رسول الله ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**»[٢]. وإن الله تبارك وتعالى نهاه بقوله عز من قائل: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣].

فأما والد النبي ﷺ وأمه فلم يدركا الدعوة الشريفة ألبتة، فكانا معذورين بإطباق أهل العلم، وبإجماع أهل الفضل بلا شبهة، بدليل الآية الشريفة التي قدمناها إلى غير ذلك من الآيات، بدليل قوله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣١]، وكقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ [طه: ١٣٤]، وقوله تعالى:

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، وقال محققه «حسن» برقم (٣٢١٤)، والنسائي في سننه برقم (١٩٠)، وأحمد في المسند، وقال محققه: «إسناده ضعيف» برقم (١٠٧٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم (١٣٦٠).

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ [القصص: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٧] فقد أحال الله تبارك وتعالى عذاب الصغير منهم والكبير على مجئ النذير. فهذه آيات فيها حجج ظاهرة، وبراهين قوية على أن المعذور بعدم التبليغ والكتاب ليس من أهل العقاب ولا العذاب.

وقد شهدت السنة الشريفة أيضًا في الحديث الشريف الصحيح والحسن والمشهور بأنه لا عذاب ولا ملامة على معذور.

وقد روينا في مسند الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وتفسير ابن مردويه وكتاب «الاعتقاد» للبيهقي ما دل على ذلك تصريحًا[١]، ورفعًا في «مسند البزار»: «أنه يُؤتَى بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود، فيقول الهالك في الفترة: لم يأتني كتاب ولا رسولٌ. ويقول المعتوه: أي ربِّ لم تجعل لي عقلًا أعقلُ به خيرًا ولا شرًّا. ويقول المولود: لم أدرك العمل. قال: فيُرفَع لهم نارٌ فيُقَال لهم: رِدُوها أو قال ادخُلُوها، فيَدخلها من كان في علم الله سعيدًا أن لو أدرك العمل، قال: ويُمسِكُ عنها من كان في علم الله شقيًّا أن لو أدركَ العملَ، فيقولُ تباركَ وتعالى: إيَّايَ عَصَيتُم، فكيف برسلِي بالغيبِ»[٢].

وفي هذا الباب من الأحاديث الشريفة ما لا يكاد يحصر في كتاب.

قال الإمام الرافعي في الشرح: «من لم تبلغه الدعوة لا يجوز قتله قبل الإعلام والدعاء إلى الإسلام، ولو قُتِلَ كان مضمونًا خلافًا لأبي حنيفة. ومبنى الخلاف على أنه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم (١٦٣٠١)، وقال محققه: «حديث حسن»، وإسحاق بن راهويه في مسنده برقم (٥١٤)، والبيهقي في الاعتقاد (ص١٦٩).

(٢) أخرجه البزار في مسنده برقم (٩٥٩٧)، والهيثمي في كشف الأستار على زوائد البزار برقم (٢١٧٤)، وذكره في المجمع برقم (١١٩٣٨)؛ وقال: «رواه البزار، وفيه عطية وهو ضعيف».

محجوج بالعقل عنده. وعندنا من لم تبلغه الدعوة لا تثبت عليه الحجة، ولا تتوجه عليه المؤاخذة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]) انتهى[١].

ولا يخفى ما قرره من أن شكر المنعم واجب بالشرع لا بالعقل خلافًا للمعتزلة. ومما يؤيد أن كل مولود يولد على الفطرة ما ذكره الإمام النووي في شرح مسلم من أن أولاد الكفار الأطفال يكونون في الجنة على المذهب الصحيح المختار[٢]، قال بعض أهل العلم: يكونون خدَّامًا لأهلها» انتهى[٣]. ولنا مناقشة في ذلك تطلب من كتابنا «تحقيق الآمال في قمع أهل البغي والضلال»[٤].

وقد علل ابن الرفعة في «الكفاية» كون أن القتل المذكور آنفًا مضمونًا بالدية والكفارة كون أن المقتول مولود على الفطرة[٥].

لا يُقال: أليست دعوة عيسى كانت مستمرة في ذلك الزمان، فلأي شئ لم يعلم بها الأبوان؟ لأنا نقول: والد النبي ﷺ وأمه كانا معذورين لصغرهما، ولبعد المدة، ولانتشار الجاهلية، فإن والده كان بعد حمل آمنة ابن ثمانية عشر سنة، وكانت آمنة أيضًا قريبًا من ذلك، وقد خرج عبد الله ليمتار تمرًا لأهله من المدينة الشريفة، فمات عند أخواله من بني النجار، فلما كان حديث السن وكان العمى والجاهلية قد عمر يومئذٍ إيوانه، ونصب كرسيه وديوانه، وكانت آمنة أيضًا مخدَّرة محجَّبة ليست أهلًا للمناقشة، ولا ذات أهبة للمباحثة، فكانت معذورة، بل كان من هو أكبر منها سنًّا من عظماء العرب لا يفقه

---

(١) العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير (١١/ ٣٨٠).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٢٠٨).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٤٦).

(٤) تحقيق الآمال في قمع أهل البغي والضلال (مخطوط).

(٥) كفاية النبيه في شرح التنبيه لابن الرفعة (١٦/ ٧٧).

ذلك، ألا ترى إلى عجب أهل مكة من بعثته ﷺ جهلًا منهم قائلين: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤]، وقائلين: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ١٤]، وكل ذلك لقوة الجهالة ببعد مدة الفترة، إذ كان زمن الفترة نحو ستمئة سنة، وكان بينهم وبين شريعة إبراهيم أزيد من ثلاثة آلاف سنة.

وقال ابن عبد السلام في أماليه: ما أُرسِلَ إلى قومه إلا نبينا ﷺ، قال: فعلى هذا يكون ما عدا قوم كل نبي من أهل الفترة إلا ذرية النبي السابق، فإنهم مخاطبون ببعثة السابق، إلا أن تندرس شريعة السابق، فيصير الكل من أهل الفترة، فظهر بذلك أن الوالدين من أهل الفترة بلا شك، لأنهما ليسا من ذرية عيسى ولا قومه، ولا كان الزمان بعيسى ولا الدولة له[١].

ومما يدل صريحًا على صحة قول الحافظ ابن حجر أن المظنون بعبد المطلب وآله الطاعة لله تعالى عند الامتحان ما أثبتناه في مروياتنا وعوالينا الصحاح، كما هو ثابت وارد عند الأئمة والحفاظ من أنه ﷺ يقال له يوم القيامة: «سل تعط»[٢]، فلا غرو ولا عجب من أنه إذا سأل شيئًا في أبويه أُعطِيه.

ويرشح هذا المعنى ما رواه الحاكم في «المستدرك» وصححه من أن شابًّا سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت أبويك في النار؟ فقال: «**ما سألتهما ربي، فيعطيني فيهما، وإني لقائم يومئذٍ المقام المحمود**»[٣].

---

(١) يراجع: الأجوبة القاطعة لحجج الخصوم للأسئلة الواقعة في كل العلوم، أو أمالي العز بن عبد السلام، تحقيق: محمد خير رمضان، ط: دار ابن حزم، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٢٨٢٤)، وقال محققه: «رجاله رجال الصحيح»، والبزار برقم (٧٦)، والطبراني برقم (١٤٣١٥).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٢٥٥٩)، والحاكم برقم (٣٣٨٥)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

وما رويناه ورواه الحفَّاظ والمفسرون في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] من أنه ﷺ لا يرضى وأحد من آل بيته في النار، بل روينا أنه: «لا يرضى وأحد من أمته في النار»(١).

ومن أعظم برهان يقمع العدو المخذول، ويردع الحاسد الجهول ما رواه تمام الرازي في فوائده بسند ضعيف عن قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان يوم القيامة شفعتُ لأبي وأمي وعمي أبي طالب، وأخ لي كان في الجاهلية»**(٢). وقد أورد هذا الحديث أيضًا المحب الطبري في كتابه «ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى»(٣).

قال حافظ المشرق والمغرب الجلال السيوطي بعد نقله لهذا الحديث في كتابه «مسالك الحنفا»: «إن الحافظ الطبري من الحفَّاظ والفقهاء»، وقال: قال الحافظ الطبري: «إن ثبت فهو مؤول في حق أبي طالب بأن الشفاعة تنفعه في تخفيف العذاب عنه»(٤). قال الحافظ السيوطي: وقد أخرج هذا الحديث أيضًا الحافظ أبو نعيم مصرِّحًا فيه بأن الأخ كان من الرضاعة. انتهى(٥).

قلتُ: هو كذلك لأن أمه لم تلد غيره.

وإن مدلول قول الله تعالى له: «سل تعط» ومدخولها الحيز الكبير الذي لا يجوز أن يُحصَى ولا يصح أن يُستقصَى، [يدل على أنه] مهما شفع فيه ﷺ كان مقبولًا، وبلغ به مأمولًا، والله تبارك وتعالى أعلم.

---

(١) يراجع: الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٥١).

(٢) أخرجه تمام في فوائده برقم (١٠٩٥)؛ وقال: «الوليد بن سلمة منكر الحديث».

(٣) ذخائر العقبي (ص٧).

(٤) مسالك الحنفا ضمن الحاوي (٢/ ٢٥١)، ويراجع: ذخائر العقبى للمحب الطبري (ص٧).

(٥) مسالك الحنفا (٢/ ٢٥٢).

وقد روى ابن أبي الدنيا وغيره من الحفاظ: أنه ﷺ سأل ربه تعالى أن يهبه أبناء العشرين من أمته، وأنه تعالى وهبه ذلك[١]. وقد بلغنا كما قدمنا أن عبد الله والد النبي ﷺ كان سنه عام الحمل الشريف ثمانية عشر عامًا، وأن أمه كانت قريبًا من ذلك، وأنه خرج يمتار التمر فمات.

والأحاديث الواردة في الشفاعة خصوصًا لأهل البيت الشريف، وفي أن كل من شفع فيه النبي ﷺ يتأهل ويتأهب بحيث يسوغ له أن يشفع، وفي أن إبليس يتطاول طمعًا أن ينال من الشفاعة أو الرحمة شيئًا لما يرى من عمومها أكثر من أن تُحصَى، وأكبر من أن تُستقصَى، فدل ذلك كله تصريحًا وتلويحًا أن أبوي المصطفى ﷺ من أهل النجاة بلا كلام، وممن- كما سيأتي - ثبت له حق الإسلام.

وقد أطنب الشيخ شهاب الدين القسطلاني في كتابه «المواهب» في هذا المعنى غاية الإطناب، وسدَّ على كلِّ متعصب كل باب، واتفق رأيه ورأينا ورأي العلماء كما ذكرناه في الوالد الشريف لنبينا على أن من تعرَّض له الآن بسب أو نسبه لشر كان مؤذيًا لرسول الله ﷺ، ومن آذى رسول الله ﷺ فقد كفر ووجب ضرب عنقه، ولا حظ له في خيري الدارين.

ومن أتم الفوائد ما نقله البدر الزركشي في «الخادم» عن أبي دحية الكلبي أن من أنواع الشفاعة الشريفة نوعًا يخفف به عن أبي لهب في عذابه في كل يوم اثنين، لكونه سُرَّ بولادة النبي ﷺ فيه، ولإعتاقه ثويبة يومئذٍ في نظير تبشيرها له بذلك[٢].

---

(١) أورده السيوطي في الجامع الصغير»، وعزاه لابن أبي الدنيا برقم (٦٩٦٥)، والرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (٤/ ٦٧).

(٢) يراجع: نهاية السول في خصائص الرسول لابن دحية (ص٧٣)، المواهب اللدنية (١/ ٨٩).

وللحافظ الأبي كلام مبسوط في شرحه لمسلم يؤيد هذا ويوضحه ويرد على مخالفه، فراجعه تفز به.

والحاصل: أن أهل الفترة معذورون، ولا يتوجه عليهم عذاب إلا من استُثني منهم ممن ورد عذابه كصاحب المحجن وغيره، وإلا من شرع عبادة الأوثان، وسن البحيرة والسائبة والوصيلة، وبدَّل وغيَّر وحرَّف، لأن الله تبارك وتعالى أن يفعل ما يشاء، ويخص من يشاء بما شاء ثوابًا وعقابًا. على أن الأدلة القواطع لا يعارضها الأخبار الآحادية الظنية، أن لو اعترض معترض أو وهم جاهل بالقياس عليها.

***

الحجة الثالثة:

أن الأبوين الشريفين لم يثبت عنهما نصب شرك من الأشراك لتحصيل أنواع الكفر أو الإشراك، بل كانا على الملة الحنيفية دين جدهما إبراهيم ﷺ. ومن هذا القبيل كان ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم سيدتنا خديجة رضي الله عنها، وهذا هو المذهب الحق المنصور إن شاء الله تعالى، كما ذهب إليه الإمام فخر الدين الرازي في «أسرار التنزيل» وغيرُه في غيرِه قائلين[1]: بأنه لم يكن في أصول النبي ﷺ أحد مشركًا قط بدليل قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩]، وأن آزر كان عم إبراهيم ولم يكن أبًا له حقيقة، من باب أن عم الرجل صنو أبيه، كما يُقَال في السيدة نفيسة رضي الله عنها إنها بنت زين العابدين، والحال أنه عمها، لكن لما كفلها تربيةً نُسِبَت إليه، وإلا فأبوها حقيقة السيد الحسن الأنور ابن زيد الأبلج ابن الحسن السبط ابن الإمام الأكبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكرَّم وجهه.

ومن أدل دليل على طهارة أصول المصطفى قوله ﷺ: «**لم أزل أُنقَل من الأصلاب الطاهرين إلى الأرحام الطاهرات**»، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨] فوجب أن لا يكون واحد من أجداده مشركًا.

كيف وقد روينا أنه: «لم تلتق شعبتان إلا كان نبينا في خيرهما، وأنه ﷺ لم يخرج من سفاح قط من أول آدم إلى أبيه»[2] بل من نكاح صحيح، وعقد رجيح في الصحة غير شحيح، و: «إن الله تبارك وتعالى اصطفى من ولد آدم إبراهيم، واصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفى من بني هاشم نبي الرحمة والشفاعة

---

(١) أي وغيره من الأئمة في غير هذا الكتاب من الكتب التي عنيت بهذا الأمر.

(٢) سبق تخريجه (ص٣٤).

والملحمة والساعة محمدًا ﷺ»[1]. كل ذلك ثابت عند الأئمة والحفَّاظ حسبما رووه بمحاسن صرائح الألفاظ، وإلى ذلك الإشارة في بردتنا الكبرى:

من نسل قوم كرام طاب عنصرهم جاء المكمل فضل الرسل كلهم
فإن ربي اصطفى من خَلقِه عربًا وكان فضل قريش غير منخرم
واستخلص الله من أعلى خلاصتهم طرًا بني هاشم أعظم بعزهم
ومنهم استخلص الله الحبيب فلن ترى أصولًا كأصل المصطفى بهم
أصل أصيل عريق من سلالة أب وأم كرام لهم فضل على الأمم
الصابرين إذا ما البؤس حل بهم الصائنين وجوهًا عن سؤالهم
هم السراة الذين تسعى الوفود لهم لتستمد الندى من فيض فضلهم
حماهم حرم للقاصدين وقد أحل صيد الندى في ذلك الحرم
هم كعبة الجود ركن المجد بيت هدًى لمن تعلق في أستار عفوهم
عرب كرام من الجود اكتسوا حللًا مما لهم نعم من قولهم نعم
فالغيث في المحل يستسقى بهم فإذا ما مسك الضيم لذ يوما بحبهم
لا يعقد الأمر إن حلوه قط ولا يحل أمرًا عزوه بعقدهم
هم الصدور وأصحاب الكلام بلا شك وأحمد معروف بصدرهم

ولنا من القصائد في مدح أبوي المصطفى كافيَّتان كافيتان فراجعهما تفز بهما، وبالله تعالى المستعان.

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير في تاريخه: «كانت العرب على دين إبراهيم إلى أن ولي عمرو بن لحي الخزاعي بمكة، وانتزع ولاية البيت من أجداد النبي ﷺ، فأحدث

---

(١) سبق تخريجه (ص١١٨).

عمرو المذكور عبادة الأصنام، وشرع للعرب الضلالات من السوائب وغيرها، وزاد في التلبية بعد قوله: «لبيك لا شريك لك» قوله: «إلا شريكًا تملكه وما ملك»[١].

قال الحافظ السيوطي بعد نقله وتخريجه وإثباته لروايات: «لا تسبوا ربيعة ولا مضر فإنهما كانا مؤمنين»[٢]، وفي رواية: «كانا مسلمين»، إلى غير ذلك مما يدل على توحيد العرب وإخلاصهم لله تعالى، تحصل من هذا أن آباء النبي ﷺ من عهد إبراهيم إلى كعب بن لؤي كانوا كلهم على دين إبراهيم.

وأما ولد كعب فالظاهر أنه كان كذلك، لأن أباه أوصاه بالإيمان، وبقي بينه وبين عبد المطلب أربعة آباء وهم: كلاب، وقصي، وعبد مناف، وهاشم، ولم أظفر فيهم بنقل لا بهذا ولا بهذا». انتهى كلام السيوطي[٣].

قلتُ: والأصل استمرار الإيمان، لأن ولد المؤمن مؤمن حتى يتبين خلافه، بل وأطفال الكفار مولودون على الفطرة كما قدمنا حتى يظهر خلاف ذلك، والله تعالى أعلم.

وأما عبد المطلب، ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: وهو الأشبه، أنه لم تبلغه رسالة محمد ﷺ لما في البخاري وغيره.

وثانيها: أنه كان على التوحيد وملة إبراهيم، وهو ظاهر عموم كلام الإمام، والأليق باتصال الأنساب كما قلنا.

وثالثها: أن الله أحياه بعد البعثة كما فعل بأبوي المصطفى على ما خرَّجه الجلال السيوطي مستوفيًا لطرقه.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ١٨٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مسالك الحنفا، ضمن الحاوي (٢/ ٢٦٤).

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره: «أن له تسعة وأربعين أبًا»[١]، وهذا من أدل دليل يصدع قلب من ينكر علينا في ذكرنا نسب النبي ﷺ، ونسب الإمام الأعظم الشافعي إلى آدم أبي البشر.

وروى الحافظ أبو نعيم: «أن آمنة لما حضرتها الوفاة قالت: كل حي ميت، وكل جديد بالٍ، وقد تركتُ خيرًا، وولدتُ طهرًا، ثم ماتت». قال الراوي: فسمعنا نوح الجن عليها[٢].

قلتُ: فهذا الكلام فيه دليل صريح على إيمانها، والله أعلم.

قال الحافظ السيوطي: «وقد استقريت أمهات الأنبياء فوجدتهن مؤمنات، فأم إسحاق وموسى وهارون وعيسى وحواء أم شيث مذكورات في القرآن، بل قيل: بنبوتهن، والحق أن لا، إذ لم يبعث أنثى قط.

قال صاحب قصيدة «يقول العبد»[٣]:

وما كانت نبيًا قط أنثى ولا عبد وشخص ذو افتقار[٤]

وورد الخبر بإيمان هاجر أم إسماعيل وأم يعقوب وأمهات أولاده، وأم داود وسليمان وزكريا ويحيى وشمويل وشمعون وذي الكفل، وبعض المفسرين على إيمان

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٨/ ٢٦٩٧).

(٢) يراجع: الخصائص الكبرى (١/ ١٣٥)، مسالك الحنفا (٢/ ٢٦٩).

(٣) علي بن عثمان بن محمد بن سليمان، أبو محمد، سَراج الدين التيمي الأوشي الفرغاني الحنفي: ناظم قصيدة «بدء الأمالي» في العقائد، التي أولها: «يقول العبد، توفي سنة ٥٦٩هـ. الأعلام (٤/ ٣١٠)، معجم المؤلفين (٧/ ١٤٨)، كشف الظنون (٢/ ١٣٤٩).

(٤) يراجع: نخبة اللآلي شرح بدء الأمالي (ص٦٤)، محمد بن سليمان الحلبي الريحاوي، ط: وقف الإخلاص بتركيا، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

أم نوح وأم إبراهيم، ورجَّحه أبو حيان في تفسيره(١).

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «لم يكن بين نوح وآدم والد كافر»(٢).

ولهذا قال: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا﴾ الآية [نوح: ٢٨]، وقال إبراهيم: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]، ولم يعتذر عن استغفار إبراهيم في القرآن إلا لأبيه خاصة دون أمه فدل على إيمانها.

وروى الحاكم في «المستدرك» وصححه عن ابن عباس قال: «إنه لم يكن في بني إسرائيل كافر حتى بُعِثَ عيسى، فكفر به من كفر»(٣).

وأما أم هود وصالح ولوط وشعيب، فيحتاج الكلام فيهن إلى نقل، والظاهر إن شاء الله تعالى القول بإيمانهن كأم النبي ﷺ». هذا كله كلام الجلال السيوطي رحمة الله تعالى عليه(٤).

ويدل على ذلك ما رأته آمنة من الأنوار المشرِقة الخوارق للعادات.

قال الجلال السيوطي: «وقال بعضهم: إنه لم ترضعه مرضعة إلا أسلمت، وأن مرضعاته أربع: أمه وحليمة السعدية، وثويبة، وأم أيمن»(٥).

فإن قلتَ: فما الجواب عن الأحاديث التي وردت بأنها في النار؟

قلنا: لعل الجواب عن ذلك أن غالب ما روي في ذلك المعنى ضعيف.

---

(١) يراجع: البحر المحيط (١٠/ ٢٨٨).

(٢) يراجع: التفسير البسيط (٢٢/ ٢٧٥)، تفسير الرازي (٣٠/ ٦٦٠)، تفسير الخازن (٤/ ٣٤٧).

(٣) أخرجه الحاكم برقم (٣٤١٥)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٤) مسالك الحنفا- الفتاوي (٢/ ٢٧٠).

(٥) مسالك الحنفا (٢/ ٢٧٠)، ويراجع سبل الهدي والرشاد (١٠/ ٤٨٢).

قال السيوطي: «ولم يصح في أم النبي ﷺ سوى حديث أنه استأذن في الاستغفار، فلم يؤذن له»، قال: ولم يصح في أبيه أيضًا إلا حديث مسلم خاصة، وسيأتي الجواب عنهما.

وقد ثبت أن جماعة في زمن الجاهلية سلكوا دين الحنيفية، ورفضوا عبادة الأوثان قبل إيمانهم بالنبي ﷺ، وأن الصديق الأكبر ممن فعل ذلك، وأن ممن رفض عبادة الأوثان في الجاهلية أيضًا ونظر إلى الملة الحنيفية: زيد بن عمرو بن نفيل، وعبيد الله بن جحش، وعمرو بن الحويرث، وورقة بن نوفل المتقدم ذكره، ورباب بن البراء، وسعد بن كريب، وقس بن ساعدة الإيادي، وأبو قيس بن صرمة، فلا مانع أن يكون والدا المصطفى ممن تبع الملة الحنيفية أيضًا.

وروى أبو نعيم في «الدلائل» عن عمرو بن عبسة قال: «رغبتُ عن آلهة قومي في الجاهلية ورأيتُ أنها الباطل يعبدون الحجارة»(١).

قال العلماء: اختُلِفَ في معنى قول إمام الأشاعرة أبي الحسن الأشعري: «إن أبا بكر لم يزل بعين الرضا منه» فقيل المراد: إنه كان مؤمنًا قبل البعثة. انتهى.

قلتُ: أما في علم الله تعالى فلا كلام فيه. وأما في الحالة الراهنة فلا يبعد كونه كان فيها باطنًا على الوجه الوجيه، والله أعلم(٢). فلعل الحق إن شاء الله تعالى أن ليس مراد أبي الحسن الأشعري إلا ما شرحنا، والله تعالى أعلم.

[الجواب عن قوله ﷺ: «إن أبي وأباك في النار»]:

والجواب الموعود به عن حديث «أبي واباك في النار» أن هذه اللفظة لم تتفق على ذكرها الرواة، وإنما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس، وهي الطريق التي رواه

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم (١/ ٢٥٧).

(٢) في (ب): قلت: ولأجل ذلك روينا أن الله تبارك وتعالى يتجلى لعباده عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة.

مسلم منها، وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر: «إن أبي وأباك في النار» ولكن قال له: «إذا مررت بقبر كافر، فبشره بالنار» وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده ﷺ بأمر البتة[١].

قال الحافظ السيوطي: «وهذا الوجه أثبت من حيث الرواية، فإن معمرًا أثبت من حماد، لأن حماد تُكلِم في حفظه، ووقع في أحاديثه مناكير ذكروا أن ربيبه دسها في كتبه، وكان حماد لا يحفظ، فحدَّث بها فوهم، ومن ثم لم يخرج له البخاري ولا خرج له مسلم في الأصول إلا من روايته عن ثابت».

قال الحاكم في «المستخرج»: «ما خرج لحماد في الأصول عن ثابت إلا من حديثه فقط، وقد خرج له في الشواهد عن طائفة»[٢]. وأما معمر فلم يتكلم في حفظه متكلم، ولا استنكر مستنكر شيئًا من حديثه، بل اتفق الشيخان على التخريج له، فكان لفظه أثبت.

ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبي وقاص مثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن النبي، على أنني رأيتُ كتابًا لبعض الحفاظ سماه «الفوائد المجموعة فيما وقع في صحيح مسلم من الأحاديث المقطوعة»[٣]، ورأيتُ لبعض الحفاظ جزءًا لطيفًا جمع فيه أوهام الصحيحين، فذكر ثلاثة أحاديث، ونزَّلها في ديوان الوضع، ولا ريب ولا شبهة في أن الحفاظ طعنوا في ثمانين رجلًا ممن روى عنهم البخاري، وطعنوا في مئة

---

(١) (البتة) يقال لا أفعله بتة؛ ولا أفعله البتة، والبتة قطعاً لا رجعة فيه، (١/ ٣٧).

(٢) يراجع: ميزان الاعتدال (١/ ٥٩٥)، تهذيب التهذيب (٣/ ١٤).

(٣) يراجع: غرر الفوائد المجموعة في ما وقع في صحيح مسلم من الأحاديث المقطوعة، للحافظ رشيد الدين أبي الحسن يحي بن علي بن عبد الله العطار (ت: ٦٦٢هـ)، طبع بتحقيق د: سعد بن عبد الله آل حميد، ط: مكتبة المعارف بالرياض، الأولى، ١٤٢١ه-٢٠٠١م.

وستين رجلًا ممن روى عنهم مسلم كما في «فتح الباري في شرح البخاري» للحافظ ابن حجر، فإن الأحاديث المتكلم فيها فإما بوقف أو قطع أو حسن أو ضعف مع عاضد وبلا عاضد مئة حديث وعشرة أحاديث كلها في الصحيح، بحيث إن الحافظ ابن حجر احتاج إلى كتاب سماه «تغليق التعليق» وبيَّن في «فتح الباري» أن مسلمًا وافق البخاري في اثنين وثلاثين حديثًا، وأن باقي المئة للإمام البخاري، حتى قال ابن حجر بعد ذكر الأجوبة عنها: «إن بعض الأجوبة ظاهر جلي، وإن في بعضها تعسفًا، وإنها قد لا تشفي غليلًا» أو كما قال[1].

وذكر الإمام ابن عبد البر وغيره أن في موطأ مالك رضي الله تبارك وتعالى عنه أربعة أحاديث منقطعة معضلة لم يروها أحد من العلماء إلا من نقلها من كتاب مغترًا بصحتها، وكم من حديث في مسلم مؤول كحديث: «لا يرد القضاء المبرم إلا الدعاء»[2]، وكحديث: «يتعلق المقتول بقاتله يوم القيامة فيقول: رب ظلمني وقطع أجلي»[3] حيث احتجت المعتزلة بهذا على أن القاتل يقطع على المقتول أجله، إلى غير ذلك مما يجب تأويله من الأحاديث التي تصرَّف فيها الرواة فرووها بالمعنى، وخرَّجها الشيخان كحديث مسلم في نفي البسملة حيث لم يسمعها الراوي، وقد أجاب عن ذلك الإمام الأعظم الشافعي ﷺ بأن من سمع حجة على من لم يسمع. قال الإمام

---

(١) يراجع: جزء في الأوهام التي وقعت في الصحيحين وموطأ مالك، لأبي محمد بن حزم، تحقيق: بدر العمراني، ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٢) أخرج الترمذي برقم (٢١٣٩)، بلفظ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء» وقال: «حسن غريب»، والبزار برقم (٢٥٤٠) الطبراني برقم (٦١٢٨).

(٣) هذا معنى حديث أخرجه الطبراني برقم (١٠٤٠٧) عن عبد الله، عن رسول الله ﷺ قال: «يجيء المقتول آخذا قاتله وأوداجه تشخب دمًا عند ذي العزة، فيقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني؟ فيقول: فيم قتلته؟ فإن قال: قتلته لتكون العزة لفلان، قال: هي لله».

الأعظم الشافعي: فإن لم يكن ذلك الراوي سمع، فغيره أثبت منه، وقد سمع.

قلتُ: فكذلك يُقَال في هذه الرواية الثانية التي تعددت طرقها وتعدد المخرجون لها على شرط الشيخين، فالنقول حينئذٍ على عمومها، والله تعالى أعلم.

ثم لو فُرِضَ اتفاق الرواة على اللفظ الأول كان معارضًا بما ينافيه من الأدلة، ومتى عُورِضَ الحديث الصحيح بأدلة متعددة قُدِمَت عليه، ووجب تأويله.

وبهذا يجاب أيضًا عن عدم الإذن في الاستغفار لأمه، على أنه يمكن فيه دعوى عدم الملازمة، بدليل أنه كان في صدر الإسلام ممنوعًا من الصلاة على من عليه دين وهو مسلم، فلعلها كانت ذات تبعات غير الكفر بأن كان عليها حقوق لبعض الآدميين فمنع من الاستغفار لها بسببها.

ويمكن أنه ﷺ أراد بقوله «أبي» عمه أبا طالب، كما سبق في الكلام على آزر عم إبراهيم، ويرشح ذلك ويرجحه أن اسم أبي طالب جاء في ذيل رواية من تلك الروايات، وأن انتساب النبي ﷺ إليه بالبنوة كان يومئذٍ شائعًا لكفالته له ونصرته وإحسانه إليه، وقول العرب له: لا تدع ابنك يسب آلهتنا، إلى غير ذلك.

على أنه قد يجاب بنسخ الحديثين بقوله جل ذكره: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] كما نُسِخَ تعذيب أطفال الكفار بالنار بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨].

وأيضًا قد أخبر ﷺ بعذاب أبي طالب، وأنه أهون أهل النار عذابًا لقربه منه، فلو كان أبواه من أهل النار لكانا أحق بكونهما أخف وأهون عذابًا، لأنهما أقرب وأوصل وأقبل عذرًا، فلما لم يذكرهما ﷺ وخص أبا طالب بكونه أهون أهل النار عذابًا، عُلِمَ براءتهما من النار وأهلها، وهذا يُسمَّى عند أهل الأصول دلالة الإشارة.

قال الجلال السيوطي ما ملخصه هو أن المجادل في هذه القضية والألد الخصام فيها يقال له: لا يخلو إما أن تكون شافعيًّا وقد ثبت أن بعض الصحابة لم يسمع من النبي ﷺ الفاتحة، وثبت في الصحيح أن التيمم ضربة[١]. وإن كان مالكيًّا قيل له: ثبت في الصحيح: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا»[٢] وأنت لا ترى خيار المجلس، وثبت في مسلم أنه ﷺ لم يكمل مسح رأسه[٣]. وإن كان حنفيًّا قيل له: قد ثبت اعتبار القلتين[٤]، وثبت اعتبار السبع غسلات من ولوغ الكلب، وثبت نفي الصلاة بغير الفاتحة، إلى غير ذلك. وإن كان حنبليًّا قيل له: قد ثبت في الصحيح النهي عن صيام يوم الشك[٥]، وعن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين[٦]، وكل منكم يرى ما يعارض ما شرحناه له، فإن كان هذا اللعين المخاصم الخبيث مُهمِلًا وُفحِمَ وقطع أهملناه ورفضناه، وإن كان له بعض إلمام ببعض علم، فربما يقول: قامت أدلة عارضت ذلك؛ فنقول له: يا أقل الناس عقلًا! ويقال هنا كذلك. ويقال للمخاصمين من المقلدين من المذاهب الأربع: قد ثبت في صحيح مسلم أن الطلاق ثلاث كان يجعل واحدة في عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر خليفته الأكبر، وصدر من إمارة الإمام

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٨٣١٩)، وقال محققه: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، والدارمي في السنن برقم (٧٧٢)، وابن خزيمة في الصحيح، برقم (٢٦٦)، والطبراني في الأوسط برقم (٥٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٠٧٩)، ومسلم في صحيحه برقم (١٥٣٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٤٧) بسنده إلى ابن المغيرة، عن أبيه، أن النبي ﷺ: «مسح على الخفين، ومقدم رأسه وعلى عمامته».

(٤) الحديث: «إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث»، أخرجه أبو داود في السنن برقم (٦٣)، والترمذي في سننه، برقم (٦٧)، والنسائي، في السنن برقم (٥٢)، وغيرهم.

(٥) أخرجه البخاري بلفظ: «من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم ﷺ» (٣/ ٢٧).

(٦) في الحديث: (لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين، إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه، فليصم ذلك اليوم) أخرجه البخاري، برقم (١٩١٤)، ومسلم برقم (١٠٨٢).

عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما[1]، فهل ترى أنتَ أن من قال لزوجته: أنت طالق ثلاثًا أن يجعلها واحدة فقط؟ فإن قال: نعم، أعرضتَ عنه، وإن قال: لا، قلت له: فكيف تخالف الخبر الصحيح؟ وإن قال: لم أعارضه، فقد انحطت رتبة خطابه واستقر، ولا عذر لمن أقر».

***

(١) أخرج مسلم بسنده إلى ابن عباس، برقم (١٤٧٢).

الحجة الرابعة

أن الله تبارك وتعالى أحيا له أبويه حتى آمنا به، وعلى هذا الحافظ ابن شاهين، والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي، والحافظ السهيلي، والحافظ الإمام القرطبي ﷺ، والحافظ المحب الطبري، والعلامة ناصر الدين ابن المنير، وغيرهم من الأئمة والمشايخ والحفاظ.

ودليل ذلك ما رواه الحافظ ابن شاهين في «الناسخ والمنسوخ»، والحافظ الخطيب البغدادي في «السابق واللاحق» والدارقطني وابن عساكر الحافظان كلاهما في «غرائب مالك» بسند ضعيف عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «حج بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع، فمر بي على عقبة الحجون وهو باكٍ حزين مغتم، فنزل فمكث غير طويل ثم عاد إليَّ وهو فرح مبتسم، فقلتُ له في ذلك، فقال: ذهبتُ لقبر أمي، فسألتُ الله أن يحييها، فأحياها فآمنت بي وردها الله»(١).

وأورد السهيلي في «الروض» عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنه ﷺ سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له، فآمنا به ثم أماتهما(٢).

قال الحافظ القرطبي: «لا تنافي بين هذا وبين حديث عدم الإذن في الاستغفار لأمه؛ لأن هذا متأخر، فالعمل عليه، ولهذا جعله ابن شاهين ناسخًا لكونه في حجة الوداع»(٣).

وقال ابن المنير المالكي: «إن محمدًا ﷺ أُعطِيَ من إحياء الموتى مثل ما أعطي عيسى

---

(١) أخرجه ابن شاهين في ناسخ الحديث ومنسوخه برقم (٦٥٦)، والخطيب البغدادي في السابق واللاحق (ص٣٤٤).

(٢) الروض الأنف (٢/ ١٢١).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص١٣٨).

بن مريم، وإنه لما مُنِعَ من الاستغفار للكفار دعا الله تعالى أن يحيي له أبويه، فأحياهما له، فآمنا به وصدقاه، وماتا مؤمنين»[١].

وقال الإمام القرطبي ﷺ: «فضائل النبي ﷺ لم تزل تتوالى وتتابع إلى حين مماته، فيكون هذا مما فضله الله تعالى به وأكرمه».

قال: «وليس إحياؤهما وإيمانهما ممتنع عقلًا ولا شرعًا، فقد ورد في القرآن إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله، وكان عيسى ﷺ يحيي الموتى، وكذلك نبينا ﷺ أحيا الله على يده جماعة من الموتى» قال: «وإذا ثبت هذا فلا يمتنع إيمانهما زيادة في إكرامه وفي فضيلته»[٢].

وأشار ابن سيد الناس في السيرة إلى ما هو أصرح من هذا وقال في آخر كلامه: «يحتمل تأخر ذلك عن تلك الأحاديث المنافية، فلا تعارض» انتهى[٣].

قلتُ: إحياء الموتى أمر مستقر، فقد كانت الروح موجودة قبل في الميت، ولها به ألفة وعلقة وعهد حديث، فعودها إليه وإن كان عجبًا، لكن أعجب منه وأقوى أمر الجذع، وهو الخشبة التي لا روح فيها، ولا قابلية ألبتة، ومع ذلك فببركته ﷺ - ومن معجزاته التي لم يفز بها نبي ولا مرسل غيره- أن حصل للجذع شعور وإحساس وتألم بمفارقته ﷺ له، بحيث تصدَّع وانشق، وسُمِعَ له خوار وأنين وحنين، فلولا تداركه رسول الله ﷺ فجاء إليه ووضع يده عليه لما سكن، ولَحَنَّ وأَنَّ واشتكى ألم فراقه إلى يوم القيامة، كما روى ذلك الحفاظ في جوامعهم ومجامعهم ومسانيدهم وأصولهم.

---

(١) يراجع: حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين للنبهاني (ص٣٢٣)، تح: عبد الوارث محمد علي، ط: دار الكتب العلمية.

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص١٤١).

(٣) يراجع: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (١/ ١٥٤) وما بعدها.

فمن كانت هذه الصفة من صفاته، وهذه المعجزة من بعض معجزاته وآياته، فلا غرو أنه إذا دعا الله تبارك وتعالى بإحياء والديه ليؤمنا بربهما تعالى وبه أن يجاب في ذلك، إذ هو سيد الأحباب، وأفصح من نطق بالضاد، وأفضل من ترجم عن ربه بالكتاب، والله تبارك وتعالى أعلم.

وقد روينا في عوالينا الصحاح: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات»[١]، فثبت من هذا أن من سب والدي النبي ﷺ أو أحدهما فقد آذى رسول الله ﷺ، ومن آذاه كان ملعونًا كما ورد به القرآن الشريف، وكما أجاب به الإمام أبو بكر بن العربي وغيره.

قال ابن قدامة في «المقنع»: «من قذف أم النبي ﷺ قُتِلَ، مسلمًا كان أو كافرًا»[٢].

واحتج رجل على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وكان من عمَّاله، وقد أجرى ذكر أبيه وأنه كان فاسقًا بقوله: أليس كان والد النبي ﷺ مشركًا؟! فأطرق أمير المؤمنين رأسه خجلًا وحياءً من الله تبارك وتعالى، وخوفًا منه عز وجل لأجل قبح ذلك المقال الباطل الداحض، ثم رفع رأسه خجلًا متأوهًا وقال في حقه: لأقطعن لسانه، لأقطعن يده ورجله، لأقتلنه! ثم اقتضى رأيه واختياره إلى أن يهجره أبدًا، وأن يعزله عزلًا مؤبدًا.

***

(١) سبق تخريجه (ص).

(٢) المقنع في فقه الإمام أحمد لابن قدامة (ص٤٣٨).

[الخاتمة]

[وفي الجامع الصغير لشيخ مشايخنا الحافظ السيوطي ثلاثة أحاديث يحث لطلبها الركب الطلب الحثيث هي: «من آذى العباس فقد آذاني، إنما عم الرجل صنو أبيه»[١].

ومن فوائد «القاموس» أن الصنو ولد الإنسان وشقيقه وعمه، ولعل معناه أنه الجزء من الإنسان[٢].

والحديث الثاني: «من آذى عليًّا فقد آذاني»[٣].

والثالث: «من آذى شعرة مني فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تبارك وتعالى»[٤].

وهذا إلحاق لطيف ألحقته بهذا الأصل المنيف، فمن ظفر بأصلٍ كُتِبَ قبله، فعساه يلحقه به، ولعله][٥]، فالله تعالى أسأل أن يصلي ويسلم على هذا النبي الكريم، سيدنا محمد، نبي الرحمة والشفاعة، صاحب الخلق العظيم، وعلى آله أصولًا وفروعًا أطيب الطيبين، وأن يصلي ويسلِّم على جميع الأنبياء والمرسلين وقرابتهم وصحابتهم والتابعين، وعلينا معهم أجمعين، وأن يجمعنا على سيدنا ونبينا محمد ﷺ في الدارين، إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه، آمين.

---

(١) أورده السيوطي في الجامع الصغير، وعزاه لابن عساكر، ورقمه (١٠٨٦٦)، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق برقم (٥٥٩٤).

(٢) القاموس المحيط، باب الواو والياء فصل الصاد (ص١٣٠٤)، ويراجع: تاج العروس (٣٨/ ٤٤٦).

(٣) الجامع الصغير برقم (١٠٨٦٨)، والحديث أخرجه أحمد في مسنده، وقال محققه: «إسناده ضعيف» (٢٥/ ٣٢١)، والبخاري في التاريخ الكبير (٦/ ٣٠٧)، والحاكم، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» (٣/ ١٣١).

(٤) أورده السيوطي في الجامع الصغير برقم (١٢٠٩٤)، والحديث أخرجه ابن عساكر في التاريخ (٥٤/ ٣٠٨).

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من النسخة (ب).

سبحان ربنا رب العزة والعظمة والكبرياء عما يصفون وعما يشركون، ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

***



إِثْبَاتُ النَّجَاةِ وَالإِيمَانِ لِوَالِدَيّ سَيِّدِ بَنِي عَدْنَان

عَلِي بن صادق بن مُحَمَّد الدَّاغِسْتَانِيّ (١١٩٩هـ)

دِرَاسَة وَتَحْقِيق

د. عَلِي رَمَضَان الأَزْهَرِيّ

العلامة علي بن صادق الداغستاني حياته وآثاره

١- اسمه ونسبه ومولده:

علي بن صادق بن محمد بن إبراهيم بن محب الله حسين بن محمد الحنفي الداغستاني الأصل والمولد، ولد في حدود سنة خمس وعشرين ومئة وألف[1].

٢- شيوخه:

تلقى الشيخ الداغستاني علومه عن عدد من أكابر علماء عصره، منهم من كان من بلده، ومنهم من أخذ عنه في رحلتيه إلى حلب والحجاز، ومن هؤلاء العلماء:

١- الشيخ عبد الكريم الآمدي.

٢- الشيخ أيوب الداغستاني.

٣- الشيخ عبد الوهاب الداغستاني.

٤- الشيخ محمود بن عبد الله الأنطاكي.

٥- الشيخ محمد حياة السندي.

هذا وقد ذكر صاحب «سلك الدرر» عددًا ممن تلقى الشيخ العلم عنهم فقال: «وقرأ على جملة من علماء بلادهم كالشيخ عبد الكريم الآمدي، والشيخ أيوب الطاغستاني،

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (٣/ ٢١٥)، ويراجع: الأعلام (٤/ ٢٩٤)، معجم المفسرين (١/ ٣٦٣) والداغستاني نسبة إلى داغستان، وهي الآن إحدى الجمهوريات الاتحادية ضمن الكيانات الفدرالية في روسيا، الواقعة في جنوب الجزء الأوروبي من روسيا في منطقة القوقاز على طول ساحل بحر قزوين، تحدها في الجنوب وجنوب الغرب الجمهوريتان السوفيتيتان السابقتان أذربيجان وجورجيا، وتحدها غربًا وشمالًا أقاليم روسيا الاتحادية وهي جمهورية الشيشان وإقليم ستافروبول وجمهورية كالميكيا. موسوعة ويكيبيديا.

والشيخ عبد الوهاب الطاغستاني، ثم رحل إلى حلب وأخذ بها عن الشيخ محمود بن عبد الله الأنطاكي، ثم رحل إلى الحجاز وجاور هناك مدة، وأخذ بالمدينة عن الشيخ محمد حياه السندي»[١].

٣- تلاميذه:

تصدى الشيخ للتدريس بدمشق تحت قبة النسر ـ منذ أن استقر بها إلى وفاته، فتلقى على يده العلم كثيرون، نبغ منهم جملة كبيرة، وقد ذكر صاحب «سلك الدرر» عددًا منهم:

١ – أحمد السعيد بن علي بن محمد بن مراد بن علي بن داود[٢].

٢ – عبد الكريم بن عبد الرحيم بن إسماعيل بن محمد بن محمود الطاغستاني[٣].

٤- مكانته العلمية:

تبوأ الشيخ الداغستاني مكانة عظيمة، ومنزلة كبيرة في زمانه، حيث عين للتدريس تحت قبة النسر بدمشق فترة طويلة منذ رحلته إليها إلى وفاته، كما أنه كان مقدَّمًا عند أهل زمانه مشاركًا في كثير من العلوم، وهذا ما تشهد به مصنفاته.

جاء في «سلك الدرر»: «نزيل دمشق ومدرس الحديث بها تحت قبة النسر، الشيخ الإمام العالم العلامة، المحقق المدقق النحرير المفنن... وتصدر بدمشق وكان يرجع إليه في مهمات الأمور»[٤].

---

(١) سلك الدرر (٣/ ٢١٥)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير (٢/ ١٦٠٨).

(٢) سلك الدرر (١/ ١٤٦).

(٣) سلك الدرر (٣/ ٦٥).

(٤) سلك الدرر (٣/ ٢١٥)، ويراجع: الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، نعمان قسطالي (ص١٤٠).

وفي معجم المؤلفين: «محدث، مفسر، مشارك في أنواع من العلوم، أصله من بلدة شماخ، وولد في حدود سنة ١١٢٥ هـ، ودرَّس الحديث في الجامع الأموي تحت قبة النسر»[1].

٥- مصنفاته:

لم يشغل الشيخ الداغستاني تصدره للتدريس وانشغاله بأمور مجتمعه في وقته - حيث كان مقدمًا في كثير من الأمور- عن التصنيف، بل ترك جملة من المصنفات التي ناقشت عددًا من القضايا التي شغلته والناس في زمانه، حيث صنف في التفسير والسنة والهيئة والحساب وغيرها.

وقد ذكرت كتب التراجم والفهارس عددًا من مصنفاته، ومنها:

حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي.

حاشية على رسالة الاسطرلاب.

حاشية على مختصر المنتهى.

رسالة في أبوي النبي ﷺ (موضوع الدراسة).

شرح حديث الرحمة.

شرح خلاصة الحساب[2].

٦- وفاته:

عاش العلامة الداغستاني حياة حافلة بجلائل الأعمال من تدريس وتصنيف وفتيا

---

(١) معجم المؤلفين (٧/ ١٠٨)، ويراجع: الأعلام (٤/ ٢٩٤)، الروضة الغناء (ص١٤٠)، معجم المفسرين (١/ ٣٦٣).

(٢) هدية العارفين (١/ ٧٧٠)، ويراجع: معجم المؤلفين (٧/ ١٠٨)، معجم تاريخ التراث (٣/ ٢٠٦٢).

ومشاركة في مهمات الأمور؛ إلى أن وافته المنية بعد مرض عضال سنة ١١٩٩ هـ.

قال صاحب «سلك الدرر»: «وتصدر بدمشق، وكان يرجع إليه في مهمات الأمور، ونزل به الفالج في آخر أمره في صفر سنة ست وتسعين، وبقي في داره منقطعًا إلى أن توفي، وكانت وفاته سحر ليلة الخميس ثالث عشر ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومئة وألف، وصُلِّي عليه بجامع الورد بمحلة سويقة صاروجا، ودفن بسفح قاسيون بقرب ضريح الشيخ محمد البلخي رحمه الله تعالى»[١].

***

(١) سلك الدرر (٣/ ٢١٥)، ويراجع: الروضة الغناء (ص١٤٠)، معجم المؤلفين (٧/ ١٠٨).

الداغستاني اسمها ونسبتها

١- اسم الرسالة:

وردت هذه الرسالة باسم: «رسالة في إثبات النجاة والإيمان لوالدي سيد ولد عدنان ﷺ» وقد وردت الرسالة بهذا الاسم في:

١- طرة الرسالة، حيث كتب على طرتها: «رسالة لطيفة في إثبات النجاة والإيمان لوالدي سيد الأكوان ﷺ وزاده الله شرفًا وتعظيمًا لديه، تأليف شيخنا العلامة قطب دائرة العلوم ومركز إحاطة المنطوق والمفهوم، علي أفندي الداغستاني، بلغه الله تعالى الأماني، نزيل دمشق المحمية، عليه رحمة رب البرية، آمين».

٢- في كتب التراجم والفهارس: كما في «سلك الدرر» (٣/ ٢١٥)، «الأعلام» (٤/ ٢٩٤)، «معجم المؤلفين» (٧/ ١٠٨)، «علماء دمشق وأعيانها في القرن الثاني عشر الهجري» (٣ / ٤٦٣)، «فهرس دار الكتب المصرية» (١/ ١٨٢)، «فهرس مخطوطات مركز جمعة الماجد» بدبي برقم ٨٠ (ق ١٣-٢٣).

٢- نسبة الرسالة إلى مؤلفها:

يثبت نسبة هذه الرسالة للداغستاني أمور منها:

١- ما جاء على طرة هذه الرسالة مما يثبت صحة نسبتها للعلامة الداغستاني.

٢ - نسبتها إلى مصنفها في كتب التراجم والفهارس، حيث وردت نسبتها إلى المصنف في: «سلك الدرر» (٣/ ٢١٥)، «الأعلام» (٤/ ٢٩٤)، «معجم المؤلفين» (٧/ ١٠٨)، «إيضاح المكنون» (٣/ ١٤٠)، «هدية العارفين» (١/ ٧٧١).

٣- مصادره في الرسالة:

رجع العلامة الداغستاني إلى مصادر متنوعة في هذه الرسالة، منها ما صرح به ومنها ما لم يصرح به، ومن المصادر التي ذكرها صراحة في رسالته مرتبة حسب حروف المعجم:

الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ).

إكمال إكمال المعلم، لفوائد كتاب مسلم، محمد بن خلفة الأبي (ت: ٨٢٧هـ).

البداية والنهاية لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ).

تحقيق الآمال في قمع أهل البغي والضلال لابن الجزار (ت: ٩٨٤هـ).

التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي (ت: ٦٧١هـ).

تفسير ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ).

تفسير ابن مردويه (ت: ٤١٠هـ).

تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ).

الجامع الصغير للسيوطي (ت: ٩١١هـ)

خادم الرافعي والروضة للزركشي (ت: ٧٩٤هـ).

دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ).

ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، للمحب الطبري (ت: ٦٩٤هـ).

الروض الأنف بشرح سيرة ابن هشام للسهيلي (ت: ٥٨١هـ).

السابق واللاحق للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ).

سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت: ٣٨٥هـ).

شرح النووي على صحيح مسلم، للإمام النووي (٦٧٦هـ).

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ).

العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير للرافعي (ت: ٦٢٣هـ).

عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس (ت: ٧٣٤هـ).

غرائب مالك بن أنس، للدارقطني (ت: ٣٨٥هـ).

فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العقلاني (ت: ٨٥٢هـ).

فوائد تمام، أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله الرازي ثم الدمشقي (ت: ٤١٤هـ).

القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ).

كفاية النبيه في شرح التنبيه، أحمد بن محمد بن علي الأنصاري، أبو العباس، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة (المتوفى: ٧١٠هـ).

مسالك الحنفا في والدي المصطفى، للسيوطي (ت: ٩١١هـ).

المستخرج على المستدرك للحاكم (أملاها العراقي في مجالس)، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت: ٨٠٦هـ).

المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم (ت: ٤٠٥هـ).

مسند إسحاق بن راهويه (ت: ٢٣٨هـ).

مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ).

مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد المعروف بالبزار (ت: ٢٩٢هـ).

معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ).

المقنع في فقه الإمام أحمد لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة (ت: ٦٢٠هـ).

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني (ت: ٩٢٣هـ).

ناسخ الحديث ومنسوخه لأبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين (ت: ٣٨٥هـ).

٥- وصف نسخ المخطوط:

رجعت في تحقيق هذه الرسالة إلى أربع نسخ خطية:

النسخة الأولى: وهي نسخة مكتبة جامعة الملك سعود برقم (٣٨١٠)، وبالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي:

١- تقع هذه النسخة في ١١ لوحة، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة ١٥ سطرًا، في كل سطر ٨ كلمات في المتوسط، وقد كتبت بمداد أسود، بخط نسخ حسن، وهي نسخة كاملة قد خلت من السقط، وعليها تمليكات، جاء فيها: الحمد لله، قد ساقه القدر لأحقر البشر: عبد السلام بن المرحوم الشيخ عبد الرحمن الشطي الحنبلي، عفي عنه، حرر سنة١٣٨٣هـ.

٢- اسم الناسخ: لم يذكر في هذه النسخة اسم ناسخها.

٣- تاريخ نسخها: لم يذكر تاريخ نسخها، ولكن ذكر في نهايتها: «قال مؤلفها: قد وقع الفراغ من كتابة هذه الرسالة الشريفة وما على هوامشها من منهيات مؤلفها نهار

الخميس في شهر صفر الخير، الذي هو من شهور سنة ١١٧٣ه؛ ألف ومائة وثلاثة وسبعون من الهجرة»، غفر الله لمؤلفها وكاتبها وقارئها وجميع المسلمين آمين.

النسخة الثانية: وهي نسخة مكتبة راغب باشا بتركيا، وهي نسخة ضمن مجموع برقم (١٤٧١)، وبالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي:

١- تقع هذه النسخة في ٦ لوحات، تبدأ من اللوحة (٥٠)، وتنتهي في اللوحة (٥٥)، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة ١٩ سطرًا، في كل سطر ١٠كلمات في المتوسط، وقد كتبت بمداد أسود، والعناوين بمداد أحمر، بخط نسخ حسن، وهي نسخة كاملة قد خلت من السقط.

٢- اسم الناسخ: لم يذكر في هذه النسخة اسم ناسخها، ولم يذكر تاريخ نسخها.

النسخة الثالثة: وهي نسخة مكتبة شستربتي - دبلن أيرلندا، برقم (٤٧٨٧)، وبالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي:

١- تقع هذه النسخة في (٥) لوحات، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة (٢١) سطرًا، في كل سطر (١٠) كلمات في المتوسط، وقد كتبت بمداد أسود، بخط نسخ حسن، وهي نسخة كاملة قد خلت من السقط.

٢- اسم الناسخ: لم يذكر في هذه النسخة اسم ناسخها، وأما تاريخ نسخها فهو (سنة١١٦٩هـ).

النسخة الرابعة: نسخة المكتبة الظاهرية، وهي ضمن مجموع برقم (٤٠١١)، و بالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي:

١- تقع هذه النسخة في (٤) لوحات، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة (٢٦) سطرا، في كل سطر (١٣) كلمة في المتوسط، وقد كتبت بمداد أسود، بخط نسخ

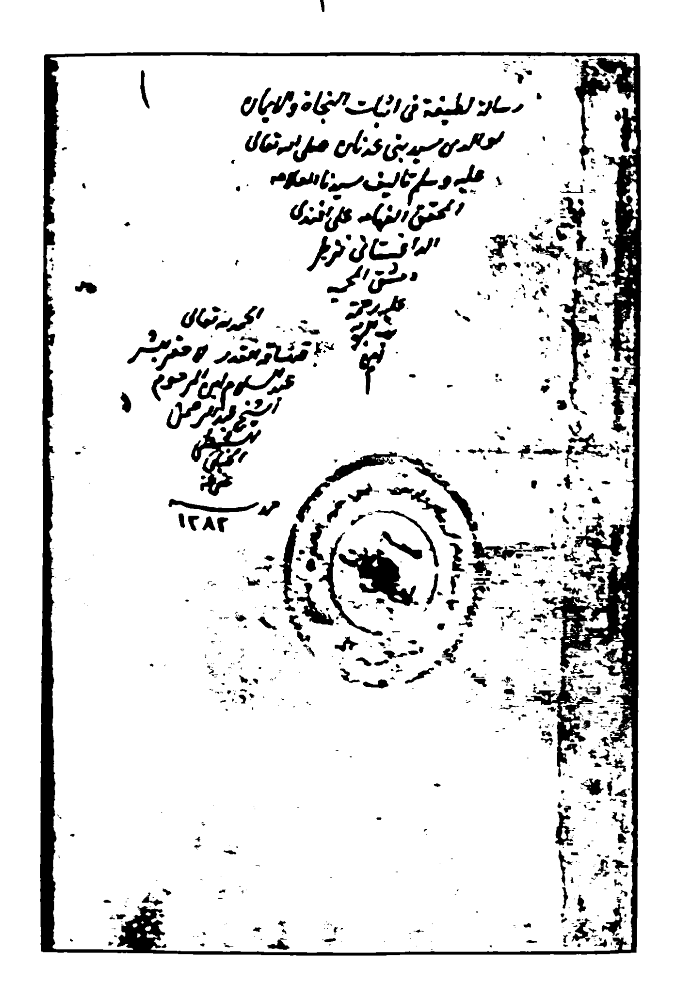
حسن، وهي نسخة كاملة قد خلت من السقط.

٢- اسم الناسخ: عبد السلام بن عبد الرحمن بن مصطفى شطي البغدادي الحنبلي القادري، وأما تاريخ نسخها: الاثنين ١٤ رمضان ١٢٧٧هـ.

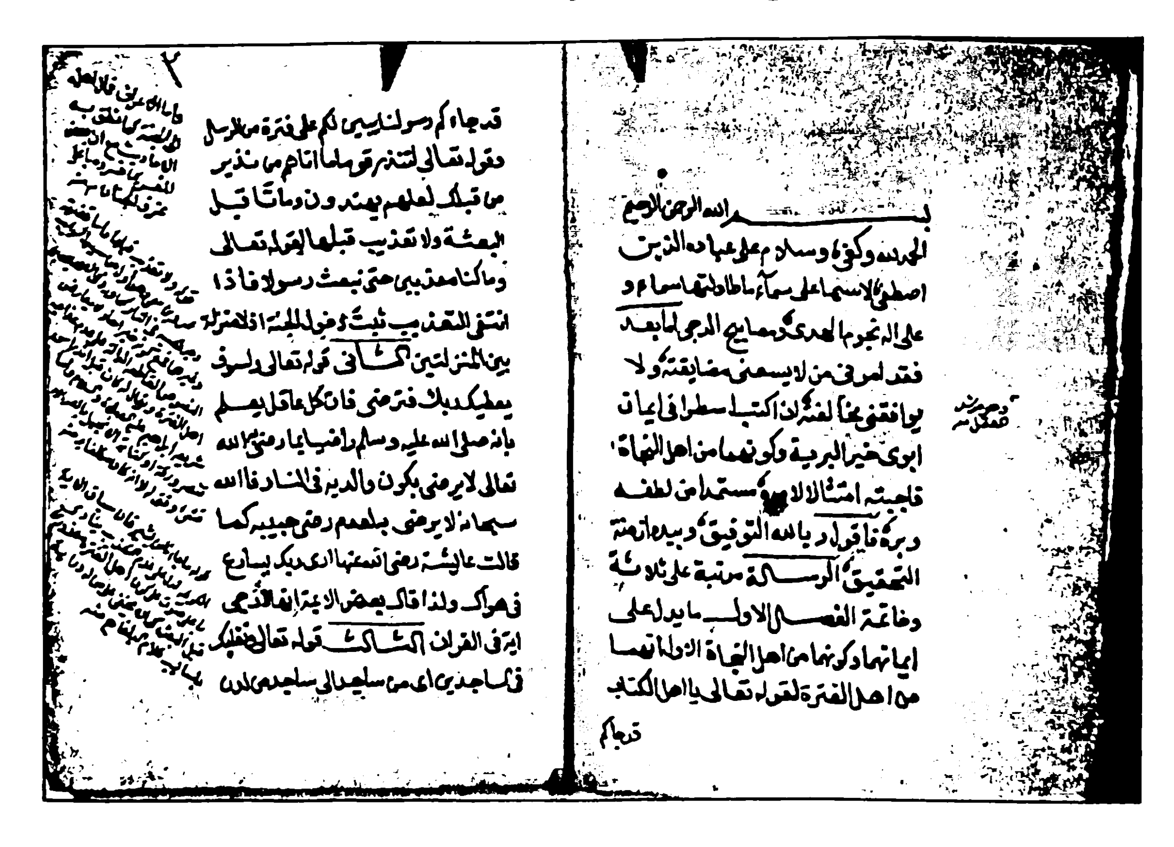
٦- صور من المخطوط، بدايته ونهايته؛ للنسخ التي اعتمدت عليها في تحقيق النص.

النسخة الأولىٰ: (نسخة مكتبة جامعة الملك سعود برقم (٣٨١٠):

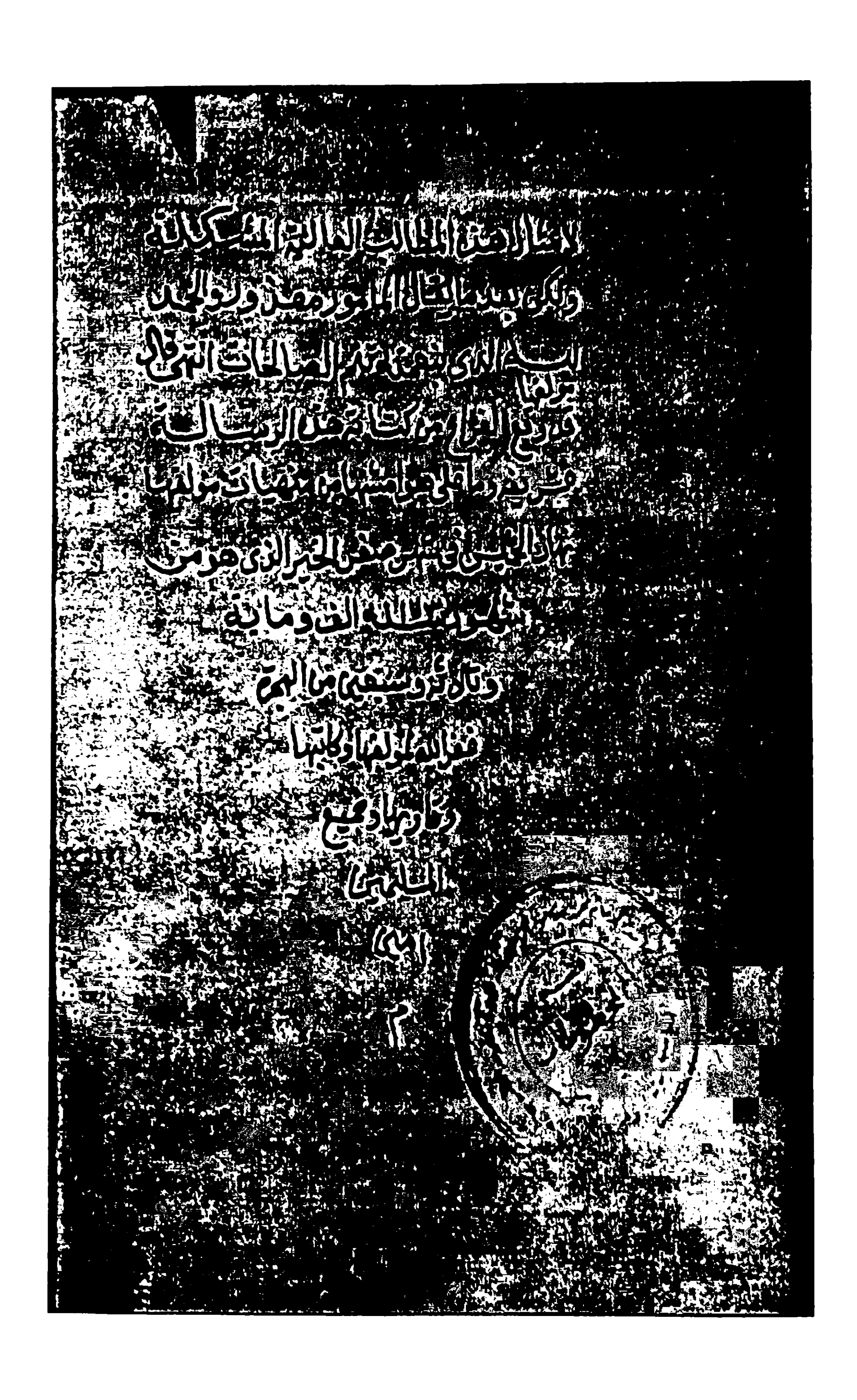
اللوحة الأولىٰ: (غلاف الرسالة):



اللوحة الثانية: (الورقة الأولىٰ من المخطوط):

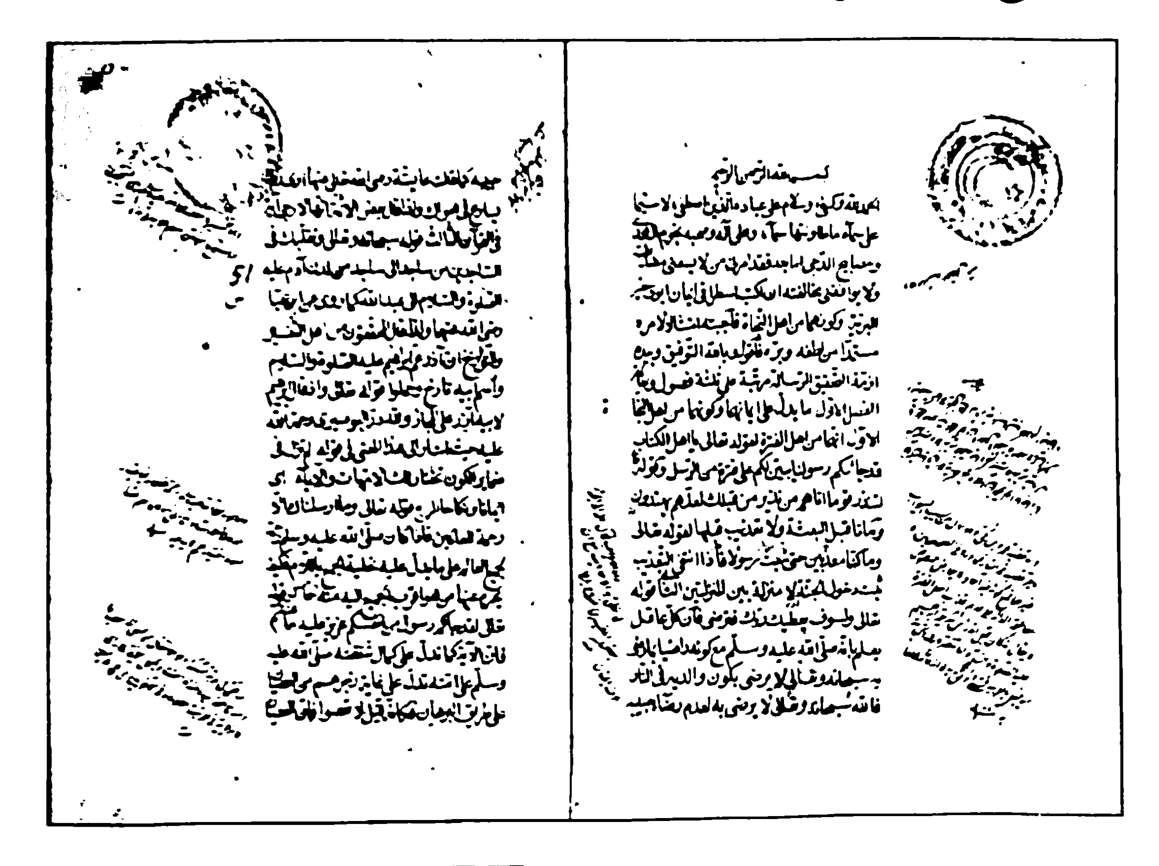


اللوحة الثالثة: (اللوحة الأخيرة من المخطوط):



النسخة الثانية: (راغب باشا ضمن مجموع):

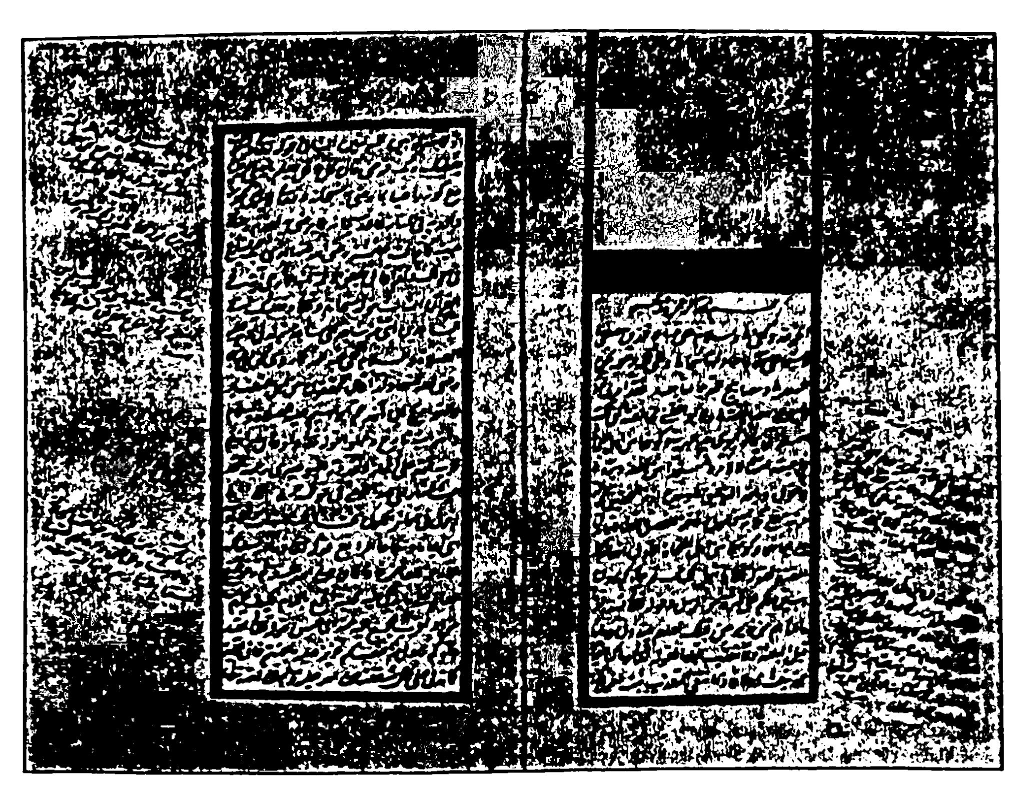
اللوحة الأولىٰ: بداية الرسالة:



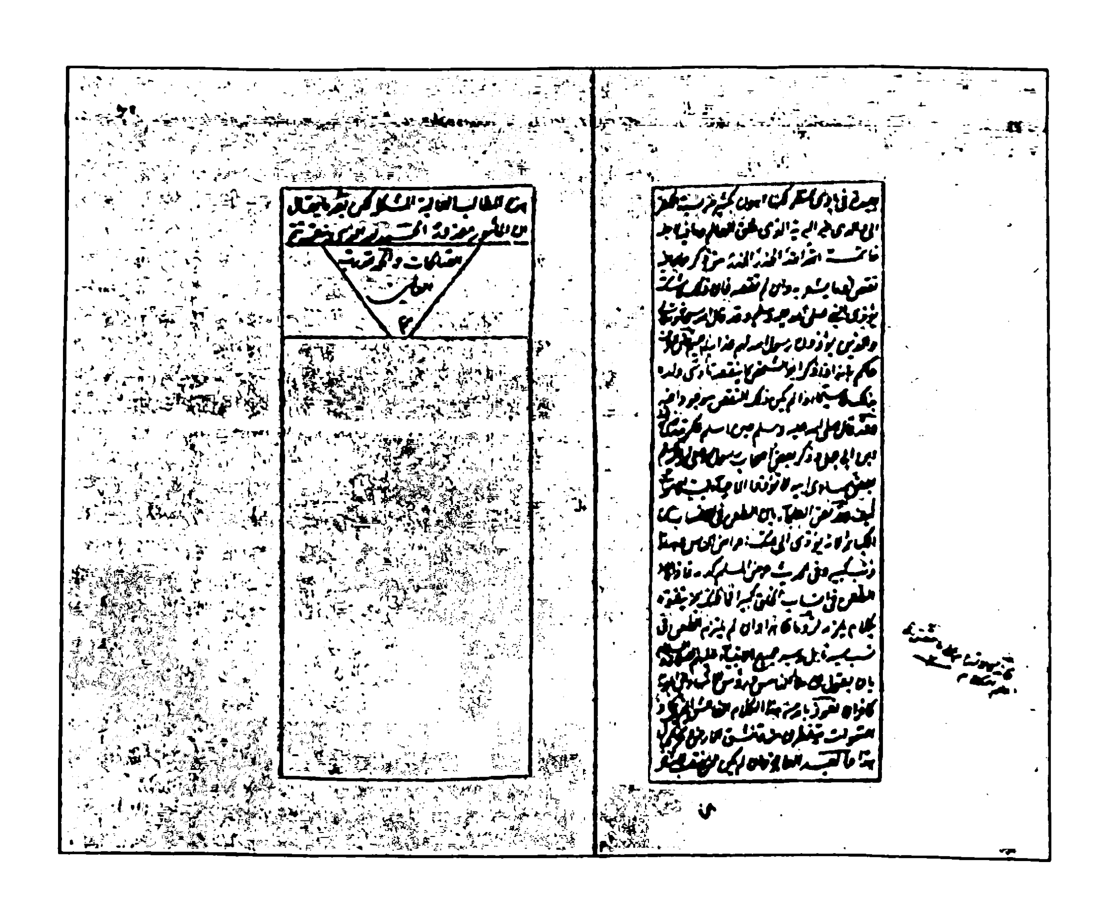
اللوحة الثانية: (نهاية الرسالة):

النسخة الثالثة: (نسخة شستربتي):

اللوحة الأولىٰ: (بداية الرسالة):

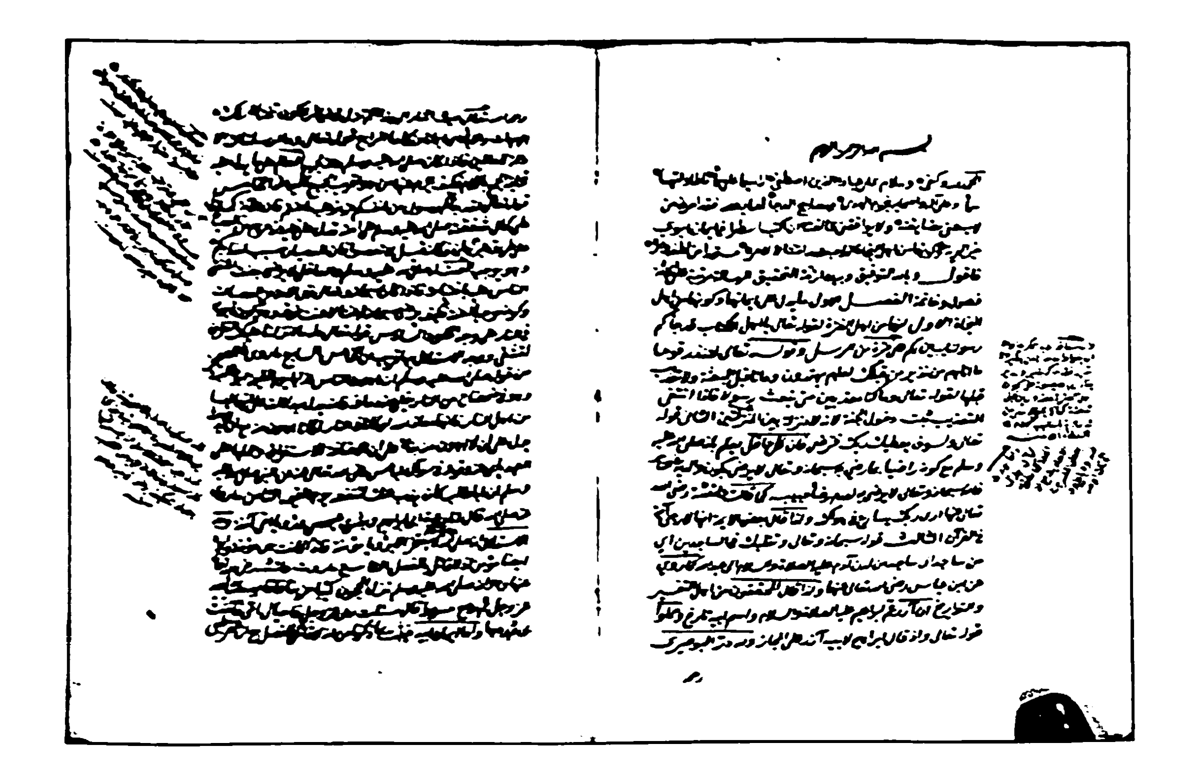


اللوحة الثانية: (نهاية الرسالة):

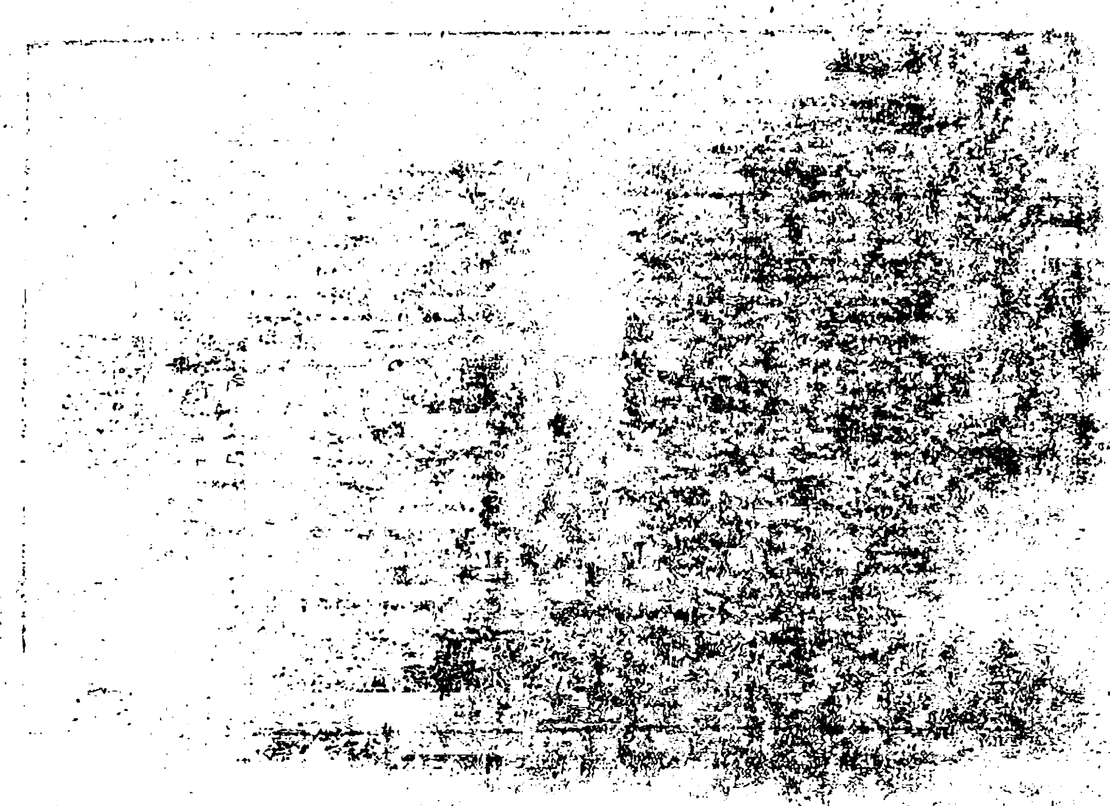


النسخة الرابعة: (نسخة المكتبة الظاهرية):

اللوحة الأولى:



اللوحة الأخيرة:



النص المحقق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، لا سيما على سماء ما طاولتها سماء، وعلى آله نجوم الهدى، ومصابيح الدجى، أما بعد:

فقد أمرني من لا يسعني مضايقته، ولا يوافقني مخالفته، وهو مرشد العقل أن أكتب أسطرًا في إيمان أبوي خير البرية، وكونهما من أهل النجاة فأجبتُه، امتثالًا لأمره، مستمدًا من لطفه وبره.

فأقول وبالله التوفيق، وبيده أَزِمَّة التحقيق:

الرسالة مرتبة على ثلاثة فصول وخاتمة:

***

الفصل [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

***

الفصل الأول

ما يدل على إيمانهما وكونهما من أهل النجاة

الأول: أنهما من أهل الفترة، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [المائدة: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾ [السجدة: ٣] وماتا قبل البعثة ولا تعذيب قبلها، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ [الإسراء: ١٣]، فإذا انتفى التعذيب ثبت دخول الجنة، إذ لا منزلة بين المنزلتين.

الثاني:: قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥] فإن كل عاقل يعلم بأنه ﷺ راضٍ بما رضى به الله تعالى، ولا يرضى بكون والديه في النار، فالله سبحانه لا يرضى به لعدم رضا حبيبه، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «أرى ربك يسارع في هواك»[١] ولذلك قال بعض الأئمة: «إنها لأرجى آية في القرآن»[٢].

الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٩]، أي من ساجد ، ساجد من لدن آدم عليه السلام إلى عبد الله كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه.

ولذا قال المحققون من أهل التفسير والتأويل: إن آزر عم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، واسم أبيه تارخ، وحملوا قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ [الأنعام: ٧٤] على المجاز[٣].

ولله در القائل البوصيري رحمه الله تعالى حيث أشار إلى هذا في قوله:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٧٨٨).

(٢) يراجع: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٥١٠)، تفسير السمعاني (٦/ ٢٤٤)، تفسير البغوي (٨/ ٤٥٥).

(٣) يراجع: تفسير الثعلبي (١٢/ ١١٨، ١١٩)، وتفسير الكشاف (٢/ ٣٩).

لم تــزل في ضـمائـر الـكـون تخـتــار لــك الأمــهــات والآبـــاء[١]

أي إيمانًا ونكاحًا.

الرابع: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فإذا كان ﷺ رحمة لجميع العوالم على ما يدل عليه تحلية الجمع باللام فكيف يحرم عنها من هو أقرب الجميع إليه منه؟

الخامس: قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فإن الآية تدل على كمال شفقته على أمته، وتدل على غاية زجرهم عن العصيان على طريق البرهان، فكأنه قيل: لا تعصوا، فإن العصيان سبب لعذابكم، وهو يوجب العنت له ﷺ، والعاقل لا يرضى بعنت أشفق الناس عليه باختياره، فإذا كان سبحانه وتعالى نهى الأمة عن العصيان لكونه موجبًا لعنته، فكيف يرضى سبحانه عنتًا لا عنت فوقه وهو كون أبويه في النار على وجه الخلود؟

السادس: قوله تعالى: ﴿طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١- ٢] ووجه الاستدلال بها قريب من الخامس.

السابع: ما روي في الصحيحين من قوله ﷺ: «**إن أهون الناس عذابًا يوم القيامة أبو طالب؛ إنه في ضحضاح من النار يغلي منه دماغه**»[٢]، فإنه يدل بدلالته على أنهما ليسا من أهل النار؛ فإنهما معاذ الله لو كانوا في النار لكانا أهون منه، بناءً على أن الإضافة للاستغراق، وحملها على العهد يأبى عنه وقوعه في سؤال عباس ﷺ للنبي ﷺ: «**إن أبا**

---

(١) الأنوار القدسية في شرح القصيدة الهمزية لابن عجيبة (ص٦)، تح: عبد السلام العمراني، ط: دار الكتب العلمية.

(٢) سبق تخريجه.

طالب كان يذب عنك أتنفعه يوم القيامة؟»[١].

الثامن: ما روي أنه ﷺ قال: «**أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى، ورؤيا أمي آمنة**»[٢].

وجه الاستدلال: أنه ﷺ لا يفتخر إلا برؤيا مؤمنة، لا سيما إذا كانت منتظمة في سلك فيه خليل الله وروح الله عليهما الصلاة والسلام هم منه، فإذا كانت مؤمنة، فأبوه أيضًا مؤمن، إذ لا قائل بالفصل.

التاسع: ما روت عائشة رضي الله عنها: وهو أنه ﷺ نزل الحجون كئيبًا حزينًا، فأقام به ما شاء الله عز وجل، ثم رجع مسرورًا، قال: «سألتُ ربي عز وجل، فأحيا لي أمي، فآمنت بي ثم ردها»[٣]. وأما إيمان أبيه فيثبت بما ذكرنا بأنه لا قائل بالفصل من أن القرطبي ذكر أن الله سبحانه وتعالى أحيا أبوي النبي ﷺ في قبرهما فآمنا به، والحديث وإن كان ضعيفًا على اصطلاح المحدثين، لكن له تأييدات من العقل والنقل تقويه، مع أن بعض أئمة ذهب إلى صحته.

وأما استبعاد بعضهم بأن الإيمان بعد الموت كيف ينفع صاحبه؟ فليس بشيء، لأنه بعدما ثبت الحديث، فتكون من خصوصياته هذه، وخصوصياته ﷺ كثيرة، فتكون هذه من جملتها.

---

(١) أخرجه مسلم، في صحيحه برقم (٢٠٩) بسنده إلى العباس بن عبد المطلب، أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٧١٥٠)، وقال محققه: «حديث صحيح لغيره»، والبزار في مسنده، برقم (٤١٩٩)، والطبراني برقم (٧٧٢٩)، والحاكم برقم (٤١٧٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ٨٠).

(٣) سبق تخريجه.

العاشر: ما روي من تبشيره ﷺ لمن شرب بوله ودمه بالأمن من العذاب ودخول الجنة، فإذا كان اتصال بوله ودمه ﷺ بشخص سببًا لأمنه من العذاب ودخول الجنة، فما ظنك بمن كان ظهره مستقرًا له، وبطنه مستودعًا مدة مديدة وعهدًا بعيدًا؟!

والدلائل في هذا كثيرة يظفر عليها من تصفح كتب الحديث والسير، مثل عدم وقوع ظله العالي ﷺ على الأرض، لاحتمال عدم طهارتها، وعدم وقوع الذباب عليه ﷺ لذلك، فإذا صان الله سبحانه وتعالى ظله العالي ﷺ على الأرض لاحتمال عدم طهارتها ومنع الذباب من الوقوع عليه، فكيف بقرْن ذاته الأشرف الأعلى بالرجس الحقيقي زمانًا طويلًا وأمدًا بعيدًا؟! معاذ الله أن نظن بربنا هذا! فلنكتف في هذا الباب بهذا المقدار، فإن العاقل تكفيه الإشارة، والبليد لا ينفعه التطويل، ولو تليت عليه التوراة والإنجيل.

***

الفصل الثاني
في دفع مستمسكات المخالفين

أقواها ما في صحيح مسلم، وهو قوله ﷺ: «إن أبي وأباك في النار» ودفعه من وجوه:

الأول: أنه قبل الوحي إليه بأن أهل الفترة ليسوا من المعذبين، ولزوم الكذب مدفوع بأن تقدير الكلام: «في علمي وظني»، كما قد ورد في قوله ﷺ في جواب ذي اليدين لما قال: «**أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟ كل ذلك لم يكن**»[1]. وكما قد ورد في أمثاله، وإلا فعصمته ﷺ عن الكذب في أحكام الشرع عمدًا وخطأً وسهوًا مجمع عليها.

الثاني: أن كونهما في النار قبل الإيمان، فبعدما أحياهما الله تعالى في قبرهما فآمنا - كما دل عليه الحديث المتقدم- صارا من أهل الجنة.

الثالث: أن المراد بأبيه عمه أبو طالب، لأن العم يسمى أبًا، لا سيما إذا ربَّى ابن أخيه، وقرينة المجاز ما تقدم من الدلائل الدالة على إيمانهما وكونهما من أهل النجاة، ونكتته تسلية المخاطب.

الرابع: أنه إن كان صحيحًا خبر آحاد، فلا يعارض النصوص القاطعة الدالة على عدم عذاب أهل الفترة، ومنها حديث: «استأذنتُ ربي للاستغفار لأمي فلم يأذن لي» فإنه يدل على أن عدم الإذن للإشراك، فإنه سبحانه لا يغفر أن يشرك به.

والجواب عنه: منع صحة الحديث، ولو سُلِمَت صحته، فلا يعادل النص القاطع الدال على عدم عذاب أهل الفترة.

وما أجاب عنه بعض علماء العصر بقوله: قلتُ: معنى الاستغفار طلب مغفرة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٤٤)، ومسلم في صحيحه برقم (٥٧٣).

الذنب، وهي آمنت بالخلّاق ووحدت الله في الخلق، وفيما سواه معذورة إلى قيام الحجة، ولم تقم عليها، فلا ذنب لها، فالاستغفار للصبي يتضمن الكذب، ولو استأذن النبي ﷺ ربه للاستغفار لصبي لا يأذن له، ولذا لا يجوز الاستغفار لصبي في جنازته، فالاستغفار لها لغو متضمن للكذب، ولا يجوز للنبي ﷺ أن يلغو ويكذب، فلذا لم يأذن له في الاستغفار لأمه؛ فمع كونه ساقطًا في نفسه يُرَدُ عليه أن النبي ﷺ كما لا يجوز له أن يلغو ويكذب لا يجوز له أن يستأذن ربه للاستغفار لها، على أن في تقرير كلامه ما تشمئز منه النفوس وتضطرب دونه.

ومنها: بكاؤه ﷺ عند زيارة قبر أمه كما نقل، ودفعه -على تقدير ثبوته- ظاهر بأنه للتحسر على فراقها، كما بكى على فراق إبراهيم، لا لعدم إذن ربه بالاستغفار لها.

ومنها: حديث «**ليت شعري ما فعل أبواي**»، قال البيضاوي: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ على قراءة نافع بصيغة النهي عن السؤال: أنها نزلت عند قوله ﷺ: «**ليت شعري ما فعل أبواي**» والجواب منع صحته كما صنعه الإمام في تفسيره الكبير عند قوله تعالى: (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) [البقرة: ١١٩]، وبعد التسليم فنقول: قوله ﷺ «**ليت شعري ما فعل أبواي**» قبل علمه بحال أهل الفترة، وقول البيضاوي: إنها نزلت عند قوله ﷺ «**ليت شعري ما فعل أبواي**» ليس بحجة، خصوصًا إذا كان مخالفًا للنصوص القاطعة، بل الظاهر أنها نزلت حين هم ﷺ بالاستغفار لأبي طالب، والسؤال عنه لما نزل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية [التوبة: ١١٣] فيه أنه يمكن حمل الأبوين على المجاز، كما سبق مثله.

وأما ما ذكره الفخر الرازي في «الكبير» ونقل عنه شيخ زاده في «حاشية البيضاوي» أن قول أهل السنة فيهما ما قال أبو حنيفة في «الفقه الأكبر» والقائلون بخلاف ذلك إنما

هم الإمامية، فإن كان مراده أن قول أهل السنة ما يوهم ظاهر عبارة «الفقه الأكبر» فممنوع، وإن كان مراده أن قولهم ما يؤخذ ويستنبط منه بعد التأويل وإمعان النظر، فمع كونه بعيدًا لا يصح قوله: «والقائلون بخلاف ذلك إنما هم الإمامية» فكن على بصيرة، ولا تكن من الغافلين.

***

الفصل الثالث

[بيان معنى قول الإمام الأعظم في الفقه الأكبر]

في أن الحق من مسألة الأبوين إذا كان هذا، فما معنى قول الإمام الأعظم في الفقه الأكبر: ووالدا رسول الله ﷺ ماتا على الكفر، وعمه أبو طالب مات كافرًا؟

قلت: أولًا نسبة هذا الكتاب للإمام ليست ثابتة كما قال به بعض العلماء، فالتصنيف في زمنه ما كان مستفيضًا شائعًا، وإلا لم يقل هذا، فإنه ليس مما يجب اعتقاده، مع أنه لم يذكر في هذه الرسالة الاعتقادية إلا أهم المهمات الذي ليس منه بد، وليس فيه تعظيم النبي ﷺ بل يوهم النقص.

وبعد تسليم ثبوت النسبة نقول: لعل أصل النسخة كان «ما ماتا» كما وقع في نسخة بعض علماء عصرنا، فلما رأى النساخ تكرارها ظنَّوا إحداهما زائدًا - قبل إمعان النظر- فتركوه وانتشرت النُّسَخُ، فحيئنذٍ يكون ذكره لتعظيم حضرة الرسول عليه الصلاة والسلام، وإن لم يكن مما يجب اعتقاده، مع أن الحق أنه مما يجب اعتقاده بعد البلوغ.

أو المراد: ماتا على زمن الكفر، كما قال به ابن الكمال.

أو الكفر المجازي الذي لا يُؤاخَذ به صاحبه وهو الجهل بالأحكام الشرعية، لأنه معذور، لا الكفر الشرعي فإنه لا يُتصوَر قبل ورود الشرع، كما قال به بعض علماء عصرنا، يؤيده تغيير الأسلوب وإلا كان الأوجز والأظهر أن يقال: ووالدا رسول الله ﷺ وعمه أبو طالب ماتوا كافرين.

وهذه التأويلات وإن كانت بعيدة في بادئ النظر، لكنها أهون بكثير من نسبة الكفر إلى والدي خير البرية الذي خُلِقَ العالم وما فيه لأجله.

خاتمة

اللهَ اللهَ، الحذرَ الحذرَ من ذكرهما بما فيه نقص أو ما يشعر به، فإن ذلك لا شك يؤذي النبي ﷺ، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١] فإن العرف حاكم بأنه إذا ذُكِرَ أبو الشخص بما ينقصه تأذى ولده بذلك، لا سيما إذا لم يكن ذلك النقص موجودًا فيه، وقد قال ﷺ حين أسلم عكرمة بن أبي جهل وذكر بعض أصحاب رسول الله بعض مساوئ أبيه: «**لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات**»[1].

كيف وقد نص بعض العلماء بأن الطعن في الأنساب من الكبائر، لأنه يؤدي إلى هتك أعراض الناس، وهذا ذنب كبير، وفي الحديث: «عرض المؤمن كدمه»[2].

فإذا كان الطعن في أنساب الناس كبيرةً، فما ظنك بمن يتفوه بكلام يلزمه لزومًا ظاهرًا؟ وإن لم يلتزم الطعن في نسب سيدنا، بل سيد جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأن يقولوا على ملأ الناس ورؤوس الأشهاد: إن أبويه كافران، نعوذ بالله تعالى من هذا الكلام، ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠].

هذا والعبد العاجز وإن لم يكن ممن ينتصب لأمثال هذه المطالب العالية المشكلة، ولكن بعد ما يقال المأمور معذور.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، انتهى.

---

(١) سبق تخريجه (ص).

(٢) أخرج مسلم في صحيحه برقم (٢٥٦٤)، بسنده إلى أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه».

قال مؤلفها: قد وقع الفراغ من كتابة هذه الرسالة الشريفة وما على هوامشها من منهيات مؤلفها نهار الخميس في شهر صفر الخير، الذي هو من شهور سنة ١١٧٣هـ؛ ألف ومائة وثلاثة وسبعون من الهجرة.

غفر الله لمؤلفها وكاتبها وقارئها وجميع المسلمين آمين

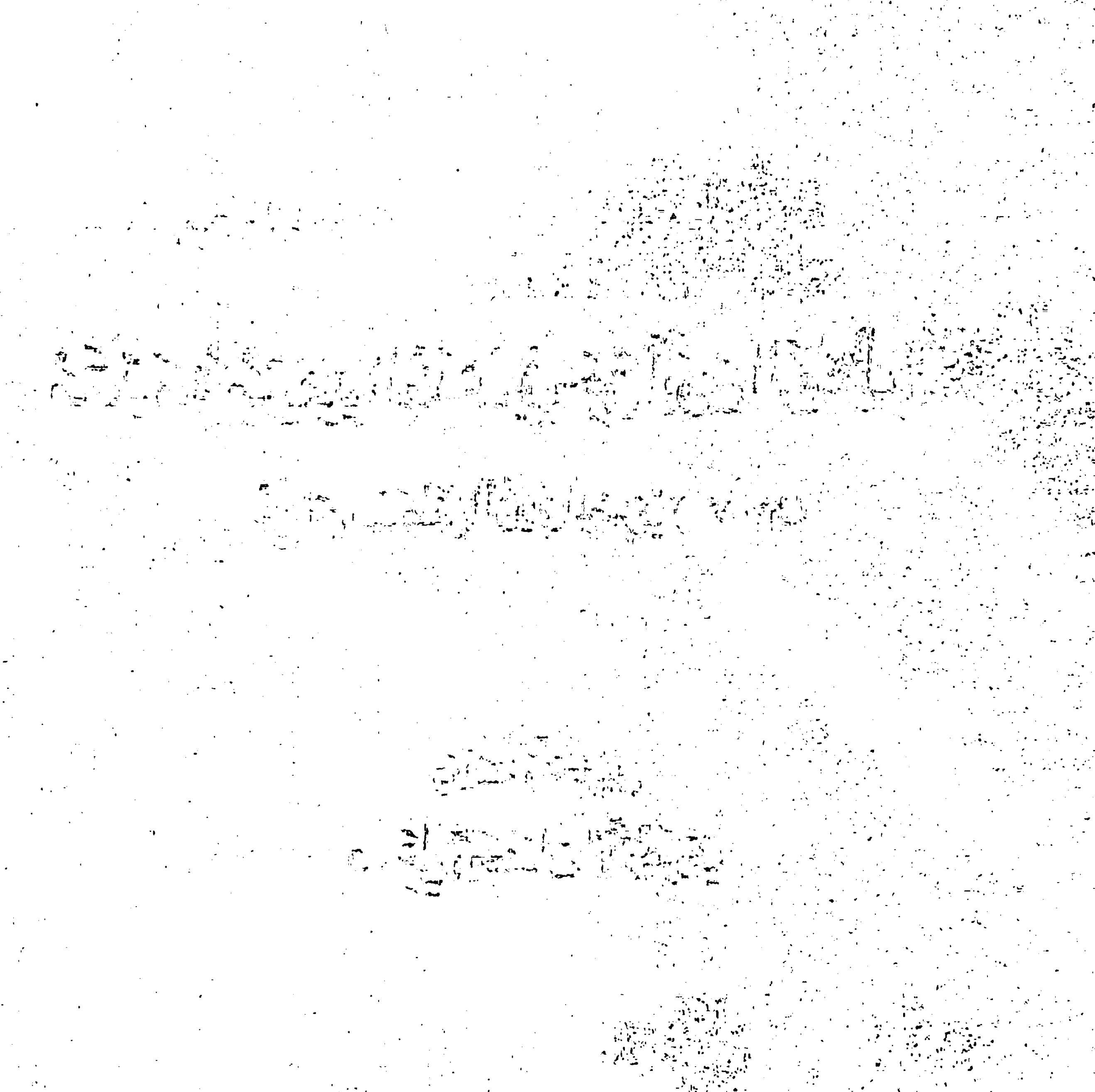
***

مُقَدِّمَة مُرْشِدِ الهُدَىٰ فِي حَقِّ أَبَوَيِّ الرَّسُولِ ﷺ

نُوح بن مُصْطَفَىٰ الرُّومِيّ المِصْرِيّ (١٠٧٠هـ)

دِرَاسَة وَتَحْقِيق

د. عَلِي رَمَضَان الأَزْهَرِيّ



العلامة نوح بن مصطفى الرومي حياته وآثاره

١- اسمه ونسبه ومولده:

نوح بن مصطفى الآماسي المولد، القونوي(١) الرومي العثماني الفقيه الحنفي المفتي ب «قونيه» الصوفي، الخلوتي(٢).

هذا وقد ولد العلامة نوح في بلدة أماسية نحو سنة ١٠٠٠هـ على التقدير، لأنه قدر عمره حين وفاته بسبعين سنة كما ذكر ذلك في وصيته لأصحابه(٣).

٢- شيوخه وتلاميذه:

لقد وهب الله تعالى العلامة نوح بن مصطفي منذ صغره حبًا للعلم، وشغفًا كبيرًا به جعله يقبل عليه منذ بداياته الأولي، فجلس وتلمذ بين يدي علماء عصره في بلده أماسيه، حتى حاز كثيرًا من العلوم كالفقه والأصول والتفسير والحديث والتصوف والعقيدة واللغة والتاريخ وغيرها، ففاق أقرانه ونبغ حتى صار مفتيًا لقونيه، ثم رحل إلى مصر وتلقى الكثير من العلوم عن علمائها واتخذها دارًا له، يعلم ويفتي ويصنف إلى أن قضى حميد السيرة محمود السريرة، ومن هؤلاء العلماء الذين تلقى العلم عنهم:

---

(١) القونوي نسبة إلى قونية، جاء في معجم البلدان «بالضم ثم السكون، ونون مكسورة، وياء مثناة من تحت خفيفة: من أعظم مدن الإسلام بالروم، وبها وبأقصري سكنى ملوكها، قال ابن الهروي: وبها قبر أفلاطون الحكيم بالكنيسة التي في جنب الجامع» (٤/ ٤١٥).

(٢) يراجع: خلاصة الأثر (٤/ ٤٥٨)، الأعلام (٨/ ٥١)، هدية العارفين (٢/ ٤٩٨)، معجم تاريخ التراث العربي (٥/ ٣٨٥٧).

(٣) يراجع: القول الأظهر في بيان الحج الأكبر، للشيخ نوح بن مصطفي، تحقيق: عبيدة عامر، بحث بمجلة الجامعة العراقية، ٢٠١٦م.

١- العلامة الكبير عبد الكريم السوسي، تلميذ شيخ الاسلام على بن غانم المقدسى[١].

٢- محمد حجازي الواعظ، أخذ عنه علم الحديث رواية ودراية[٢].

٣- حسن بن على بن أحمد بن ابراهيم الخلوتي، أخذ عنه علم التصوف[٣].

هذا وقد تلقى عنه العلوم كثير من التلاميذ بمسقط رأسه وبمصر التي رحل إليها واتخذها دارًا له، ولكن لم تحدثنا الكتب التي ترجمت له عمن أخذ عنه سوى ما ذكر عن تلميذه مصطفى بن حمزة بن إبراهيم بن ولى الدين بن مصلح الدين الرومي الحنفي الشهير بالآطه وي تلميذ نوح أفندي القونوي، كان حيا سنة ١٠٨٥ هـ، له «الحياة في شرح شروط الصلاة»، «نتائج الأفكار في شرح الأظهار للبركوي»[٤].

٤- مكانته العلمية:

لقد تبوأ العلامة نوح بن مصطفى الرومي مكانة كبيرة في عصره؛ نظرًا لما تمتع به من علم وزهد وورع وتعفف، وحلم وسخاء ورحمة بالفقراء والمساكين.

يقول المحبي في «خلاصة الأثر»: «الإمام العلامة سابق حلبة العلوم، سار ذكره واشتهر علمه، وهو في علوم عديدة من الفائقين، سيما التفسير والفقه والأصول

---

(١) خلاصة الأثر (٤/ ٤٥٨).

(٢) محمد حجازي بن محمد بن عبد الله: واعظ فقيه مصري. أصله من قلقشندة. ولد بأكرى (في طريق الحاج المصري) ونشأ وتوفي في القاهرة. من كتبه (شرح الجامع الصغير) للسيوطي و (سواء الصراط في أشراط الساعة، و (القول المشروح في النفس والروح). وله شروح وحواش ورسائل كثيرة، توفي سنة١٠٣٥هـ. الأعلام (٦/ ٧٩)، ويراجع: معجم المؤلفين (٩/ ١٧٧)، خلاصة الأثر (٤/ ٤٥٨)،

(٣) خلاصة الأثر (٤/ ٤٥٩).

(٤) يراجع: معجم المؤلفين (١٢/ ٢٤٩)، هدية العارفين (٢/ ٤٤١)، معجم تاريخ التراث (٥/ ٣٦٩١).

والكلام، وكان حسن الاخلاق، وافر الحشمة، جم الفضائل»[١].

وقال عنه مصطفى الحموي في فوائد الارتحال: «نوح بن مصطفى الإمام العلامة، حافظ الروم، وسابق حلبة العلوم، سار ذكر علمه سير الشمس في البلدان، وأقر بفضله أهل الفضل والعرفان، سعى في تحصيل العلوم حتى بلغ غايتها، ورقى مراتب المجد بأسرها حتى وصل إلى نهايتها»[٢].

٤- مصنفاته:

المطالع لترجمة وسيرة العلامة نوح الرومي يتبين له كثرة وتنوع وثراء مصنفاته، فقد صنف في علوم كثيرة وتناول موضوعات شتى، ولذلك ذكره صاحب «عقود الجوهر في تراجم من له خمسون مصنفًا فمئة فأكثر».

ومن هذه المصنفات التي جادت بها قريحته وخطها بنانه ما ذكره صاحب «هدية العارفين» فقال:

«نوح بن مصطفى القونوى المفتى الحنفي سافر إلى القاهرة، وتوفى بها سنة ١٠٧٠ سبعين وألف، صنف من الكتب:

أشرف المسالك في المناسك.

البلغة المترجم في اللغة.

تحفة الذاكرين.

الدر المنظم في مناقب الامام الاعظم.

---

(١) خلاصة الأثر (٤/ ٤٥٨).

(٢) فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر (٦/ ٢٤٢، ٢٤٣)، مصطفى الحموي، تح: عبد الله الكندري، ط: دار النوادر، بيروت، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

رفع الظنون عن حقيقة الطاعون.

زبدة الكلام فيما يحتاج إليه الخاص والعام في العقائد.

السيف المجزم في قتال من هتك حرم الحرم المحرم.

الصلاة الربانية في حكم من أدرك ركعة من الثلاثيه والرباعية.

عقد المرجان في فضل ليلة النصف من شعبان.

عمدة الراغبين في معرفة أحكام عماد الدين.

فتح الجليل على عبده الذليل في استخلاف الجمعة.

الفوائد السنية في المسائل الدينية.

الفوائد المهمة في اشتراط التبري في إسلام أهل الذمة.

القول الأظهر في بيان الحج الاكبر.

القول الدال على حياة الخضر ووجود الابدال.

الكلام المسبوق لبيان مسائل المسبوق.

الكلمات الشريفة في تنزيه الامام أبى حنيفة عن الترهات السخيفة.

اللمعة في آخر ظهر الجمعة.

مرشد الهدى في شرح وترجمة سبل الهدى في مجلدين.

مطلع البدر في فضل ليلة القدر.

نتائج النظر في حواشي الدرر لملا خسرو في الفروع»[1].

---

(١) هدية العارفين (٢/ ٤٩٨)، ويراجع: خلاصة الأثر (٤/ ٤٥٨)، الأعلام (٨/ ٥١)، إيضاح المكنون

٥- وفاته:

عاش العلامة نوح بن مصطفي حياة ملؤها التعلم والتعليم والإفتاء والتصنيف، مشاركًا في الحياة العامة بعفة ونزاهة وحلم وعطف على الفقراء والمساكين، وتوفي بالقاهرة في ٢٢ ذي القعدة، سنة ١٠٧٠هـ.

يقول صاحب خلاصة الأثر: «بمصر مقيمًا بخدمة الدين، مصون العرض والنفس، متمتعًا بما من الله عليه من فضله حتى توفى بمصر، وكانت وفاته في سنة سبعين بعد الألف ودفن بالقرافة الكبرى، وبنى عليه بعض الوزراء قبة عظيمة»[١].

***

(٤/ ١٢١، ١٦٠، ٢٤٨)، معجم المؤلفين (١٣/ ١١٩)، معجم تاريخ التراث (٥/ ٣٨٥٧)، عقود الجوهر (ص٢٧٣-٢٧٩).

(١) خلاصة الأثر (٤/٤٥٨)، معجم المؤلفين (١٣/ ١١٩)، هدية العارفين (٤/ ٤٩٨)، الأعلام (٨/ ٥١).

مرشد الهدى اسمًا ونسبة

وسوف يدور الكلام حول:

١- اسم الرسالة:

ورد اسم هذه الرسالة في كتب التراجم والفهارس باسم: «مرشد الهدى في حق أبوي النبي ﷺ»، فقد وردت بهذا الاسم في (معجم تاريخ التراث (٥/ ٣٨٥٩)، هدية العارفين (١/ ٣٧)، عقود الجوهر (ص٢٧٩)، فهرس مخطوطات مكتبة جامعة الكويت (ص١٥٠١)، معجم ما ألف عن رسول الله (ص٥٣).

٢- نسبة الرسالة إلى مؤلفها:

تثبت نسبة هذه الرسالة للشيخ نوح الرومي بأمور منها:

١- ما جاء في بداية هذه الرسالة ونهايتها مما يثبت صحة نسبتها إليه، حيث قال في أولها: «وبعد، فيقول أحقر الورى نوح بن مصطفى: إذا كان العلماء العظام والفضلاء ذوو الاحترام ذهبوا إلى أن أبوي حضرت رسول الله ﷺ ناجيان»

وقال في نهايتها: «الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، قوبلت هذه النسخة المباركة مع النسخة المقابلة المصححة التي كتبت برسم من كان هو السبب في جمعها وتأليفها والحامل على وضعها وتصنيفها، حفظه الله تعالى من جهات الست بالسبع المثاني، وبلغه من الدارين جميع المآرب والأماني، كتبه مؤلفه الفقير إلى رحمة ربه القدير نوح الحنفي عامله الله بلطفه الخفي»[1].

٢- نسبتها إلى مصنفها في كتب التراجم والفهارس، حيث وردت نسبتها إلى

---

(١) مرشد الهدى، نور عثمانية (لوحة١٨٩).

المصنف في «هدية العارفين» (١/ ٣٧)، وقد نسبها لوحدي الرومي (١١٢٦هـ)، والصحيح أنها لنوح الرومي، وهذا يوضحه ما جاء في النسخ الخطية من ذكر نسبتها صراحة له، وفي «معجم تاريخ التراث» (٥/ ٣٨٥٩)، «عقود الجوهر فيمن لهم خمسون مصنفًا فأكثر» (ص٢٧٩)، «فهرس مخطوطات مكتبة جامعة الكويت» (ص١٥٠١)، «معجم ما ألف عن رسول الله» (ص٥٣).

٣- مصادره في الكتاب:

رجع العلامة نوح بن مصطفى الرومي إلى مصادر متنوعة في هذه الرسالة، منها ما صرح به ومنها ما لم يصرح به، ومن المصادر التي ذكرها صراحة وجاءت مثبتة في بداية رسالته (نسخة نور عثمانية)، وهاهي مرتبة على حروف المعجم:

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ت: ٩١١هـ).

إتمام النعمة في اختصاص الإسلام بهذه الأمة، للسيوطي (ت: ٩١١هـ).

إرشاد الشاري بشرح صحيح البخاري للقسطلاني (ت: ٩٢٣هـ).

أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت: ٦٨١هـ).

تجريد أسماء الصحابة للذهبي (ت: ٧٤٨هـ).

تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي.

الجامع الكبير والصغير وذيله للسيوطي (ت: ٩١١هـ).

حاشية التلمساني على الشفا (ت: ٨٩٤هـ).

حاشية الجامع الصغير لمحمد بن عبد الرحمن العلقمي (ت: ٩٦٣هـ).

حاشية الشمني على الشفا= مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء للعلامة أحمد بن محمد

بن محمد الشمني (ت: ٨٧٣هـ).

تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس للدياربكري (ت: ٩٦٦هـ).

الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (ت: ٩١١هـ).

الدرر الكامنة في إسلام السيدة آمنة للسيوطي (٩١١هـ).

ديوان الصرصري، يحي بن يوسف بن يحي الصرصري (ت: ٦٥٦هـ).

الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري (ت: ٦٩٤هـ).

سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ).

السيرة النبوية لابن هشام (ت: ٢١٣هـ).

التيسير بشرح الجامع الصغير لمحمد عبد الرؤوف المناوي (ت: ١٠٣١هـ).

تبيين الحقائق شرح الكنز في الفقه الحنفي لعثمان بن علي الزيلعي (ت: ٧٤٣هـ).

المنح المكية في شرح الهمزية لابن حجر الهيتمي المكي (ت: ٩٧٤هـ).

شرح العقائد النسفية مسعود بن عمر التفتازاني (ت: ٧٩٣هـ).

الشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ).

الشمائل المحمدية للإمام الترمذي (ت: ٢٧٩هـ).

الصحاح وتاج العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ).

صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ).

طرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة، للسيوطي (ت: ٩١١هـ).

القاموس المحيط للفيروزآباي (ت: ٨١٧هـ).

قواعد الإعراب لابن هشام (ت: ٧٦١هـ).

القول الصحيح البديع في معراج الرفيع للرفيع ().

القول الفصيح في تعيين الذبيح للسيوطي (ت: ٩١١هـ).

الكافية لابن الحاجب جمال الدين بن عثمان (ت: ٦٤٦هـ).

الكشاف لمحمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ).

كنز الدقائق في الفقه الحنفي، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ).

مسالك الحنفا في والدي المصطفى للسيوطي (٩١١هـ).

المطول على التلخيص للتفتازاني (ت: ٧٩٣هـ).

المعراج الصغير والمعراج الكبير للشامي (ت: ٩٤٢هـ).

المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري (ت: ٥٣٨هـ).

المقامة السندسية للسيوطي (ت: ٩١١هـ).

المنتخب في مولد المنتجب للأمير عثمان.

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني (ت: ٩٢٣هـ).

النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ت: ٦٠٦).

وهكذا يتضح للقارئ تنوع المصادر التي رجع إليها الشيخ وأفاد منها ما بين التفسير والحديث والفقه والأصول واللغة والتاريخ والسير.

٤- وصف نسخ المخطوط:

رجعت في تحقيق مقدمة هذه الرسالة إلى ثلاث نسخ:

النسخة الأولى: نسخة المكتبة الأزهرية برقم (٢٢٣٥ فقهـ)؛ عام ٨٣٥١٣ الأتراك، رسالة رقم: ١٢) وتقع في لوحتين، في كل لوحة صفحتان، وهي تمثل مقدمة الرسالة، وهي مكتوبة باللغة التركية وقد قامت دار الإحسان ممثلة في صاحبها الأستاذ الدكتور محمد نصار بترجمتها لإضافتها للمجموع لاتحادها مع رسائله في نفس الموضوع، وقد رأينا إضافتها لما لها من قيمة كبيرة مستمدة مما جاء فيها، ومن المكانة العلمية لمؤلفها الشيخ نوح الرومي الحنفي - رحمه الله تعالى - حيث يتفق مع جمهور علماء الأمة في القول بأن أبوي النبي ﷺ من أهل الفترة وأنهما ناجيان.

وقد قدمت هذه النسخة لأنها تركز على المطلوب مما يجب نحو أبوي النبي ﷺ، وبالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي:

١- عنوان الرسالة وأنها باسم: «رسالة مرشد الهدى في حق أبوي النبي عليه السلام».

٢- عدد لوحاتها: لوحتان، ٢٠٤-٢٠٥، في كل لوحة صفحتان، عدد الأسطر: ١٥، القياس: ٢٠ × ١٤، عدد المجلدات: ١، وقد كتبت بمداد أسود.

٣- اسم الناسخ: لم يذكر في هذه النسخة اسم ناسخها، ولا تاريخ نسخها.

أوله: «وبعد فيقول أحقر الورى أعنى نوح بن مصطفى عفا عنهما ديركه اكر علماء عظام وفضلائ ذوي الاحترام حضرة رسول».

آخره: «كوندر مشدر وجود شريفيله ثقلينه رحمت ايدوب نجات وير مشدر ابوينى نه نجات ويرمك امر بعيد ميدر».

النسخة الثانية: (نسخة نور عثمانية برقم١٢١٠)، وبالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي:

١- عنوان الرسالة وأنها باسم: رسالة مرشد الهدى في حق أبوي رسول الله ﷺ.

٢- عدد لوحاتها: ١٨٩ لوحة، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة ١٧ سطرا، وفي كل سطر ١٠ كلمات في المتوسط، وقد كتبت بمداد أسود والعناوين بمداد أحمر، بخط التعليق الجيد، مكتوبة بالتركي.

٣- اسم الناسخ: أحمد بن المرحوم محمد أفندي الرماني.

٤- تاريخ النسخ: غرة شهر ربيع الأول سنة١٠٣٨ هجرية.

هذا وقد أثبت في نهايتها اسم ناسخها وتاريخ نسخها:

«وكان الفراغ في غرة شهر ربيع الأول من شهور سنة ١٠٣٨ هـ على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى عفوه وامتنانه يوم التناد، أحمد ابن المرحوم محمد أفندي الرماني، غفر الله له ولوالديه وللمسلمين؛ آمين» كما أثبت أيضًا مقابلتها على نسخة المؤلف، وقد أثبت ذلك بخطه.

«الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، قوبلت هذه النسخة المباركة مع النسخة المقابلة المصححة التي كتبت برسم من كان هو السبب في جمعها وتأليفها والحامل على وضعها وتصنيفها، حفظه الله تعالى من جهات الست بالسبع المثاني، وبلغه من الدارين جميع المآرب والأماني، كتبه مؤلفه الفقير إلى رحمة ربه القدير نوح الحنفي عامله الله بلطفه الخفي»[1].

فهذا يثبت أنها كتبت في حياة مصنفها وقوبلت على نسخة مصنفها رحمه الله تعالى.

---

(١) مرشد الهدى، نور عثمانية (لوحة١٨٩).

٥- لا يوجد حواشي وتعليقات على هذه النسخة، إلا أنها ليس بها خروم أو سقط وكاملة الآخر.

وذلك يثبته ما جاء في آخره: «والحمد لله رب العالمين، والصلاة على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب»[١].

النسخة الثالثة: (نسخة مكتبة أسعد أفندي بتركيا برقم: ٤٢٨): وبالرجوع إلى المخطوط يتبين التالي:

١- عنوان الرسالة وأنها باسم: رسالة مرشد الهدى في حق أبوي النبي عليه السلام.

٢- عدد لوحاتها: ٢٠٤ لوحه، في كل لوحة صفحتان، في كل صفحة ١٥ سطرًا، وفي كل سطر ١١ كلمة في المتوسط، وقد كتبت بمداد أسود والآيات والأحاديث بمداد أحمر، بخط تعليق حسن.

٣- اسم الناسخ: لم يذكر في هذه النسخة اسم ناسخها.

٤- تاريخ النسخ: أوائل شهر رمضان سنة ١٠٣٧هـ.

وهذا يثبته ما جاء في آخرها: تم الكتاب بعون الملك الوهاب بأوائل شهر رمضان المعظم سنة ١٠٣٧هـ.

وتأتي بقية الرسالة بعد الذي اقتصرنا على ترجمته منها لتقيم الأدلة والبراهين من القرآن والسنة وأقاويل الثقات من علماء الأمة على ما يجب في حق أبوي النبي ﷺ مما قرره الشيخ نوح الرومي وإخوانه من أكابر علماء الأمة من اعتقاد تبرئتهما من الكفر وأنهما ناجيان وداخلان الجنة برحمة الله تعالى وفضله ومنته، وليس ذلك عن هوًى وتشهي وإنما تقرره الدلائل القرآنية والأحاديث النبوية، وأكابر علماء الأمة من

---

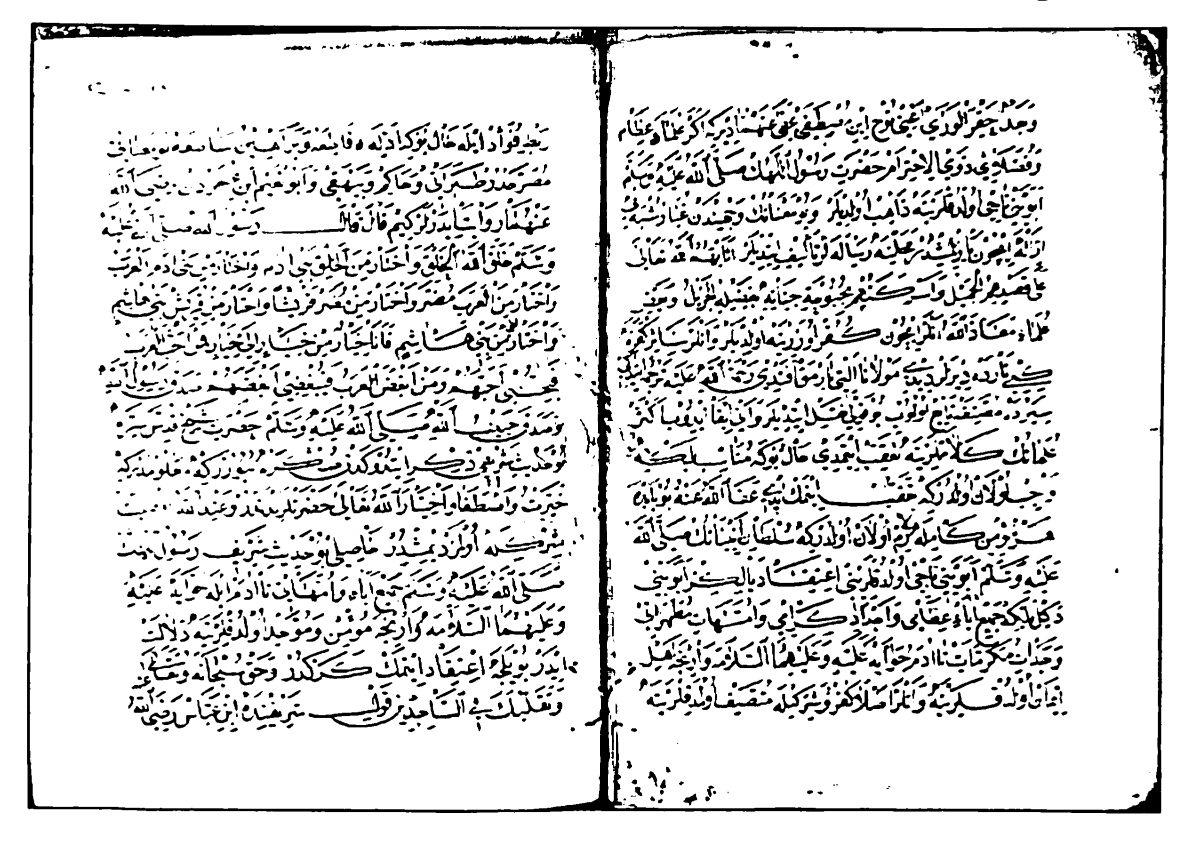
(١) المرجع السابق.

الثقات الذين يرجع إليهم ويعتمد على أقوالهم كحبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، والحافظ ابن حجر العسقلاني، وصاحب التفسير الكبير العلامة الفخر الرازي.

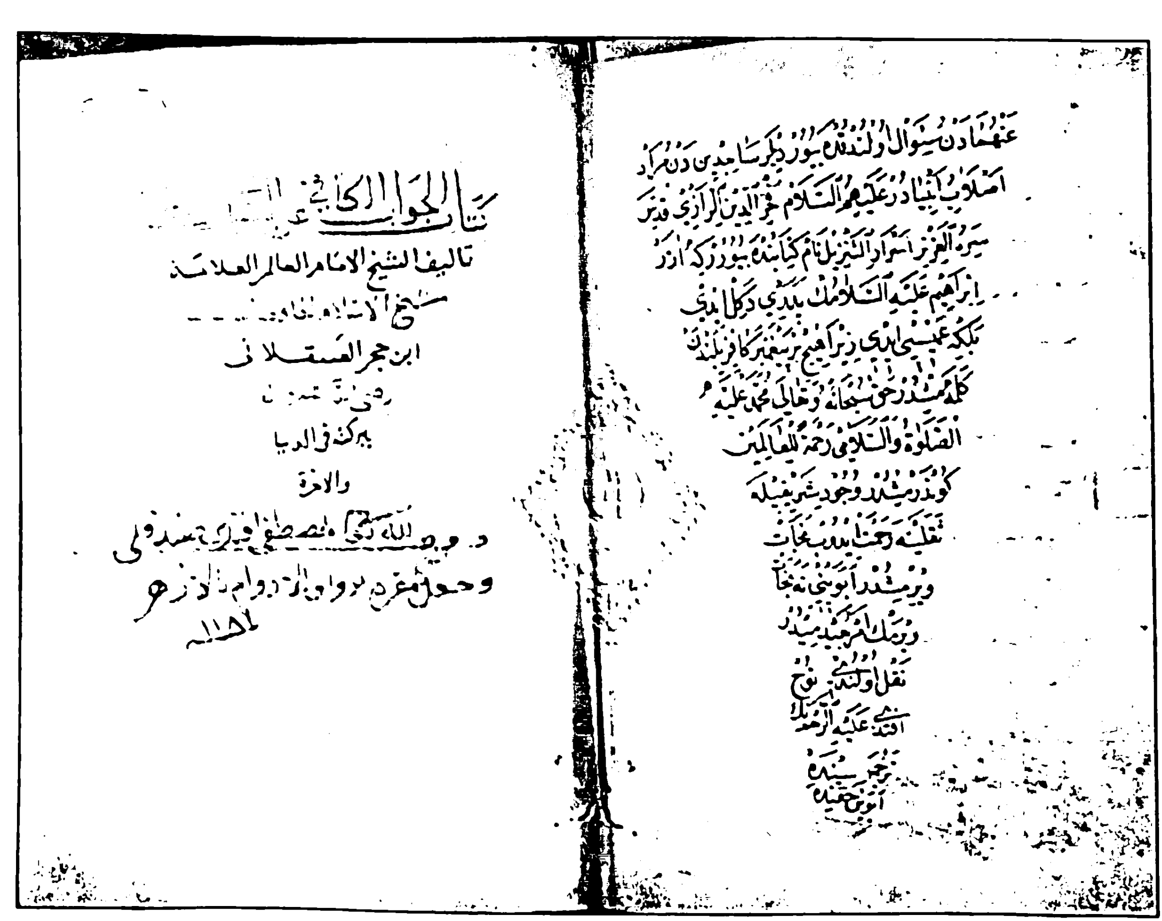
٦- صور من المخطوط، بدايته ونهايته؛ للنسخ التي اعتمدت عليها في تحقيق النص.

النسخة الأولىٰ: (نسخة المكتبة الأزهرية):

اللوحة الأولىٰ (مقدمة الرسالة):



اللوحة الثانية:



تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة

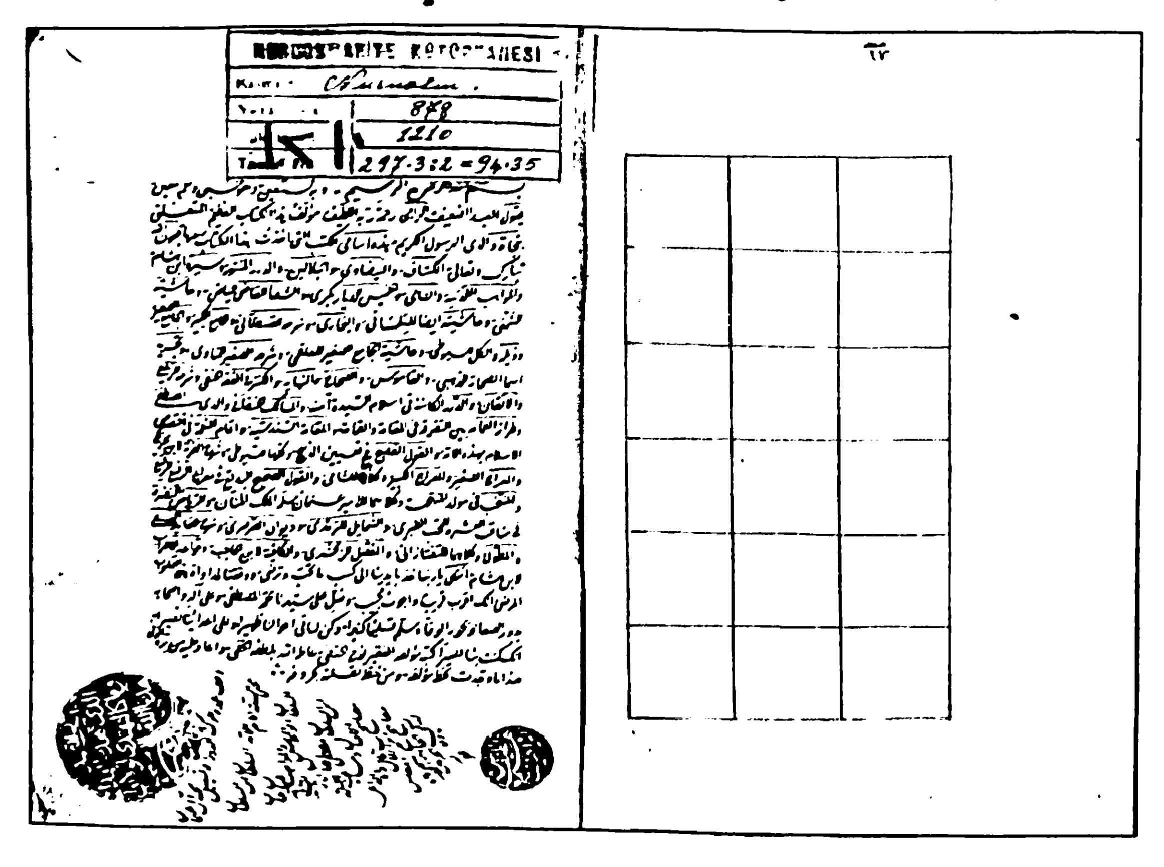
ابن حجر العسقلاني

والآخرة

النسخة الثانية: (نسخة نور عثمانية برقم: ١٢١٠):

اللوحة الأولى (غلاف المخطوط):

اللوحة الثانية (بداية المخطوط، وبها المصادر التي اعتمد عليها المصنف):

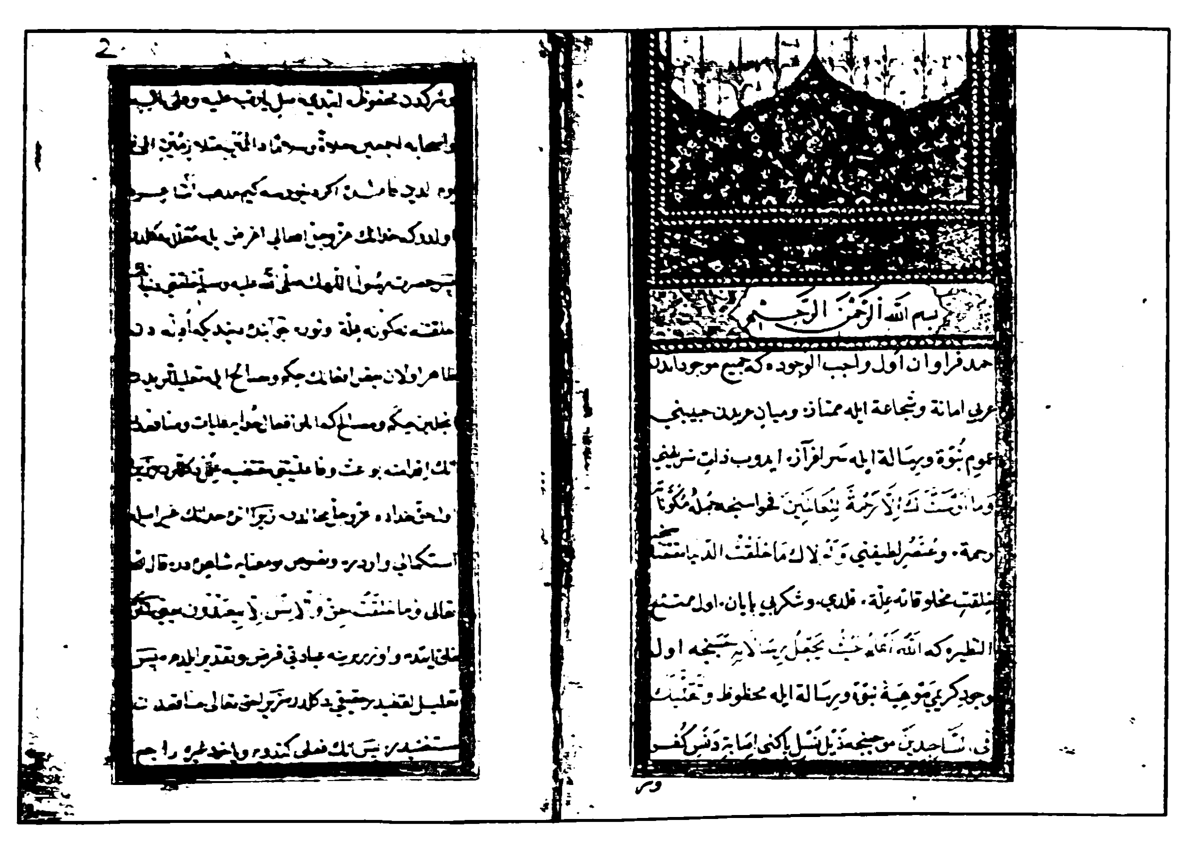


اللوحة الثالثة: (أول مقدمة الرسالة):

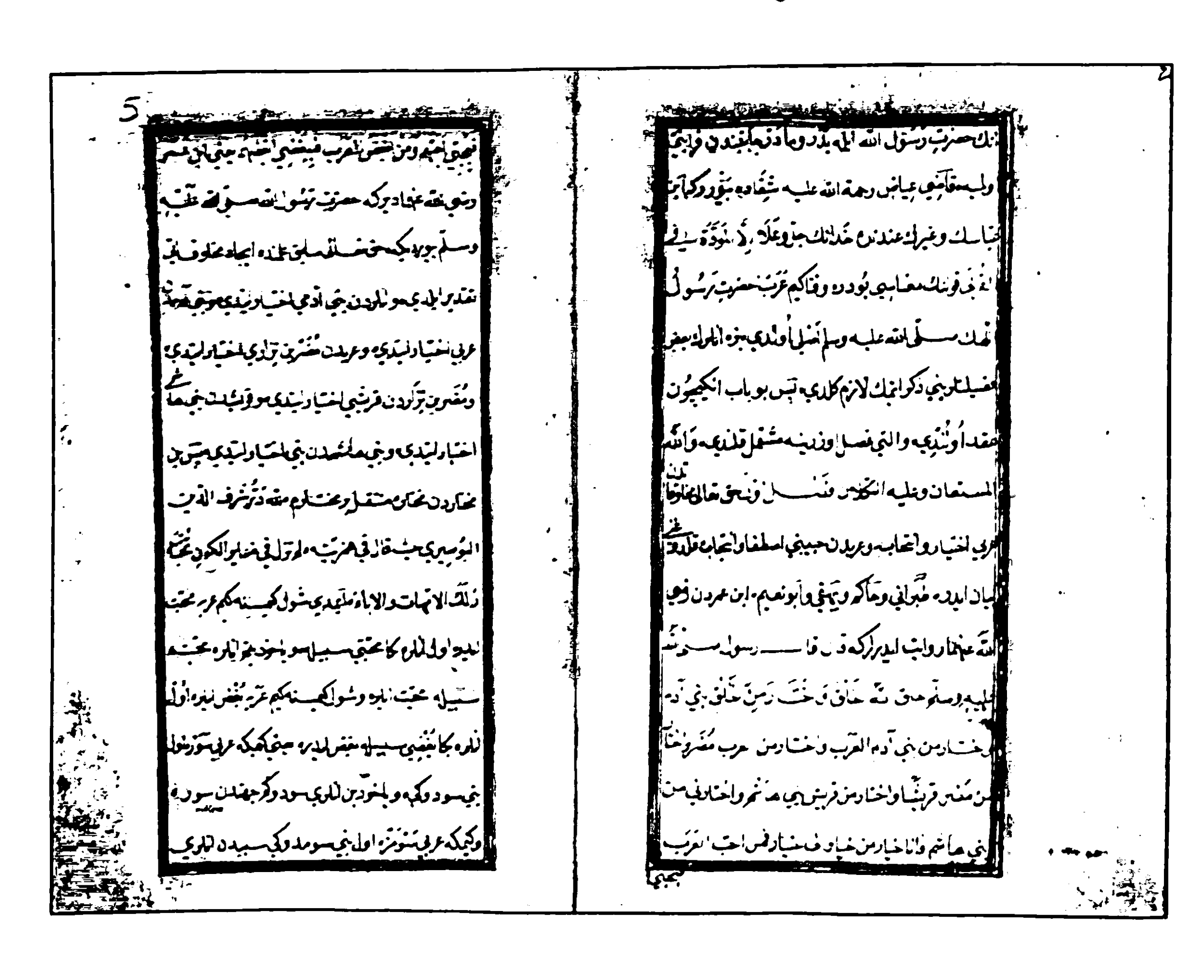
اللوحة الرابعة: (نهاية مقدمة الرسالة):

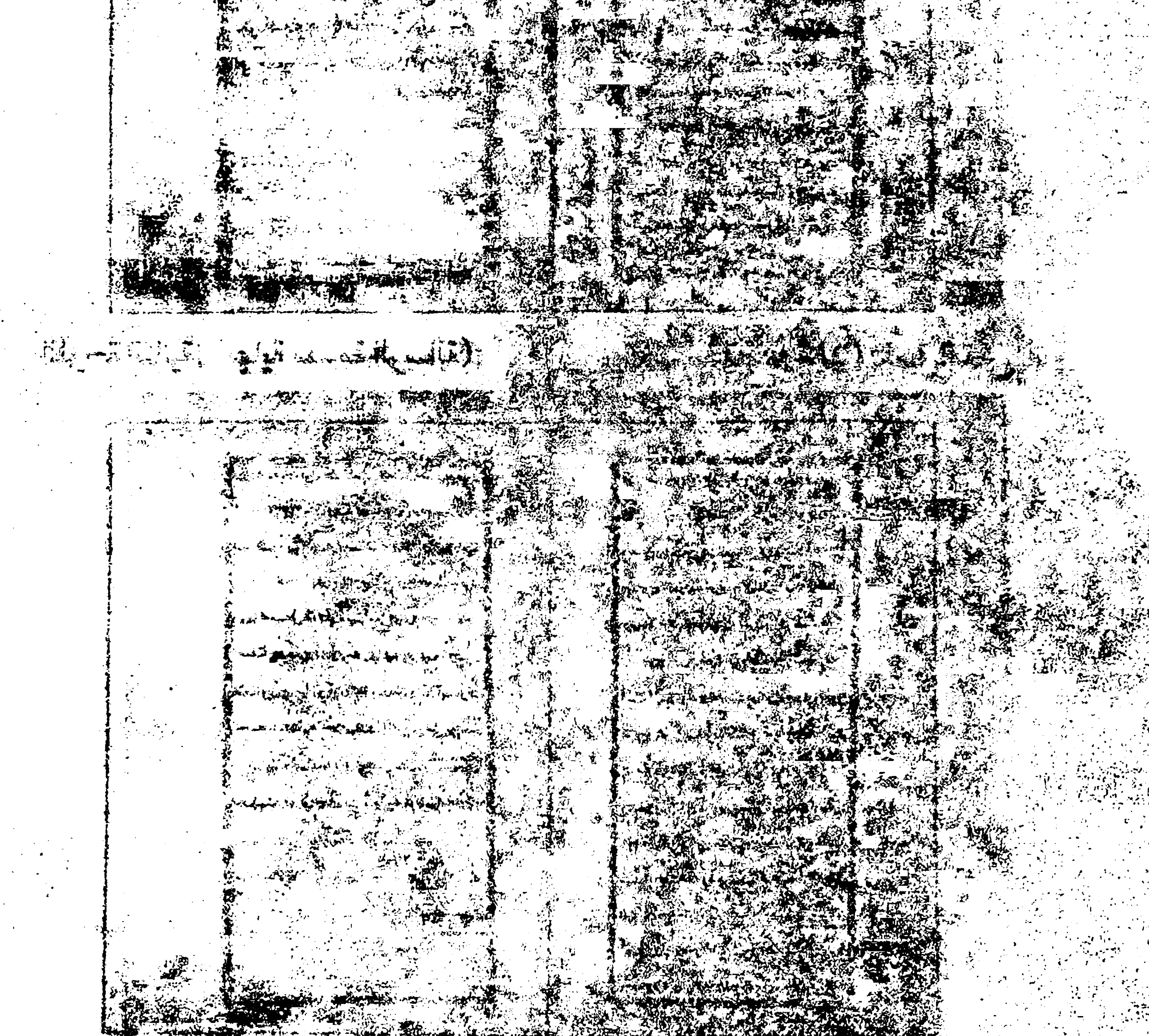
النسخة الثانية: (نسخة أسعد أفندي بتركيا برقم: ٤٢٨):

اللوحة الأولى (بداية مقدمة الرسالة):



اللوحة الثانية: (نهاية مقدمة الرسالة):





النص المحقق

مرشد الهدى في حق أبوي رسول الله ﷺ

للفاضل العلامة/ نوح أفندي المصري

شارح الدرر

رحمه الله (بالتركي)[١]

وبعد، فيقول أحقر الورى نوح بن مصطفى: إذا كان العلماء العظام والفضلاء ذوو الاحترام ذهبوا إلى أن أبوي حضرة رسول الله ﷺ ناجيان، حتى ألفوا الرسائل لإزالة غبار الشبهة عن وجه هذا المعنى، أثابهم الله تعالى على قصدهم الجميل، وأسكنهم بحبوحة جنانه بفضله الجزيل، فالبعض الآخر من العلماء ذهبوا إلى أنهما ماتا معاذ الله -على الكفر! وأنهما في النار كسائر الكفرة!

وقال مولانا ألتي برمق[٢] رحمة الله عليه في «سيرته» التي ترجمها إنه تابع المصنف[٣] ونقل هذا القول وأبقى عليه، ولم يتابع كلامَ أكثرِ العُلماء، وكان المناسب بل الواجب اتباعهم، عفا الله عنه.

---

(١) ترجم هذه الرسالة الأستاذ نور أفندي عليه الرحمات في حق الأبوين، لدار الإحسان للنشر والتوزيع بالقاهرة.

(٢) محمد بن محمد الإسكوبي، ومعنى آلتي برمق: ذو الأصابع الست، والكتاب المقصود هو ترجمة لكتاب معارج النبوة ومدارج الفتوة لمعين الدين الفراهي، وقد عرفت ترجمته باسم «سير نبي»، وتوفي سنة ١٠٣٣ ودفن بالقاهرة في مسجد عرف باسمه بالدرب الأحمر. يراجع: معجم المؤلفين (١١/ ١٩٢)، هدية العارفين (٢/ ٢٦١).

(٣) أي صاحب الأصل المترجم منه الكتاب وهو معين الدين الفراهي، الفقيه الحنفي الشهير بمنلا مسكين، المتوفى سنة ٩٥٤ أربع وخمسين وتسعمائة، له بحر الدرر في التفسير، تاريخ موسوي، روضة الجنة في تاريخ هراة، معارج النبوة في مدارج الفتوة. هدية العارفين (٢/ ٢٤٢)، معجم المؤلفين (١١/ ١٢٣).

ويلزمُ كُلَّ مؤمنٍ كاملٍ في هذا الباب اعتقادُ أن أبوي سلطانِ الأنبياء ﷺ ناجيان. وليس أبواه فقط الناجين، بل على كل إنسان أن يربط قلبَه على اعتقاد أن جميع الآباء العظام، والأجداد الكرام، والأمهات المحترمات، والجدات المكرَّمات إلى آدم وحواء عليهما السلام أهلُ إيمان وأنهم لم يتصفوا بالكفر أصلًا، لأن الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة مصرحةٌ بهذا المعنى.

روى الطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلق الله الخلق، واختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشًا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم**»[1] صدق رسول الله، وصدق حبيب الله ﷺ.

وقال حضرة الشيخ قدس سره[2] بعد ذكره لهذا الحديث: «ومن المعلوم أن الخيرية والاختيار والاصطفاء من الله تعالى، وَالْأَفْضَلِيَّةَ عِنْدَهُ لَا تَكُونُ مَعَ الشِّرْكِ»[3]. وحاصل هذا الحديث يدل على أن جميع آباء رسول الله ﷺ وأمهاته حتى آدم وحواء عليه وعليهما السلام مؤمنون وموحدون، وهكذا يجب الاعتقاد.

وعندما سئل ابن عباس رضي الله عنه عن قوله تعالى الشريف: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾

---

(١) أخرجه الطبراني برقم (١٣٦٥٠)، والحاكم برقم (٦٩٥٣)، والبيهقي في الشعب برقم (١٣٣٠)، وأبو نعيم في الدلائل (١/ ٥٨).

(٢) يقصد الحافظ ابن حجر العسقلاني في الأمالي.

(٣) وقد عزا هذا القول العلامة السيوطي في مسالك الحنفا للحافظ ابن حجر في الأمالي. مسالك الحنفا للسيوطي- ضمن الفتاوى (٢/ ٢٥٦).

قال إن المقصود من قوله: ﴿ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ هو أصلاب الأنبياء عليهم السلام[١].

وقال الإمام فخر الدين الرازي قدِّس سره العزيز في كتاب «أسرار التنزيل»[٢]: إن آزر لم يكن أبًا لإبراهيم، بل عمه؛ لأن أيًّا من الأنبياء لم يأت من الكافرين، والحق سبحانه وتعالى أرسل محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، فهل يكون بدنه الشريف رحمة للثقلين، ونجاة الأبوين أمرًا بعيدًا؟

تمت بحمد الله تعالى

وترجمها من اللغة التركية العثمانية

الأستاذ نور أفندي غفر الله له ولوالديه

***

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٩/ ٢٨٢٨)، والثعلبي في التفسير ط: دار التفسير (٢٠/ ١٣٨)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٦٥)، والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٤٨٤).

(٢) يراجع تفسير الفخر الرازي (١٣/ ٣٢)، اللباب في علوم الكتاب (٨/ ٢٣٣).

الخاتمة

هذا وبعد هذه الجولة الشيقة مع العلامة المرعشي في رسالته «السرور والفرح في حق أبوي النبي ﷺ»، والعلامة محمد بن يعقوب الأماسي في رسالته «أنباء الاصطفا في حق آباء المصطفى»، والعلامة ابن كمال باشا في رسالته «تفصيل القول في حق أبوي النبي»، والعلامة علي بن الجزار المصري ورسالته «تحقيق آمال الراجين بأن والدي المصطفي من الناجين»، و العلامة علي بن صادق الداغستاني ورسالته في «إثبات النجاة والإيمان لوالدي سيد بني عدنان»، والعلامة نوح الرومي ومقدمة رسالته «مرشد الهدى في حق أبوي الرسول» ﷺ واستعراضنا لكثير من القضايا التي تناولوها وناقشوها في ثنايا رسائلهم نخلص إلى: أن أصحاب الرسائل من أكابر علماء الإسلام قاطبة في العلوم عامة، والدراسات اللغوية والقرآنية والتفسير وعلوم القرآن والعقيدة والأصول والسيرة والتاريخ بصفة خاصة، فقد تصدوا للتأليف والتدريس؛ وصنفوا في كثير من العلوم، منها التفسير وعلوم القرآن والحديث والفقه والأصول واللغة والتاريخ وغيرها، وأنه لم يحقق من كتبهم إلا القليل، وأن الأسلم للمسلم أن يسلك ما سلكه أكابر علماء الأمة من القول بأن أبوي النبي ﷺ من أهل الفترة، وأن لا يخوض مع الخائضين ممن يؤذي رسول الله ﷺ من نعت أبويه بالكفر، وأن يكون رائده فيما يقول الدليل من القرآن والسنة، وأقوال الثقات من علماء الأمة كما علمنا هؤلاء العلماء، وأن يسعه ما وسع أكابر علماء الأمة من القول بنجاتهما.

هذا وغيره الكثير مما جادت به قريحة هؤلاء العلماء، والذي سيطالعه القارئ في رحلته بين سطور وأفكار هذا الكتاب.

(والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات).

وكتبه

خادم القرآن وعلومه

أبو أحمد علي رمضان الأزهري

١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م

***

فهرس المراجع

- الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير، الحسين بن إبراهيم الجورقاني، تح: الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، ط: دار الصميعي، الرياض - السعودية، مؤسسة دار الدعوة التعليمية الخيرية، الهند، الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن أحمد الشهير بالبناء (المتوفى: ١١١٧ هـ)، تح: أنس مهرة، ط: دار الكتب العلمية - لبنان، الثالثة، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.

- أدلة معتقد أبي حنيفة في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام، علي بن (سلطان) محمد القاري، تح: مشهور بن حسن بن سلمان، ط: مكتبة الغرباء الأثرية - السعودية، الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣هـ.

- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تح: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ط: دار الإصلاح - الدمام، الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

- الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري، تح: محمد نظام الدين الفُتَيِّح، ط: دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

- الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، لابن نجيم المصري، تح: زكريا عميرات، ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى - ١٤١٥ هـ.

- أعلام الحديث شرح صحيح البخاري للخطابي، تح: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، ط: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

- أعلام النبوة للماوردي علي بن محمد بن حبيب، ط: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الأولى - ١٤٠٩ هـ.

- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي، ط: دار العلم للملايين، الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

- الإفصاح عن معاني الصحاح للوزير ابن هبيرة، تح: فؤاد عبد المنعم أحمد، ط: دار الوطن، ١٤١٧هـ.

- أمثال الحديث لأبي الشيخ الأصبهاني، تح: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط: الدار السلفية - بومباي - الهند، الثانية، ١٤٠٨ - ١٩٨٧م.

- الإملاء المختصر في شرح غريب السير لأبي ذر الخشني، استخرجه وصححه: بولس برونله، ط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- الإنباء في تاريخ الخلفاء، محمد بن علي العمراني، تح: قاسم السامرائي، ط: دار الآفاق العربية، القاهرة، الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

- بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف، تح: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ط: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ.

- البداية والنهاية، لابن كثير، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

- بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس الحنفي، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م.

- بردة المديح= الكواكب الدرية في مدح خير البرية للبوصيري (ص٥)، شرح شيخ الإسلام إبراهيم الباجوري، ط: مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩١م.

- بغية الوعاة للسيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.

- بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، يحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي، ط: دار صادر - بيروت، د/ت.

- تاج التراجم، ابن قُطلُوبغا السودوني، تح: محمد خير رمضان، ط: دار القلم - دمشق، الأولى، ١٤١٣ هـ-١٩٩٢م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، الزَّبيدي، تح: مجموعة من المحققين، ط: دار الهداية.

- التاج والإكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي، ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٤م.

- تاريخ الخلفاء للسيوطي، تح: حمدي الدمرداش، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد الديار بكري، ط: دار صادر، بيروت.

- تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك، ط: دار النفائس بيروت، ١٤٠١هـ.

- تاريخ الطبري= تاريخ الرسل والملوك، ط: دار التراث بيروت، ١٣٨٧هـ.

- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادى، تح: د. بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢ م.

- تاريخ دمشق لابن عساكر، تح: عمرو بن غرامة العمروي، ط: دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- تبسيط العقائد الإسلامية، حسن أيوب، ط: دار الندوة الجديدة، ١٤٠٣هـ.

- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الإسفراييني، تح: كمال يوسف الحوت، ط: عالم الكتب لبنان، ١٤٠٣هـ.

- التحقيق على المنتخب في أصول مذهب ابي حنيفة لحسام الدين الأخسيكثي (مخطوط).

- تذكرة الموضوعات للفتني، ط: المطبعة المنيرية، ١٣٤٣هـ.

- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، تح: الصادق محمد إبراهيم، ط: دار المنهاج، السعودية، ١٤٢٥هـ.

- ترتيب الأمالي الخميسية، للشجري، تح: محمد حسن إسماعيل، ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٢هـ.

- التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله في الجنة ﷺ؛ للسيوطي، تح: الشيخ محمد حسنين مخلوف، ط: دار جوامع الكلم، ٢٠٠٠م.

- تفسير ابن أبي حاتم، تح: أسعد محمد الطيب، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الثالثة - ١٤١٩ هـ.

- التفسير البسيط للواحدي، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الأولى، ١٤٣٠ هـ.

- تفسير البيضاوي= أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأولى - ١٤١٨ هـ.

- تفسير الخازن= لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، ١٤١٥ هـ.

- تفسير السلمي= حقائق التفسير، تح: سيد عمران، ط: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.

- تفسير السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط: دار الوطن، الرياض - السعودية، الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- تفسير الطبري= جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تح: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تح: سامي بن محمد سلامة، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- تفسير القرطبي= الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية - القاهرة، الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

- تفسير الكواشي= التلخيص في تفسير القرآن العظيم، أحمد بن يوسف بن الحسين الكواشي، تح: عماد قدري العياضي، ط: دار البشير، دار ابن حزم، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.

- تفسير النسفي =مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، ط: دار الكلم الطيب، بيروت، الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

- تفسير النيسابوري= غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تح: الشيخ زكريا عميرات، ط: دار الكتب العلميه - بيروت، الأولى - ١٤١٦ هـ.

- التفسير الوسيط للواحدي، تح: عادل أحمد عبد المجود وآخرين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

- تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، ط: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، طدار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، لابن الجوزي، ط: دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٧م.

- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، لابن عراق الكناني، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله محمد الصديق الغماري، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

- تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، ط: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الأولى، ١٣٢٦هـ.

- التيسير في التفسير لعمر بن محمد بن أحمد النسفي، تح: ماهر أديب حبوش، ط: دار اللباب، الأولى، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

- جامع الآثار في مولد النبي المختار لابن ناصر الدين الدمشقي (١/ ٤٨٦)، تح: حسين محمد علي شكري، ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ٢٠٠٩م.

- جامع الأصول لابن الأثير، تح/ عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، ط: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الأولى، ١٩٦٩-١٩٧٢م.

- جامع البيان في القراءات السبع،لأبي عمرو الداني، ط: جامعة الشارقة، ١٤٢٨هـ.

- جامع الشروح والحواشي، للحبشي، ط: مجمع البحوث و الدراسات - أبو ظبي، الثالثة ٢٠٠٤ - ١٤٢٥هـ.

- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر النمري، تح: أبي الأشبال الزهيري، ط: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

- جامع معمر بن راشد، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع

المكتب الإسلامي ببيروت، الثانية، ١٤٠٣ هـ.

- الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري، تح: أحمد عبد الفتاح عوض، ط: دار الفضيلة، القاهرة، ١٣١٩هـ-١٩٩٠م.

- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن دريد، تح: رمزي منير بعلبكي، ط: دار العلم للملايين - بيروت، الأولى، ١٩٨٧م.

- جهد المقل، للشيخ المرعشي، تحقيق: سالم قدوري حمد، ط: دار عمار، الأردن، الثانية، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- جوامع السيرة لابن حزم، إحسان عباس، ط: دار المعارف - مصر، الأولى.

- الجواهر المضية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي، ط مير محمد كتب خانه - كراتشي.

- حاشية التفتازاني على الكشاف، لسعد الدين التفتازاني (مخطوط).

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم، ط: دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق).

- خزانة الأدب، لابن حجة الحموي، تح: عصام شقيو، ط: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م.

- الخصائص الكبرى للسيوطي، تح: محمد خليل هراس، ط: دار الكتب الحديثة.

- الدر المختار، للحصفكي شرح تنوير الأبصار للتمرتاشي، بأعلى الصفحة يليه - مفصولا بفاصل - «حاشية ابن عابدين» عليه، المسماه «رد المحتار»، ط: دار الفكر، الثانية، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

- الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ط: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان عام النشر: ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٤م.

- درج الدرر في تفسير الآي والسور، عبد القاهر الجرجاني، تح: وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، إياد عبد اللطيف القيسي، ط: مجلة الحكمة، بريطانيا، الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

- دلائل النبوة لأبي نعيم، تح: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، ط: دار النفائس، بيروت، الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- دلائل النبوة، لأبي بكر البيهقي، تح: د. عبد المعطي قلعجي، ط: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

- الدلائل في غريب الحديث، قاسم بن ثابت السرقسطي، تح: د. محمد بن عبد الله القناص، ط: مكتبة العبيكان، الرياض، الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

- الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، محمد علي الصلابي، ط: دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

- ديوان أبي طالب، أبو هفان عبد الله بن أحمد المهزمي، وعلي بن حمزة البصري التميمي، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت، دار الهلال، ٢٠٠٣ م.

- ديوان الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: د: مجاهد مصطفى بهجت، ط: دار القلم دمشق، الأولى، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

- ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدّم له الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

- ذم الكلام وأهله للهروي، تح: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، ط: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

- الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، ط: دار الفلاح، الكويت، ١٤١٠هـ- ١٩٨٠م.

- روح البيان لإسماعيل حقي البروسوي، ط: دار الفكر.

- روض الأخيار من ربيع الأبرار، محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، محيي الدين، ابن الخطيب قاسم، ط: دار القلم العربي، حلب، الأولى، ١٤٢٣ هـ.

- الروض الأنف للسهيلي، تح: عمر عبد السلام السلامي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تح: عبد الرزاق المهدي، ط: دار الكتاب العربي - بيروت، الأولى - ١٤٢٢ هـ.

- زهر الفردوس لابن حجر العسقلاني، مجموعة رسائل علمية، ط: جمعية دار البر، الإمارات، الأولى، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.

- السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد، للخطيب البغدادي، تح: مطر الزهراني، ط: دار الصميعي، السعودية، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

- السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد، تح: شوقي ضيف، ط: دار المعارف - مصر، الثانية، ١٤٠٠هـ.

- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

- سداد الدين في إثبات النجاة والدرجات للوالدين، لمحمد بن رسول البرزنجي، تحقيق: عباس صقر وآخرين، ط: دار الكتب العلمية.

- السراج المنير في الإعانة على معرفة معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني، ط: مطبعة بولاق، ١٢٨٥هـ.

- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي

المكي، تح: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

- السنة لابن أبي عاصم، تحقيق: محمد ناصر الألباني، ط: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.

- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط: دار الرسالة العالمية، الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

- سنن أبي داود، لأبي داود السجستاني، تح: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، ط: دار الرسالة العالمية، الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تح: بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨ م.

- سنن الدارقطني، تح: شعيب الارناؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

- السنن الكبرى للبيهقي، أبو بكر البيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

- السنن الكبرى للنسائي، تح: حسن عبد المنعم شلبي، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.

- سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) لمحمد بن إسحاق، تحقيق: سهيل زكار، ط: دار الفكر - بيروت، الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

- سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تح:

طه عبد الرءوف سعد، ط: شركة الطباعة الفنية المتحدة.

- السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الثانية - ١٤٢٧هـ.

- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لأبي حاتم ابن حبان، صحّحه، وعلق عليه الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، ط: الكتب الثقافية - بيروت، الثالثة - ١٤١٧ هـ.

- السيف المسلول للسبكي، إياد أحمد الغوج، ط: دار الفتح (عمان - الأردن)، الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تح: محمود الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، ط: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

- شرح البردة = طيب الحبيب هدية إلى كل محب لبيب (مخطوط).

- شرح التلويح على التوضيح، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، ط: مكتبة صبيح بمصر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي، ط: دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

- شرح المعلقات السبع للزوزني، ط: دار احياء التراث العربي، الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.

- شرح المواقف للجرجاني مع حاشيتي السيالكوتي والفناري، للشريف الجرجاني، ضبطه: محمود عمر الدمياطي، ط: دار الكتب العلمية.

- شرح النووي على صحيح مسلم، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الثانية، ١٣٩٢هـ.

- شرح بدء الأمالي لملا علي القاري (ص٣٠)، ط: مطبعة العالم باستانبول، سنة١٣١٩هـ.

- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام، تح: عبد الغني الدقر، ط: الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا.

- شرح قطر الندي، لابن هشام، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط: القاهرة، الحادية عشرة، ١٣٨٣هـ.

- شرح كتاب الفقه الأكبر لملا علي القاري، تح: علي محمد دندل، ط: دار الكتب العلمية.

- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار إحياء الكتب العربية، الأولى، ١٣٧٨هـ- ١٩٥٩م.

- شرح هاشميات الكميت، أحمد بن إبراهيم القيسي، تح: داود سلوم، نوري القيسي، ط: عالم الكتب، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

- شرف المصطفى للخركوشي، دار البشائر الإسلامية - مكة، ط: الأولى - ١٤٢٤ هـ.

- شعب الإيمان أبو بكر البيهقي، تح: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط: مكتبة الرشد، الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ط: دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وحاشية الشمني، للقاضي عياض، ط: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، أحمد بن مصطفى بن خليل؛ طاشْكُبْري زَادَهْ، ط: دار الكتاب العربي - بيروت.

- شواذ القراءات للكرماني، تح: شمران سركال العجلي، ط: مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠٠١م.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين - بيروت، الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

- صحيح ابن حبان، تح: شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الأولى، ١٤٢٢هـ.

- صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي، تح: عبد الله القاضي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، ١٤٠٦هـ.

- الضعفاء والمتروكون للدارقطني، تح: د عبد الفتاح القشقري، نشر في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، على ثلاث أعداد، بتاريخ١٤٠٣-١٤٠٤هـ.

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، ط: منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

- الطبقات السنية في تراجم الحنفية، عبد القادر التميمي، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، ط: دار الرفاعي، ١٤٢٣هـ- ١٩٨٣م.

- الطبقات الكبرى لابن سعد، تح: محمد عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية - بيروت الأولى، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠ م.

- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تح: سليمان بن صالح الخزي، ط: مكتبة العلوم والحكم - السعودية، الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

- طبقات المفسرين، لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

- عثمان مؤلفلري، للمؤرخ التركي: محمد طاهر بروسوي، ط: ١٣٤٣هـ.

- العجاب في بيان الأسباب، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ط: دار ابن الجوزي، د/ ت.

- العقد المنظم في أمهات النبي المكرم للعلامة الزبيدي، تح: عبد الله محمد الكندري، ط: درا البشائر، الأولى، ١٤٣٨م-٢٠١٧م.

- عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفًا فمائة فأكثر، جميل بك العظم، ط: المطبعة الأهلية، بيروت، ١٣٣٦هـ.

- علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر، (محمد مطيع حافظ، ط: دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٠م).

- العناية شرح الهداية، محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي، ط: دار الفكر، د/ ت.

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ابن سيد الناس، اليعمري، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، ط: دار القلم - بيروت، الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

- غاية البيان نادرة الزمان في آخر الأوان في شرح الهداية، (مخطوط للإمام أمير كاتب الإتقاني الحنفي (ت: ٧٥٨هـ).

- غريب الحديث لابن الجوزي، تح: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥م.

- غريب الحديث لابن قتيبة، تح: د. عبد الله الجبوري، ط: مطبعة العاني - بغداد، الأولى،

١٣٩٧هـ.

- غريب الحديث للخطابي، تح: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، ط: دار الفكر - دمشق، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

- غريب الحديث للقاسم بن سلام، تح: د. محمد عبد المعيد خان، ط: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

- غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر للحموي، ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- غنية الفتاوى لمحمود بن أحمد بن مسعود القونوي (مخطوط).

- الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، تح: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار المعرفة - لبنان، الثانية، د/ت.

- فتاوى السبكي، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، ط: دار المعارف.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الأولى - ١٤١٤ هـ.

- الفرق بين الفرق للبغدادي، ط: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الثانية، ١٩٧٧م.

- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، مؤسسة آل البيت، الناشر: مآب - مؤسسة آل البيت، ١٩٨٧م.

- الفوائد الكامنة في إيمان السيدة آمنة للسيوطي، مكتبة القرآن للطبع والنشر، ١٩٩٨م.

- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تح: عبد الرحمن بن

يحي المعلمي اليماني، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ط: المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، ١٣٥٦هـ.

- الكامل في التاريخ لابن الأثير، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- الكامل في الضعفاء لابن عدي، تح: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الأولى، ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

- كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب، تح: الطناحي، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري جار الله، ط: دار الكتاب العربي - بيروت، الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

- كشف الأستار عن زوائد البزار، للهيثمي، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد العجلوني، ط: المكتبة العصرية، تح: عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة أو الحاج خليفة، ط: مكتبة المثنى - بغداد، ١٩٤١م.

- كنز الدرر وجامع الغرر، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، تح: بيرند راتكه، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، وآخرون، ط: عيسى البابي الحلبي.

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندي، تح: بكري حياني - صفوة السقا، ط: مؤسسة الرسالة، الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، جلال الدين السيوطي، تح: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

- لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، ط: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

- اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م.

- لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، محمد بن محمد بن محمد، أبو الفضل تقي الدين ابن فهد الهاشمي العلويّ الأصفوني ثم المكيّ الشافعي، ط: دار الكتب العلمية، الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- لسان العرب لابن منظور، ط: دار صادر - بيروت، الثالثة - ١٤١٤ هـ.

- لطائف الإشارات= تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تح: إبراهيم البسيوني، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، الثالثة.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للإمام الهيثمي، تح: حسام الدين القدسي، ط: مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

- المجموع شرح المهذب للنووي، ط: دار الفكر، (طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي).

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، ط: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، حسن بن محمد بن خلاد الرامهرمزي، تح: د. محمد عجاج الخطيب، ط: دار الفكر - بيروت، الثالثة، ١٤٠٤هـ.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد،

ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى - ١٤٢٢ هـ.

- المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ لابن جماعة، تح: سامي مكي العاني، ط: دار البشير - عمان، الأولى، ١٩٩٣م.

- مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، تح: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، ط: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - سوري، الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤م

- مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه، ط: مكتبة المتنبي، د/ ت.

- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، ط: دار الجيل، بيروت، الأولى، ١٤١٢ هـ.

- مسالك الحنفا في والدي المصطفى، للسيوطي، تح: محمد زينهم عزب، ط: دار الأمين للنشر، القاهرة، الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

- المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني، ط: دَار الغَرب الإسلامي، الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

- المسالك والممالك للبكري، ط: دار الغرب الإسلامي، عام النشر: ١٩٩٢ م.

- المسالك والممالك للإصطخري، ط: دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤ م.

- المسامرة في شرح المسايرة للكمال ابن أبي شريف، بعناية فرج الله زكي الكردي، ط: المكتبة الأزهرية للتراث، سنة١٣٤٧هـ.

- مساوئ الأخلاق ومذمومها للخرائطي، تح: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، ط: مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع، تح: مصطفى

عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

- مستعذب الإخبار بأطيب الأخبار، أبو مدين بن أحمد بن محمد بن عبد القادر بن علي الفاسي، ط: دار الكتب العلمية -بيروت، الأولى - ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م.

- المسلك المتقسط في المنسك المتوسط على لباب المناسك للسندي، لملا علي القاري (مخطوط).

- مسند أبي يعلى الموصلي، تح: حسين سليم أسد، ط: دار المأمون للتراث - دمشق، الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو البزار، تح: محفوظ الرحمن زين الله، ط: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الأولى، (١٩٨٨-٢٠٠٩ م).

- مسند الشاميين، للإمام الطبراني، تح: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م.

- مسند الشهاب القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت، الثانية، ١٤٠٧ه - ١٩٨٦م.

- مسند الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي، تح: السعيد بن بسيوني زغلول، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

- مسند الموطأ، للجوهري، تح: لطفي بن محمد الصغير، طه بن علي بُو سريح، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٩٩٧ م.

- مصابيح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تح: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرين، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الأولى،

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، جمال الدين ابن حديدة، تح: محمد عظيم الدين، ط: عالم الكتب - بيروت.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، الحسين بن مسعود البغوي، تح: عبد الرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأولى، ١٤٢٠ هـ.

- معالم السنن للخطابي، ط: المطبعة العلمية - حلب، الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.

- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تح: إحسان عباس، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

- المعجم الأوسط للطبراني، تح: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ط: دار الحرمين - القاهرة.

- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ط: دار صادر، بيروت، الثانية، ١٩٩٥م.

- معجم التاريخ «التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)»، علي الرضا قره بلوط - أحمد طوران قره بلوط، ط: دار العقبة، قيصري - تركيا، الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

- معجم الشيوخ لابن عساكر، تح: الدكتورة وفاء تقي الدين، ط: دار البشائر - دمشق، الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

- المعجم الصغير للطبراني، تح: محمد شكور محمود الحاج أمرير، ط: المكتب الإسلامي أدار عمار - بيروت أعمان، الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥م.

- المعجم الكبير للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: مكتبة ابن تيمية – القاهرة

- معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف بن إليان بن موسى سركيس، ط: مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨م.

- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، عادل نويهض، ط: مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت – لبنان، الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.

- معجم المؤلفين، عمر بن رضا كحالة الدمشقي، ط: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

- معجم قبائل العرب لكحالة، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، السابعة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، ط: عالم الكتب، بيروت، الثالثة، ١٤٠٣ هـ.

- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، تح: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- معرفة الصحابة لأبي نعيم، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط: دار الوطن للنشر، الرياض، الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- المعمرون لابن أبي حاتم، بتحقيق عبد المنعم عامر، سنة ١٩٦١ م بالقاهرة.

- المعيار المعرب للونشريسي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية - ودار الغرب الإسلامي، ١٤٠١ هـ- ١٩٨١م.

- المغني في الضعفاء للذهبي، تحقيق: نور الدين عتر، ط: إدارة إحياء التراث، قطر.

- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي،

ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

- مقاتل الطالبيين، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، تح: السيد أحمد صقر، ط: دار المعرفة، بيروت.

- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، ط: مؤسسة الحلبي، د/ت.

- منار الأنوار في أصول الفقه، لأبي البركات النسفي، ط: مطبعة السعادة، ١٣٦٢هـ- ١٩٠٨م.

- المناقب الكردرية، في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان للبزاز الكردري، (مخطوط).

- منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول، عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الحضرميّ ط: دار المنهاج - جدة، الثالثة، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

- منح الجليل شرح مختصر، محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي، ط: دار الفكر - بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- المواقف، لعضد الدين الإيجي، ط: دار الجيل، بيروت، الأولى، ١٩٩٧م.

- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني، ط: المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر.

- المؤتلف والمختلف للدارقطني، تح: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

- مورد الصادي في مولد الهادي، لابن ناصر الدين الدمشقي، إبراهيم راشد المريخي، ط: الدار الغناء للنسر والتوزيع بالقاهرة، الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير، جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، وآخرين، ط: مجلة الحكمة، مانشستر - بريطانيا، الأولى، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م.

- الموضوعات، جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الأولى، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

- ميزان الأصول في نتائج العقول لعلاء الدين السمرقندي، تح: محمد زكي عبد البر، ط: مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تح: علي محمد البجاوي، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.

- ناسخ الحديث ومنسوخه، أبو حفص عمر بن أحمد المعروف بـ ابن شاهين، تح: سمير بن أمين الزهيري، ط: مكتبة المنار - الزرقاء، الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، أحمد محمد عمر الخفاجي المصري، ط: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

- نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين للسيوطي، ط: دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن، ١٣١٦هـ.

- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن محمد بن الجزري، تح: علي محمد الضباع، ط: المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].

- نظم العقيان للسيوطي، تح: فليب حتى، ط: المكتبة العلمية، بيروت.

- نظم درر السمطين في مناقب السبطين، جمال الدين محمد بن يوسف الزرندي، تح: محمد هادي الأميني، ط: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٤م.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي- محمود محمد الطناحي، ط: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- نور الأنوار في شرح المنار، أحمد بن أبي سعيد ملاجيون الحنفي، ط: الجامعة الإسلامية باكستان،

١٤١٩هـ.

- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، ط: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

- وسائل الوصول إلى شمائل الرسول للنبهاني، ط: دار المنهاج - جدة، الثانية - ١٤٢٥ هـ.

- الوسائل إلى معرفة الأوائل للسيوطي، مخطوط.

- الوسيط في التفسير، د. محمد سيد طنطاوي، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الأولى، ١٩٩٧-١٩٩٨م.

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السمهودي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى - ١٤١٩هـ.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تح: إحسان عباس، ط: دار صادر - بيروت.

***

فهرس

***